احمد حسن مطر

سندباد من السودان

مذكرات أول رحالة سوداني عالمي
ومغامراته في الصحافة والسياسة الدولية

Dr. Binibrahim Archive

llow ...
d on suspicion of co...
al Sir Lee Stack, the G...
the Commander-in-Chi...
eral Stack had been sho...
on 19 November 192...



مقدمه

الطبعة الاولى

السيد احمد حسن مطر رجل غنى عن التعريف فهو
السوداني العالمي الذى جاب الافاق كلها وطاف العالم من
غربه الى شرقه ومن شماله الى جنوبه وتم له ذلك في وقت مبكر
ن حياته ، تغرب في العشرينيات وتحمل العيش مبعدا عن
وطنه عشرات السنين حتى عاد اليه بعد ان نال استقلاله
اسهم في بناء تطوره ولا يزال يقدم طاقة جهده في العمل من
جل رفعة بلاده .

لقد عرفت السيد مطر زميلا منذ الصبا الباكر ،
اسعدني ان اراه في نيو يورك عندما ما ذهبت على راس وفدنا
ى منظمة الامم المتحدة لشرح قضيتنا الى الراى العام العالمي
فكان جم النشاط واسع الاتصالات كاول صحفي
سوداني يكرس جهده للعمل باروقة الامم المتحدة وكان خير
عين لنا في اداء رسالتنا من اجل تحقيق الحرية للوطن .
كان السيد مطر ابان تغربه عن الوطن بعد ان شاءت
ة الاستعمار وقدرت ابعاده . خير سفير لبلاده في دول
ريكا اللاتينية قبل ان تنال بلادنا استقلالها وتعرف طريقها
ى التمثيل الدبلوماسي .

اسماعيل الازهري



Dr. Binibrahim Archive

احمد حسن مطر

سندباد من السودان

مذكرات أول رحالة سوداني عالمي
ومغامراته في الصحافة والسياسة الدولية

Dr. Binibrahim Archive

الطبعة الاولى

المطبعة الحكومية ١٩٦٠ «صدق او لا تصدق . . ولكن»

الطبعة الثانية

المركز الطباعي ١٩٨٦ «سندباد من السودان»

حقوق الطبع محفوظة

رقم التسجيل ١٠٥٨٤
رقم التصنيف G-٢.٩٤٣
١٩٩٤

احمـــد حســـن مطـــر

بقلم : الاستاذ / محجوب عمر باشرى

* لم يكن احمد حسن مطر بالرجل الذى ينكشف سره لكل انسان ، وكما انه لم يكن غامضا ، بل ان فكره وحياته متصلان ، فهو ليس من الذين يتحدثون عن انفسهم ، ويفخرون باعمالهم ، لان حياته متجددة ومتواصلة ، ولم تتوقف احداثها حتى وفاته .
* فعندما سلم العمل فى مصلحة البريد والبرق ، وعمل مع اسكندر رينو الذى تولى بناء خزان سنار ، استطاع فى فترة وجيزة ان يتحدث الايطالية ، وسعى للحصول على كتب خصصت لتعليم اللغة الايطالية ولكنه سئم العمل مع شركة اسكندرينو لانه كلف بمراقبة العمال والاشراف على الحسابات .
* واتصل بشركة انجليزية فى ودمدنى وكان ذلك عام ١٩١٨ ، وهى شركة جيمس لينج ، فكـان هو المحرك لكل اعمال الشركة فى مكاتب الحكومة ومع الشركة الزراعية السودانية . . وكان يرتدى بدلة اروبية ويعتمر قبعة ، ويتحرك فى دراجة ، ويتصل مع الارمن واليونانيين ويغشى انديتهم ، واستاء مدير النيل الازرق من ذلك ، واستدعاه وحذره ، واصر عليه ان يعرف حجمه ، فهو ليس اوروبيا ، بل هو سودانى ، واحمد حسن مطر كان فى تلك الفترة قد تعلم الرقص ومارسه كما انه من المبرزين فى رقص الانزلاق الذى يعرف بالبتيناج ، وصمم احمد حسن مطر ان يهجر السودان ، فلما ذهب الى القاهرة عام ١٩٢٢م رأى ان ميدانه هو الصحافة ، فاتصل بجريدة الاهرام ، فلم ترحب به ، فحاول جريدة المقطم ، ولم يكن لجريدة المقطم مكتب فى باريس فعرضت عليه ان يعمل مراسلا لها فى باريس بمكافأة ، فذهب الى باريس واستطاع ان ينشىء مكتبا باسمه ، وليس باسم المقطم وتأخرت المكافأة شهرين ، فكتب للدكتور فارس نمر وشاهين مكاريوس مهددا انه سيستقيل ، ويمنع رسائله ، فارسلت المقطم له مبلغ ثلاثين جنيها استرلينيا ، ولكن احمد حسن مطر شق طريقه ، وامتد مكتبه الى التعاون مع صحف امريكية ، وصحف فى امريكا اللاتينية وحقق انتصارا فى مبادراته الصحفية ، فنجح فى لقائه مع السياسى الفرنسى الشهير حينذاك كليمنصو ، كما التقى بالعالم السياسى بونكـاريه ، واسـتطاع ان يخرق كل الحجب ، ويحطم كل القيود فالتقى

بالفنانة العالمية سارة برنار ، ونشر لقاءه معها فى اكثر من عشرين صحيفة ـ ابرقت له جريدة الاهرام ليتعاون معها وعرضت عليه مكافاءة شهرية قدرها عشرين جنيها استرلينيا ، فوافق واحتجت صحيفة المقطم ، وكانت لم ترسل له المكافأة المستحقة عن تسعة اشهر.

* وعاد الى القاهرة عام ١٩٢٤ ، والاحوال السياسية ملغومة ، والمطالبة بالاستقلال والجلاء هى الشغل الشاغل للمصريين ، فنفذ للجمعيات السرية ، وتوطدت علاقته مع عبد الرحمن بك فهمى المشرف على التنظيم السرى ومع الدكتور احمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى ، والتقى بسعد باشا زغلول ، واجرى معه حديثا نشر فى عدد من اكبر الصحف الفرنسية.

* وشاء الحظ ان يعتقل فى نوفمبر ١٩٢٤ فى القاهرة متهما بالمشاركة فى اغتيال حاكم عام السودان حينذاك السيرلى استاك باشا ، ولكنه برئت ساحته وطرد من القاهرة فعاد الى باريس لينمى مكتبه المعروف باسم مكتب الصحافة العربية ، وفى تلك الاثناء التقى ببعض السياسيين السوريين كالامير عادل ارسلان ، وفارس الخورى والدكتور عبد الرحمن شهبندر والرفاعى ونورى السعيد وكان اول صحفى عربى يعلم ان فرنسا لم ترفض ان يكون الملك فيصل الاول ملكا على سوريا ونشر هذا الخبر ، فهاجمه الصحفيون السوريون.

* وفى عام ١٩٢٥ رأى ان سفره الى امريكا اللاتينية سيهىء له فرص النجاح ، ويحكى انه لم يكن يملك اكثر من عشرة جنيهات استرلينية بعد ما دفع ثمن التذكرة على باخرة فى الدرجة الاولى.

* وصل الى الارجنتين ، وهو لا يعرف احدا هنالك ، فنظم لنفسه عددا من المحاضرات التى القاها فى الاندية العربية نظير أجر دفعنه له وكالة صحفية فى بونس ايرس ، وبعد اسبوع حصل على ترخيص لاصدار جريدة باللغتين العربية والاسبانية ، ويحكى انه لم يكن يعرف من اللغة الاسبانية غير الالفاظ المشتركة بينها وبين اللغة الفرنسية والايطالية ، ولكنه استعان ببعض الشبان العرب فى تحرير القسم الاسبانى وبعد اسبوع اتقن اللغة الاسبانية.

* عانت الارجنتين انقلابا عسكريا ، وأغلقت كل الصحف وعطلت غير صحيفة مطر واسمها السلام البيزا ، واستطاع مطر ان يلج مغاليق السياسة ، وخاصة الانتخابات

وحصل على مقعد فى البرلمان الارجنتينى ونال كل اصوات العرب هناك.

* ضاق بالعيش فى الارجنتين فهاجر الى بوليفيا واخرج صحيفة اخرى باسم الوطن باللغتين العربية والاسبانية ، وشخص بعد ذلك الى البرازيل واخرج صحيفة بالعربية والبرتغالية ، ودخل البرلمان وكاد ان يكون وزيرا.

* ولما نشبت الحرب الايطالية الاثيوبية ، جاء الى ميدان القتال كمراسل عسكرى ، يرتدى بدلة ضابط برازيلى برتبة عميد ، وبعد ذلك ذهب الى برلين ، فالتقى بصديقه القديم يونس بحرى وبالسياسى الفلسطينى تاج الدين الحسينى ، ورتب له لقاء مع أدولف هتلر ، ولم يستقر ببرلين طويلا وكتب مقالا نشرته الديلى تلغراف تنبأ بنشوب الحرب العالمية الثانية ، وتصدع عصبة الامم.

* أختفت أخبار مطر خلال الحرب العالمية الثانية ، ولما انشئت عصبة الامم المتحدة عام ١٩٤٥ ظهر مطر فى نيويورك ، وافتتح مكتب الصحافة العربية فى مانهاتان ، وكان اول المتعاونين معه المملكة العربية السعودية ، ثم العراق ، واثيوبيا . ولما بدأت حركات التحرير العربى يمتد تيارها الى اروقة الامم المتحدة ، ابلى مطر بلاء حسنا فى الدفاع عن استقلال السودان ، والقضية الفلسطينية.

* وفى عام ١٩٥٦ دعاه السيد / عبد الله بك خليل للرجوع الى السودان فنظم وزارة الخارجية السودانية وكان من رأى عبد الله خليل ان يعينه سفيرا ، ولكن وقفت عقبات امامه ، فعين مسئولا عن المراسم والترجمة.

* ولما استولى العسكر عام ١٩٥٨ على الحكم فى السودان ، استطاع مطر ان يدعو وفودا من امريكا اللاتينية ، وكان اول وفد هو وفد كوبا وكان به شى جيفارا ، وظهر جيفارا فى حديث فى الاذاعة السودانية ترجمة مطر.

* لم يكن سعيدا فى عملة خلال فترة الحكم العسكرى ، ولكنه اصلح ذات البين بين السودان واثيوبيا ، ووطد علاقة السودان بجمهورية المانيا الاتحادية.

* كان مطر منظما فى حياته الخاصة ، وكان المحرك للعلاقات الخارجية والمشرف على الوفود وبعد ثورة اكتوبر شق طريقه فى استقطاب كل زعماء التحرير الافريقى والعربى.

* وصفه المرحوم الاستاذ محمد احمد محجوب ان احمد حسن مطر دبلوماسى بالفطرة ، وهو رجل موهوب ، لم يستطع السودان ان يستغل مواهبه.

* وقال عنه عبد الله بك خليل :
«ان مطر هو الرجل الذى يطوع الاسود ، فلو استطعنا ان نعينه سفيرا لنا فى الامم المتحدة لحققنا امجادا للسودان» .

* وقال عنه مبارك زروق :
«انه لم يتعلم الديلوماسية فى الكتب ، ولكن تجاربه هى المدرسة التى كنا نحتاج لها» .

محجوب عمر باشرى

مقدمـــة

بقلم : تـــوم ليتـــل

كان لقائي الاول مع احمد حسن مطر فى ربيع عام ١٩٤٧ فى (بارك اوتيل) بنيو يورك . وكان يتحدث الى عبدالرحمن عزام باشا وهو صديق لى من عهد بعيد .. فقدمنى عبد الرحمن باشا الى مطر واتبع التقديم بكثير من عبارات الثناء ، وتحدث الى مطر بطريقته المعروفة لدى جميع اصدقائه طالبا الى ان نلتقي مرة اخرى وبالرغم من اننى كنت اجهل سبب هذا اللقاء الا اننا التقينا بالفندق الذى انزل فيه بعد ان حددنا موعدا لهذا اللقاء . وعند لقائنا ابلغنى لاول مرة ان البريطانيين نفوه عن بلده لمدة ثلاثة وعشرين عاما . وقد اقتنعت بان نفيه كان ليس عادلا الامر الذى حتم على ان اواصل مساعى هنا وهناك حتى يسمح له بالعو دة الى السودان . وهذا الامر وان بدا سهلا فى مظهره الا انه استغرق ثمانية عشر شهرا وما ذلك الا لان اسم مطر كان مسجلا بالقائمة السوداء ولم يكن احداً يذكر السبب الذى من اجله ادرج اسمه بالقائمة السوداء كما لم توجد اية وثائق توضح السبب .

وقد حصل على حق الرجوع عندما كنا نحن الاثنين نحضر دورة الجمعية العامة للامم المتحدة التى انعقدت فى ...ية عام ١٩٤٨ بباريس وفى وقت لم يكن يملك فيه سوى الف فرنك فرنسى أى ما يعادل ثمانى جنيهات استرلينية وتذكرة سفر بالطائرة الى غرب افريقيا . ولكن ذلك لم يثبط همة مطر عن السفر الى غرب افريقيا .

والمرة الثانية التى سمعت فيها عن مطر . كانت خلال محادثة تلفونية من مطار الخرطوم حيث حدثنى مطر فى الشقة التى اسكن بها فى لندن الساعة الخامسة صباحا وكان هذا اول مافعله لدى وصوله الى بلده ليعبرعن شكره للجهود التى بذلتها نيابة عنه .

وعلمت انه كسب حوالى ثلاثة الاف جنيه فى فترة قصيرة من الزمن . وذلك عن طريق بيع دليل اعده عن العرب فى غرب افريقيا وبهذا المبلغ اشترى منزل والدته بواد مدنى وتبرع بمنحة دارسية وبدا يزاول نشاطه مرة اخرى فى بلاده .

ربما يعطى هذا فكرة عن عبقرية وحسن نية مطر.

والمرة التالية التى قابلت فيها مطر كانت عندما هبط مطر فجأة بمكتبى بالقاهرة وكان مفلسـا لا يملك سوى تذكرة طائرة لرحلة حول العالم اهداها له الامبراطور هيلا سلاسى امبراطور اثيـوبيا . وقد اعنته بقليل من المال على ان يرده عند نهاية السنة ثم انقطعت اخباره

عنى الى ان تلقيت تحويلا مرسلا من بنك استرالى فى مدينة سدنى وكان ذلك فى ١٣ ديسمبر عام ١٩٤٩ وهذه الواقعة ربما تعطى مثلا لامانته وصدقه تجاه اصدقائه .

انه بوسعى ان اروى العديد من القصص الطريفة حول علاقتى الوثيقة بمطر وكلها تكشف عن شخصية قلقة كالزئبق لا تستقر على حال . ولكن اكثر هذه الحقائق تضمنها هذا الكتاب ولذا رأيت ان اتحدث عنها حديثا عاما .

ان قسوة الحياة الطاحنة لم تستطع ان تغير من شخصيته الرقيقة . انه رجل لا يهتم بالمال . وانه على استعداد لان يتقبله من الغنى ليعاون به الفقير وينفقه دون ان يفكر فى الغد . وكما كان الحال معى فهو يستدين من صديق ليرد الدين دائما . كما انه مخلص لعائلته ووفى لاصدقائه وقت الشدة .

اننى خلال الاربعين عاما التى عملتها فى الحقل الصحفى قابلت الكثير من الناس من مختلف الطبقات ابتداء من الشحاذين إلى الملوك .

وانه لفخر ان اذكر كل لحظة من لحظات علاقتى مع مطر المرموق . ان هذا الكتاب يسمى (سندباد السودان) ولكن كان يمكن ايضا ان يسمى «روبنسون كروزو من الخرطوم» لانى رايته مرة اخرى وقد بلغ الخامسة والستين من العمر . ولكنه ما زال مرحا وغير مبال كما كان دائما .

تـــوم ليتـــل

مقدمات لبعض كتب المؤلف

ان كثيرا من الشخصيات البارزة قد وضعت مقدمات للكتب العديدة التى الفتها . ولكن واحدا من تلك الكتب اثير لدى نفسي واحب ان اسميه « مطر بقلم مطر » اذ كتبت مقدمته بنفسي وكان ذلك عام ٣٣ بمدينة ماناواس عاصمة الامازون حيث لم يكن لى اصدقاء هناك وكنت حريصا على نشر كتابي المسمى « الحرب على ضفاف الامازون بين كولومبيا وبيرو » وجاء فى المقدمة :

عزيزى القارىء

لما كنت غير معروف فى هذه المنطقة ، ولما كنت غير راغب فى ان افرض على اى شخص تبعة تقديمي ، فقد آليت ان اقدم نفسي بنفسي كمؤلف لهذه المغامرة العسكرية .

انى انسان كسائر البشر قصير القامة ولى شارب قصير مثل شارب شارلى شابلن اتوكا على عصى واضع على راسي قبعة من القش وادخن الغليون وهذه هى سماتى التاريخية المميزة

وربما كنت ترغب فى مشاهدتى فانك ستجدنى فى ٢٦ شارع الاوبرابباريس او فى انتردن لينون ، برلين ٦٢ شارع رواباسيوريودى جانيورى وتتهالكنى غريزة حب الاستطلاع التى قادتنى لتتبع الاحداث وهى اهم سماتى التاريخية كصحفى

لقد كنت فى مهمة صحفية بسان باولوكلفت بهامن قبل جريدة « دياريو دي نوتسياس » وذلـك عندما تواترت الانباء بان البروفيين قد انتشروا فى ليتيسيا وهى قرية قيل انها تتبر كولومبيا وتتقر على ضفاف نهر(السولوموسى) فغادرت ريو كمراسل حربى واتجهت شمالا ممثلا لعديدمن الصحف منها (فانجراردا) وجورنال . كوريو باولستاتو ، ووديارو دي بيرنا موبو كووكنت كذلـك مراسلا لعدة صحف اخرى ولوكالة يونايتدبرس لا كتب عن الحرب بين الصين واليابان .

نعم الصين واليابان وذلك لاننى لم اكن اتوقع ان تستمر الحرب بين بيرو وكولمبيالفترة طويلة لذا اعددت نفسي لاتابع رحلتي الى الشرق الاقصى عبر المحيط الباسفيكى ومنشوريا ، ولكنى اصبت بخيبة امل عندما استمرت الحرب بين بيرو وكولومبيا لفترة طويلة مما حدا بى لان ابقى هنا واؤلف هذا الكتاب .

روبرتو دي باروس

بسم الله الرحمن الرحيم   القاهرة 18 ابريل سنة 1949

عزيزنا ومحبنا الاستاذ الفاضل المحترم احمد حسن مطر

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فلقد سررنا جدا بلقائكم في ارض النيل

السعيد بعد مرور اربعة وعشرين سنة في الكفاح لقد اعاد لنا ذكريات

ماضية لا تزال [illegible] في سبيل حرية بلادنا. هكذا ولى بنا ان

[illegible] مشاركتكم لنا في الماضي للعمل في سبيل استقلال الريف وما [illegible]

من خدمات في [illegible] الخارجية في اوربا وامريكا. وبالتالي [illegible]

[illegible] حتى [illegible] من الاحتفاء [illegible]

[illegible] الريف خاصة. والله [illegible] الى امريكا [illegible]

[illegible] الله ان [illegible] للامة العربية جمعاء [illegible]

[illegible] الى [illegible]

ان [illegible] ابواب [illegible] للقائكم [illegible]

[illegible]

[illegible] عبد الكريم الخطابي

صورة فتوغرافية لخطاب الامير عبدالكريم الخطابي امير الريف المراكشي وفيه يشكر المؤلف على خدماته البارزه لعشرين عاما خلت

مقدمة الدليل الذى أصـــدره المؤلف فى عام ١٩٤٧ عن الجالية العربية فى أمريكا الوسطى والمكسيك

● بقلم الاستاذ محمد أحمد محجوب ●

لقد خط عام ١٩٢٤ حرفا أحمر فى تاريخ السودان الحديث اذ كان بمثابة نقطة التحول فى حياة هذا الجيل اجتماعيا وسياسيا • ففى تلك السنة انبعثت حركةسياسية قادتها « جمعية اللواء الأبيض » أدت الى حدوث تمرد واضطرابات فى البلاد وصدور أحكام بالسجن لمدد طويلة على زعماء هذه الحركة كما تم اعدام بعض الضباط الذين كانوا على رأس التمرد •

اما السيد أحمد حسن مطر الذى كان يضطلع بدور سلمى فى تلك الحـــركة السياسية والذى كان غائبا فى خارج البلاد فقد صدر أمر بمنعه من العودة لبلاده ، وكان ذلك فى اكتوبر من عام ١٩٢٤

ومنذ ذلك الحين أخذ أحمد حسن مطر يجوب أقطار عديدة فى افريقيا وآسيا وأوروبا وأخيرا حط رحاله فى الدنيا الجديدة •

ولقد أسعدنى حقا أن التقى به فى نيويورك بعد غياب عن وطنه دام قرابة ربع قرن من الزمان • فهو مازال يكن حبا عميقا لبلاده ولكل ما يتصل بالعالم العربى • ولقد أتاحت له مقدرته اللغوية على السيطرة على زمام عدة لغات مما مهد أمامه فرص السفر من بلد لآخر وكذلك سهل له سبل التعرف على شتى المجتمعات فى عديد من الأقطار وبذا غدا شخصية عالمية بحصيلة وفيرة وافية من الالمام بالمجتمع الانســانى كما ان عمله فى الصحافة والاذاعة الاخبارية جعلته وثيق الصلة بالأحداث السياسية الجارية ومكنته من أن يرى تطورات السياسة العالمية فى مظهرها الحقيقى •

وبوصفه عربيا فانه شديد الاهتمام بالجاليتين السورية واللبنانية فى نيويورك فهو ما فتأ يرقب تقدمهما بحماس ويعتد باخلاص بما يحرزانه من نجاح وليس غريبا والحالة هذه أن يقدم على القيام باحصاء لهما فى كل مكان زاره فى جنــوب امريكا

وأواسطها • ولا ريب انه عمل شاق ولا يتسنى تحقيقه الا على يدى شخص على شاكلته لا يرى صعوبة ما فى الاتصال بكل شخص عربى فى هذه الأنحاء ويحصل منه على أدق المعلومات التى يريدها ولا ريب فى أن الدليل الذى يقوم باصداره عن الجالية العربية فى أواسط امريكا والمكسيك وجزر الكاريبيان سيكون ذا قيمة لا تقدر بثمن لأنه سوف لن يقتصر على ايراد الأسماء والعناوين بل انه سيوضح نوع العمل أو المهنة لكل مستوطن والقطر الذى هاجر منه •

وسيوضح كذلك كيف أمكن للعرب أن يقوموا أنفسهم فى الدنيا الجديدة ويحققوا لهم نجاحا فى شتى مرافق الحياة •

فالعرب بتراثهم العريق قد تمكنوا فى الواقع من أن ينهلوا من معين الثقافة الغربية وان يلموا بأساليب الحياة الغربية فى أكمل صورة ممكنة فهم بذلك يمثلون التزاوج الموفق بين الثقافتين الشرقية والغربية •

وهذا الدليل الذى يشرفنى أن أقدمه للقراء مصداق لما قدمت ويستحق كل ثناء وتقدير •

محمد احمد محجوب ــ المحامى
السكرتير العام الجبهة الاستقلالية السودانية

نيويورك فى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٥٧

☆☆☆

مطر كما عرفته ...

لا أذكر من طفولتى وحياتى الأولى الا النذر اليسير ولهذا فأنا أستعين برفيق صباى الأستاذ عبد القادر الأمين وهو يؤرخ تلك الطفولة ويقص عليك طرفا من حياتى الأولى التى أظن ان ٨٠ ٪ منها صح •

« أحمد حسن مطر »

أحمـــــد حسن مطـــر

بقلم الاستاذ عبد القادر الامين

ولد أحمد فى مدينة أم درمان فى اليوم الثـــانى من فبراير عام ١٩٠٤ عن أب سودانى هو الحاج حسن ابراهيم على عبده ، وأم سودانية الحاجة آمنه بنت محمد من قرية « عوج الدرب » قرب قرية المسيد جنوب الخرطوم ، ووفد جـــده الأكبر الحاج على عبده من المحلة الكبرى من مصر الى السودان فى عهد الفتح الأول حوالى عام ١٨٢٠ م

وأنجب ابنه ابراهيم جد أحمد من زوجة لبنانية ، وكان ابراهيم هذا صديقـا حميما للزبير باشا رحمه رحمه الله ويعمل معه فى التجارة وولد ابراهيم بدوره الحاج حسن والد أحمد فى الخرطوم وقد عرف فيما بعد باسم حسن مطـر ، الذى كان فى عهد المهدية ملازما للخليفة عبد الله التعايشي •

ذهب والده للحج مرة قبل ولادته وبرفقة والدته ومطر لا يعرف شيئا عن هذه الرحلة وفى المرة الثانية أخذ عائلته الصغيرة معه الى الحجاز وأقام بالمدينـــة المنورة وعمل كمساريا للتذاكر فى سكة حديد الحجاز حيث تلقى أحمد دروسه الأولية كما ولدت بها بعض اخوته من البنات •

وحوالى عام ١٩١١ عادت العائلة من الحجاز للسودان عن طريق درعا والشام وحيفا ومصر وأقاموا بمدينة وادي حلفا حيث كان المرحوم اليوزباشي يوسف نجيب والد اللواء محمد نجيب رئيس جمهورية مصر سابقا مأمورا هناك وكانت بينه وبين حسن مطر صداقة لا يعرف اذا كانت سابقة لوجودهما فى وادي حلفا .

وعندما نقل اليوزباشي يوسف نجيب من وادي حلفا الى وادي مـدنى كتب لحسن مطر فى وادي حلفا يصف له مدينة واد مدني من حيث كبرها واتســـاعها والجاليات الأجنبية بها وسوقها الكبير بالنسبة لوادى حلفا المدينة الصغيرة ويستحثه فى الحضور لواد مدنى ليفتح صالونا أفرنكيا للحلاقة بها ويقول أحمد فى ذلك أنى أذكر جواب اليوزباشي يوسف نجيب لوالدى كان كله سجعا فى وصف واد مـدنى من هواء الى ماء الخ •••

حضرت العائلة لواد مدنى وحلوا ضيوفا على منزل المأمور الى أن وجدوا لهم مسكنا بالمدينة على مقربة منه فانتقلوا اليه وقد تعرفت فيما بعد على عائلة المأمور عن طريق أحمد وكنا صغارا نتردد على منزلهم فى بعض الأوقات نسبة الى صلة أحمد بهم وبما أن الطالب محمد نجيب وأخيه على كانا معنا فى المدرسة وكان ذلك حوالى ١٩١٢ ــ ١٩١٣ فقد نشأت تلك الصداقة التى ربطت بين محمد نجيب ومطر فى السنين التى تلت •

ولما سافر مطر فى رحلاته كان كلما عاد الى مصر يزور محمد نجيب ويريه ما يكتبه فى الجرائد عن مصر والسودان وبلاد العرب فكان نجيب يقول لمطر « لماذا لا تذهب الى الملك وتعمل فى الخارجية » وكان نجيب يعجب ايما أعجاب بكتابات مطر كل هذا مما ساعد فى سنة ١٩٥٢ على ترقية مطر الى درجة مستشار للسفارة المصرية فى الأرجنتين ولو بقى نجيب فى الحكومة لكان مطر سفيرا لمصر هناك

وها أنا أنظر اليه عبر تلك السنين الطويلة وهو مازال يافعا ممسكا بيد والده عندما حضرا لادخاله المدرسة الابتدائية وكان ذلك عام ١٩١٢ فتجمعنا حوله نسأله ، وقد كنا من سنه تقريبا ، من أين هو ومن أى مدرسة قادم فأجابنا فى عجمة خفيفة أنه من اتحاد مكتبى مدينة منورة • ولما كنا صغارا لا نعلم عن المدينة المنورة شيئا حسبناه قد هبط من واق الواق أو قاس التى ما وراءها ناس على حد تعبير ذلك الوقت •

مطر فى المدرسة

أدخل أحمد المدرسة ومرت بنا الأيام ووضح لى فى يسر أنه كان فى اتحادمكتبى بالمدينة المنورة والمدرسة فى العهد العثمانى فى تلك البلاد كانت تعرف « بالمكتب » أى مدرسة الاتحاد وان لكنته الأعجمية كانت من أثر اللغة التركية التى تعلمها فى الحجاز ويفهمها والده كلغة التخاطب فيما بينهما بوجود غريب كما يفعل أخواتنا النوبيون •

ورغم نضوجه الذهنى المبكر نسبة الى ما شاهده من بلاد لم نكن نحن نعرف حتى عن أسمائها شيئا فقد كان مستوى ذكائه العلمى والعملى دون الوسط وخصوصا

فى الحساب فكان « لوحا » ولكن بتقدمنا فى الدراسة بدأ يكون ملكة الحفظ (الصم) فقد كان فى سنيه الأخيرة فى المدرسة لا يجارى فيه . وأننى لا أذكر الآن حصص الجغرافيا ونحن فى السنة الثالثة الابتدائية وكان المنهج يشمل جغرافيا القارات الخمس واتسعت مداركنا وعرفنا الكثير عن العالم الخارجى وأسماء العواصم وطرق المواصلات بين أمهات المدن الكبيرة فى أوربا وآسيا وكان الطالب منا يطلب منه أن يقوم بسياحة على الخريطة تبتدىء مثلا من باريس وتنتهى فى فلاديفوستك عبر صحارى سيبريا فكان صاحبنا من المبرزين فى حفظ أسماء العواصم والمدن الكبيرة ذات الاهمية التى يجتازها فى هذه الرحلة المجانية .

ويحضرنى أنه كان له شغف خاص بهذه الرحلات وكم كان يتمنى أن يتمكن من تحقيق أمثال هذه السياحات فى مستقبل أيامه فما كنا نعزو هذا النزوع الا لما أنطبع فى نفسه من صور البلاد التى شاهدها فى تلك السن المبكرة أو ما تركته تلك الرحلات التى كان والده يقوم بها فى تأدية أعماله بين الشام والحجاز من آثار ظلت عالقة بذهنه .

وما كان يدور بخلد احدنا أن ذلك الحلم الذى ظل يساوره قد تحققه الايام كما سنرى فيما هو آت .

فما أن أتم صاحبنا تعليمه الابتدائى حتى بدت عليه بوادر التمرد على الدراسة وتملكته نوازع المغامرة وتفتح ذهنه تبعا لذلك عن ذكاء حاد ملك عليه نفسه ، فصار لا يستقر على حال ــ تراه يتكلم سريعا لا تكاد تلاحقه فى فهم ما يقول ، ويمشى سريعا كأن بداخله قوة محركة ، يأكل كثيرا ، ويعمل كثيرا ، وقد حبته الطبيعة صحة موفورة وقوة فى البنية كانت هى ذخيرته فى مستقبل أيامه .

اولى مغامراته الغرامية

التحق صاحبنا فى عام ١٩١٨ بمدرسة البوستة والتلغراف بمرتب ابتدائى شهرى لفترة تعليمية قدره ٣٠٠ قرشا على أن تبلغ خمسة جنيهات عندما يتخرج فى ظرف ستة أشهر موظفا بالمصلحة . تخرج عاملا بالبوستة بعد تلك الفترة فى الخرطوم ولم تتعد مغامراته الخارجية فى المدينة عن مسلك أى شاب فى سنه ولكنه انتحى

ناحية كانت تجديدية بالنسبة للغير من شبان البلد اذ ظلت تنحصر فى الفتيات الأجنبيات وهو مالم نعتده نحن ، وأخيرا انتهى به المطاف أن تتلمذ بصفة خاصة وهو موظف صغير بمدرسة الجالية اليونانية بالخرطوم ليتعلم اللغة اليونانية لتؤهله لأن يخاطب بها احدى فتيات الاكروبول وكان اسمها هلينا جلانيدس التى وقع فى شرك غرامها وأصبح لا يرى الا معها فى أثناء ساعات فراغه من العمل وخروجها هى من المدرسة ، ولما علم والدها بجلية الأمر بعد أن أصبح أمرهما مشهورا فى المدينةأرسلها للخارج لتكملة تعليمها وابعادها عن محيط دون جوانها الصغير .

وكتب اليها مطر يشكو لوعة الفراق وما الى ذلك من أحاديث الغرام فما كان من ناظرة المدرسة الا أن وافت والد الفتاة بالخطاب المرسل لفتاته لاتخاذ الحيطة من تكرار الحادث ــ فما عتم هذا أن أرسل الخطاب الى المحامى العمومى لحكومة السودان شاكيا الموظف الصغير ، ورئيس مصلحته وهذا بدوره بعث به الى مدير البريد الذى لم ير بدا من فصل الموظف فكانت فضيحة وكانت مأساة وكانت هذه أولى مغامراته .

مطر ضابط فى الجيش العربى

وما أن وجد نفسه فى الطريق حرا طليقا يعرف التركية وبعض الانجليزية وقليلا من اليونانية حتى عاودته نزعة المغامرة والسياحة ، وفجأة اختفى من المدينة وظهر فى جدة وكتب يقول أنه الآن فى خدمة جيش الشريف الحسين بن على شريف الحجاز كضابط ومحارب محترف ، وكتب يقول عن حالة البلاد الداخلية واضطرابها المالى لدرجة أن المرتبات الشهرية لا تدفع فى أوانها لعدة شهور بدعوى أن الخزينةمعذورة، وعلى كل موظف أو عامل فى الدولة أن يتدبر شئون نفسه سواء بسلفيات من الخزينة المعذورة على حساب المرتبأو بطريقتهم الخاصة ــ وبعد أشهر قليلة ظهر فجأة فى الخرطوم بزيه العربى الحجازى الجديد ومنه علمنا أنه قد أبعد عن الحجاز لاشتراكه مع آخرين من الضباط فى حركة تمرد نظرا لسوء الحال واضطراب حالة الأمن ولا سيما الاعتداء على الحجاج ، وقد أرسل الى القنصل البريطانى العام فى جدة القائمقام

مارشال Marchall فأخذ القنصل على نفسه ترحيله الى السودان وقد ساعده على ذلك الشيخ فؤاد الخطيب الذى كان وزيرا للخارجية الحجازية وذلك لماضى معرفته بوالده الحاج حسن مطر من السودان •

فى الطريق مرة أخرى أو مطر فى شركة مكوار

وجد صاحبنا نفسه فى الطريق مرة أخرى لا يستقر على حال وبعد أيام أختفى أيضا ــ هذه المرة فى داخل البلاد ــ وظهرفى مكوار (ســــنار) حيث كانت شركة السندرينى الايطالية التى يشرف عليها السنيور بزغالى والسنيور بشانتى تقوم ببناء خزان سنار الحالى ، وكان من حسن طالع هذه البلاد كما سيتضح فيما بعد أن وجد صاحبنا عملا مكتبيا فيها ،والغريب فى أمر هذه الشركة أنها لم تحصل على هذا العمل الضخم عن طريق المناقصة الدولية كما يبدو للقارىء ، وقد يسأل ولماذا لم تكن تلك الشركة انكليزية •• والانكليز يتحكمون فى مصائر هذا البلد كمــــــا أن القرض المضمون الذى استدانته حكومة السودان للقيام بهذا العمل من البيوتات الانجليزية كان بضمان الخزينة الانكليزية بقى أن تعرف أن سكرتير مالى حكومة السودان فى ذلك الوقت السير ادجار برنارد باشا كان انجليزيا مالطيا وزوجه ايطاليــة ، ورأى الباشا بثاقب رأيه الاقتصادى الا فائدة من عمل مناقصة دولية تنافس فيها شركات البناء العالمية بل رأى أن تتولى الحكومة نفسها القيام بالعمل عن طريق مقاول يستورد العمال ويدير الحركة مقابل أن تدفع له حكومة السودان عشرة فى المائة عن كل مبلغ يصرف سواء فى المرتبات أو الأشغال الأخرى اللازمة لاتمام البناء ، أو بمعنى آخــر وكل الى هذا المقاول تبديد مبلغ القرض بجميع الطرق وكل الطرق لتزيد حصيلته من العشرة فى المائة تبعا لذلك واليك أمثلة لما حدث فى تلك الفترة الغامضة •

كان مرتب كاتب العمال أو ما يسمونه (حافظ الوقت) لا يقل عن اثنى عشر جنيها وللكاتب العادى فى المكتب عن خمسة عشرة جنيها بينمــا كانت الحــــكومة تستخدم خريج الثانوى بثمانية جنـيهات ، وقد كان أن أغرت شروط الخدمة بعضا من الخريجين للعمل فيها بدلا من دواوين الحكومة وكان بينهم ممن أذكر الأســتاذ

ميخائيل بخيت المفتش بوزارة الداخلية والأستاذ اسماعيل الجوهري من كبار موظفي مصلحة الاحصاء كما أستوردت الشركة موظفين كثيرين من كل الجنسيات وكانت تغدق عليهم المرتبات الضخمة وتوفر لهم المسكن المريح كل ذلك على حساب دافع الضرائب (محمد أحمد له الله) .

كانت تلجأ الشركة الى عقد اتفاق مع من ذكرنا لتوريد مواد للعمل سواء كانت من الأخشاب أو من الأحجار أو الطوب للمساكن وغيرها كمتعهدين فرعيين وتطلب منهم أن يتقدموا بالسعر الذى يرتضونه مربحا سواء كان بواقع المتر أو الألف حسب الحال ، ويكتب العقد بهذا السعر ويوقع عليه من قبل الشركه والمتعهد ثم يعمدون الى عمل عقد آخر بنفس الكميات والوحدة ، ولكن بسعر كان فى بعض الأحيان أضعاف السعر الأصلى فى العقد الأول . وبموجب ذلك كانت تسحب المبالغ لحساب المتعهد بموجب العقد الأخير ويدفع له على حساب العقد الأول بالسعر الذى قبله لنفسه وأن يكون الفرق سعر العقدين لمديرى الشركة .

مطر يكشف اختلاس الشركة ويوفر الملايين من الجنيهات للسودان

بهذه الطريقة كانت تسير الشركة فى عملها الى ان قيض الله لصاحبنا أن يعمل فى مكتب الشركة وفى مكتب مديرى الشركة بالذات وان يكشف بثاقب ذهنه هذه الألاعيب بواسطة موظف يونانى يحفظ الملفات كجزء من عمله

فما أن وافت عطلة نهاية الأسبوع التى تبدأ من بعد ظهر السبت الى صباح الاثنين حتى ظهر صاحبنا فى الخرطوم يقص على حكاية العقود التى أعطاها له صديقه اليونانى فتشاورنا فى أمرها مليا ثم قر رأينا على أن نخبر مدير المخابرات فى ذلك الحين المستر ولس ونستطلع رأيه فى شأنها ، فما كان من الأخير الا أن رحب به أيما ترحيب ، كما أتفق وأياه على أن يفيده عن أى عقود من هذا النوع فى نهاية كل أسبوع ثم نفحه ببعض المال لتغطية مصروفاته من أجور السكة الحديد بين سنار والخرطوم

وبالعكس ووسائل النقل الأخرى بين سنار ومكوار وكانت قاصرة على الحمير فى ذلك الحين .

كان كل ذلك يجرى فى الخفاء لا يعلم به أحد سوانا ومدير المخابرات وتوالت رحلاته الأسبوعية بين مكوار والخرطوم فى صباح الأحد عند وصوله بقطار الأبيض بعد أن تجشم مشاق السفر على ظهور الدواب بين مكوار وسنار فى انتظار قطار الأبيض الذى يصل الى سنار بعد منتصف الليل ويصل الخرطوم فى السادسة صباحا من يوم الأحد ، ثم يعود اليها بقطار نفس اليوم فى الخامسة مساء ويصل الى سنار فى الساعة الثانية صباحا ، ثم يمتطى الدابة بالأجرة من هناك ليصل مكوار عند تباشير الفجر .

وعندما اجتمعت لدى قلم المخابرات التقارير الكافية لدمغ الشركة بهذا التلاعب المنكر تألفت لجنة تحقيق برئاسة مدوتتر باشا مدير عام السكة الحديد وعضوية المستر ركس المراجع العام لحكومة السودان وموظفين آخرين من الانكليز وبمنتهى السرية تحركت هذه اللجنة الى مكوار وأمرت فورا بايقاف العمل فى الخزان وبدأت تحقيقا مع الشركة ومحاسبتها ــ وبهذه العملية تقوضت الشركة وأعلن عن مناقصة دولية جديدة كانت من نصيب شركة بيرسون وولده ليمتد الانكليزية التى أستلمت العمل الذى بدأته شركة السندرينى وكان الفضل كل الفضل لهذا المواطن الذى كشف النقاب عن ألاعيب الشركة ووفر على بلاده ملايين الجنيهات التى كانت ستذهب بددا لحفنة من الأفاقين وأنقذ بلاده مما كان يراد لها من تكبيل بقيود القروض التى لا يعلم الا الله مدى ما كانت ستصل اليه من ضخامة اذا استمرت الحال على ذلك المنوال لو لم يقيض لها الله ذلك المواطن الذى سردنا سيرته ويجعل الله كيدهم فى نحرهم ويبؤوا بالخزى والخسران .

التحق صاحبنا بشركة بيرسون ولم يعمر معها طويلا ، وفى يونيو من عام ١٩٢٣ خرج من السودان عن طريق بورتسودان وهو لا يحمل معه ثمن التذكرة ــ خرج الى العالم الفسيح الواسع ليشبع رغبته فى السياحة حول العالم ثم عاد الى السودان

فى عام ١٩٤٩ أى بعد ربع قرن من الزمان طاف فيها حول العالم مثقلا بالتجـــارب واللغات والدبلوماسية وقد أبيض شعر رأسه •

يغادر السودان فى جولته الكبرى

أننى اذ أنظر الى صباح ذلك اليوم من يونيو ١٩٢٣ وقد حضر صـــاحبى الى منزلى لينقل الى خبر عزمه على ترك البلاد والضرب فى بلاد الله على غير وجهة معينة تاركا للمقادير تقرير ذلك لم أكن أتوقع أن تمتد به أوبة الأيام حتى تلتقى مرة ثانية فى هذه الحياة وان آخذ على عاتقى كتابة سيرته التى أشعر أننى جزء مكمل لها لما بيننا من تقارب روحى وفهم صحيحلبعضنا البعض ، وقـــد أعاننى على استكمال الصورة الواضحة لمغامراته فى الحياة ، أنه أعتاد أن يراسلنى من كل بلد أو قطر حط رحاله فيه ، موضحا فى تعبير غير موجز جميع ما يصادفه من نجاح أو فشلوما يتكبده من مشاق وما يلاقيه من ظروف قاسية ، وصلت فى بعض الأحيان الى مستوى التشرد فى بلاد ليست لها غير المادة معبود .

وصل صاحبنا بورتسودان ومن هناك أنسل فى أول باخرة صادفته واختبأ الى أن أقلعت به فما أن ظهر وهى فى عرض البحر حتى أرغموه على أن يعمل بها فى الكنس ومسح الأرضيات والعمل فى مطبخ الباخرة فى تقشير البطاطس وخلافه مقـابل أجرة السفر التى لم يكن يمتلكها وعلى أن ينزلوه فى أول ميناء تصله الباخرة كما تقتضى بذلك قوانين البحار •

فما أن وصل ميناء عدن حتى أنزلوه وبقي بها أربعة أيام اضطره فيها بوليس الجوازات على أن يغادر البلاد لعدم الرغبة فيه كمتعطل وليس معه من المال مايقوم بأوده •

فعاود الكرة فى باخرة أخرى أنزلته فى ممباسا بشرق افريقيا فما لبث أن وجد عملا فى مكتب ضابط الصحة • ومن هناك كتب يتحدث عما صادفه من أحداث وأنه بدأ يتعلم لغة السواحيلى ، اللغة السائدة فى المعاملات فى تلك البـلاد مع اللغـــة الانكليزية •

وما هي الا أشهر قليلة حتى وصلني منه خطاب فجأة من لندن وفيه يخبرني بأنه استبدل اسمه الى المستر لندر ، وكان ذلك في أواخر عام ١٩٢٣ ، وفي أوائل عام ١٩٢٤ وصلني منه خطاب وكنت قد نقلت الى مديرية كسلا ، من طنجة في المغرب الأقصى ، وفيه يعرفني بأنه في طريقه الى الريف لمقابلة الأمير عبد الكريم الخطابي وأنه الآن في خدمة الأمير كمندوب في ألمانيا يعمل على شراء الأسلحة والمعدات الحربية وتهريبها للأمير في حربه التحريرية ضد اسبانيا ، ثم انقطعت مكاتباته فترة ، ولما سافر الوفد المصري برئاسة سعد زغلول باشا الى لندن لمفاوضات سعد ـ ماكدونالد في سبتمبر ١٩٢٤ ظهر فجأة في لندن برفقة الوفد المصري ، وصارت تنشر له الأهرام في الصفحات الأولى تلغرافاته المشهورة مذيلة باسمه « من أحمد حسن مطر بلندن الى رامزي مكدونالد » وكان من أمره أن أسس جمعية الاتحاد السوداني المصري في طنجة وأتتمي ، وهو بعيد الى جمعية اللواء الأبيض السودانية المعروفة وأسس لها فرعا هناك

وقد كان لتلغرافاته تلك في الأهرام وقع حسن في نفوس جميع الذين عرفوه في السودان لكونه أول سوداني يتكلم باسم السودان بشخصه وكانت جريدة الأهرام تعرب كذلك مقالات المرحومين عرفات محمد عبد الله وحسن عثمان اسحق في الصحف الانجليزية •

في قضية السردار

وعندما فشلت مفاوضات سعد ـ ماكدونالد حضر مطر الى مصر قبل الوفد وبينما هو هناك أخذ يسعى عن طريق الأمين الخاص لحاكم السودان العام السير لي أستاك وهو المرحوم « أحمد الطيب » وقد كان من معارفه للعودة للسودان وقد تصادف يوم مقتل السير لي استاك أن مطرا حضر الى وزارة الحربية يسأل عن ميعاد خروج السردار من الديوان وذهب ، وفي نفس اليوم أغتيل السردار عند عودته من الوزارة ، ولذا فقد قبض عليه مع آخرين من السودانيين وبتفتيشه وجدت لديه خطابات مني ، فاتصلت النيابة عن طريق وكالة حكومة السودان بمدير الخرطوم لتسألني عن بعض ما جاء في خطاباتي في فقرات يشتم منها روح المؤامرة والقتل فما

عتم أن داهم البوليس منزلي وأخذ أوراقي ووجد من بينها خطابات منه أيضا تؤيد ما ذهبوا اليه •

وباستجوابي عن بعض الجمل التي وردت فى خطابي اليه وأهمها الجملة الآتية « مسألة المسدس خطرة أما أشياء أخرى فلا مانع » أقنعتهم بأن التاريخ الذى كتبت فيه هذا الخطاب وفيه هذه الجملة بالذات يرجع الى عام ١٩٢٣ عندما كان مطرا فى طنجة ، ويعمل مع الأمير عبد الكريم الريفي اذ كتب يقول لى ــ وخطابه لم يعثر عليه ــ أنه يرغب فى ارسال مسدس لى كهدية ، اذا كان يضمن أن أحد أصحابي فى الجمارك سيساعد على تهريبه لى فأفهمته بأن هذا خطر ، وله أن يرسل أى هدية من أى نوع آخر ، وان حادث مقتل السردار كان فى نوفمبر ١٩٢٤ أى بعد سنة تقريبا من هذا الخطاب ولم يكن مطر يعرف أنه سيذهب الى لندن ويساهم فى القضية المصرية التى تمخضت عن مقتل السردار فأن ليس هناك ما يبرر أن هذه الجملة لها علاقة بمقتل السردار ، كما أنني ليست لى صفة المشورة فى نوع السلاح الذى سيستعمل حتى اذا كان مطر أحد القتلة ، أما الجملة التى وردت فى خطابه لى فتقول « سوف أقوم بعمل تهتز له الأسلاك البرقية » وقد فسرتها بأننى أدركت أنها مبالغة كبيرة يقصد بها التهويل وأننى من معرفتي التامة له أستبعد أن يشترك فى قتل أى حيوان بله أنسان لأنه بطبعه غير غدار • وقد عرفنى مدير الخرطوم أن هذه الأقوال التى سردتها والتى سترسل الى النيابة فى مصر ، ستستدعى مناقشتى فيها عندما يحين نظر القضية أمام القضاء ولا بد لذلك من شخوصى لمصر فى الوقت الذى سيحدد •

وما هى الا أشهر قليلة حتى وصلت الأخبار الى حكومة السودان بأنه قد تم القبض على شفيق منصور وأولاد عنايت وآخرين كمرتكبي هذا الاغتيال وأن جميع السودانيين الذين قبض عايهم قد أفرج عنهم •

وقد كان لهذه الأخبار عظيم الأثر عند والديه الذين ظلا شهورا فى حالة حزن عميق هد كيانهما وقد كنت أول من سمع بالخبر من نائب مدير الخرطوم المستر بيلى، وبدورى نقلته لوالديه مهنئا • فما أن خرج من السجن حتى كتب يقول أن جوابك

الذي تقول فيه « مسألة المسدس خطرة » قد أقام النيابة وأقعـدها ، وأنه قد طلق السياسة ثلاثا ولا يريد أن يبقى ببلاد لا يعرف لأهلها مبدأ ...

مطر يطرد من مصر والسودان

وأضطر الانكليز الى اخراجه من مصر مبعدا سياسيا وكانت ذريعة المصريين فى أسباب أبعاده أنه وان لم يشترك فى مقتل السردار الا أن وجوده فى مصر أصبح غير مرغوب فيه وتولى البوليس المصرى توصيله الى ميناء الاسـكندرية وأعطيت له تذكرة سفر بناء على طلبه الى البرازيل وكان ذلك فى ابريل سنة ١٩٢٥

نشاطه الوطنى فى أوربا

وفى عام ١٩٢٦ عاد مرة أخرى الى أوربا وطاف بفرنسا وايطاليا ثم حط رحاله أخيرا فى برلين حيث اشترك مع آخرين من الألمانيين منهم الهر ولى مونزنبرج عضـو الريخستاغ والهر جبارتى شمدت فى تأسيس جمعية تحرير الأمم المضطهدة وجمعية مكافحة الاستعمار ، وقد كانت كلتا الجمعيتين جزء من حملة شاملة تديرها موسكو فى جميع أنحاء العالم تحت ستار الكمنترن تعمل على الاتصـال بجميع الحركات التحريرية فى العالم ، وكان ضمن الجماعات التى أنتمت اليها حزب الكومنتانج الصينى وحزب الدستور التونسى والحزب الوطنى فى مصر ويرأسه فى ذلك الحين الأستاذ محمد حافظ رمضان ، وحزب سوريا ويرأسه الأمير شكيب أرسلان ، كما أنتمى اليها بعض النواب الاشتراكيين فى البرلمان الانكليزى منهم المستر جورج لانسبرى والسيدة هيلين ولكنسون .

وقد وكل الى مطر ادارة شئون الشرق الأوسط فكان لا بد اذن أن يدخـل السودان فى نطاق نشاطه . فأرسل الى والى أحد أصدقائه حسن رشـدى الموظف سابقا بقسم السكر بالجمارك السودانية ، جميع البيانات عن هاتين الجمعيتين طالبـا الينا العمل على ترويج هذه المبادىء فى السودان والدعاية لهـا كمـا طلب موافاته بتقارير للنشر بكل ما ارتكبه الاستعمار البريطانى فى السودان والرأسمالية الانكليزية كما أرسل عدة نسخ من كراسات للدعاية ومعهـا نشرات وصحائف للتوزيع وختم

خطابه : أنك سترى استقلال السودان على بعد مترين منك وسيكون السودان عاجلا أو آجلا مستقلا فشمر عن ساعد الجهد •

ونظرا لما كانت عليه حالة البلاد من رقابة شديدة عقب حوادث ١٩٢٤ وما جرته على خطاباتي لمطر عند القبض عليه في حادث مقتل السردار ، فقد آثرت بعد روية أن أسلم ما وصلني من هذه الجماعة الى مدير الخرطوم ، وكنت آنذاك موظفا في بلدية الخرطوم ، وخصوصا لأنه أشرك آخر معي ، وهو حسن رشدي ، فلما حملته الى المدير وكان وقتئذ المستر منرو الذي صار بعد تقاعده عضوا في البرلمان الانجليزي وأطلع عليه لم يسعه الا أن يقف على قدميه شاكرا ومرددا أمتنانه لهذا العمل الجليل والولاء المنقطع النظير فخرجت من عنده لا تسعني الدنيا من فرط الزهو وما دريت أن المثل « على نفسها جنت براقش » أنطبق علي ، كنت كما قيل « مخلب قط » فاذا المدير بدوره يبعث بالرسالة الى مدير المخابرات في ذلك الوقت المستر ديفز •

وحيث أنني لم ألق كبير أهمية على موضوع الرسالة فقد أخبرت عددا من أصدقائي بما وصلني من مطر ـ الذي لا يعرف ما نحن فيه وكأنه لم يكتف بما ناله ونالني سابقا فأراد أن يطلع بأخرى جديدة وكنا لم نسمع بمثل هذه الجماعات من قبل ـ أني سلمت الرسالة لمدير الخرطوم فاستحسنوا مسلكي اذ ربما كان عند الحكومة علم سابق بهذه النشرات فسكوتي عليها ليس من الصالح في شيء ، ولربما جر علينا مشاكل نحن في غنى عنها •• ولكن لم يمض يومان على تسليمي الأوراق حتى دعاني المدير الى مكتبه وعرفني أن المستر ديفز يرغب في مقابلتي في منزله وهو المنزل الذي كان يقطنه القائد العام هدلستون على الشاطيء في يوم حدده وكان يوم الجمعة في الصباح الباكر •

فلما ذهبت الى المنزل المذكور لم أكن أتوقع أكثر من الشكر على ما قمت به من عمل ، ولكن بدخولي حديقة المنزل وجدت أمامي حسن رشدي فأدركت أن وراء الأكمة ما وراءها فسألته عن خبره فقال أن رئيسه الميجر فلبس سأله عن خطاب ورد اليه من مطر وطلب اليه أن يحضره وأنه أفهمه بأن فعلا وصله ذلك الخطاب ولكنه

أحرقه لما احتواه من أشياء رآها خطرة ، وعليه فقد أمره بأن يذهب لمقابلة المستر ديفز، فسألنى بدوره عن خطابى الذى وصلنى فعرفته بأننى قد سلمت البضـــاعة لمدير الخرطوم حال وصولها ولم أفكر مثله فى حمله الى المنزل وللتريث فى أمره اذ ربمــا كان مصيره كمصير خطابه ولكننى آثرت اغتنام الفرصة باظهار الولاء وفى نفس الوقت أتخلص من مصائب مطر •

فعلت ذلك وأنا فى تلك السن المبكرة ولم أدر بأن عواقبها كانت وبالا أمتـد مداه سنين طويلة وكان له أسوأ الأثر على مطر فى أيامه المقبلة التى تلت ذلك الخطاب وعلى •

أدخلت وصديقى رشدى الى غرفة المكتب من المنزل فاستقبلنا المستر ديفز هاشا باشا وقدم لنا مقعدين فأبتدر صاحبى سؤاله عن ما فعله بخطاب مطر فأجابه أنه قد أحرقه فقال له اذا وصلتك أية خطابات من هذا النوع فلا تحرقها مرة ثانية بل قدمها لرئيسك الميجور فليبس ، وبذلك تكون قد أديت خدمة جليلة لحكومتك كما طلب اليه أن لا يحاول الكتابة الى مطر تحت أى ظرف ثم صرفه مودعا الى باب المكتب وما أن عاد واستوى على مقعده حتى كرر لى الشكر على هذه الخدمة ثم أردف ـ أننـا نريد أن نعرف الى أى مدى تسير هذه الجمعيات فى حملتها ، وبما أن الظروف قـد خدمتنا لتكون أنت على صلة بها فلا مانع من استمرارك فى الرد عليهم وتزويدهم بما يطلبون من معلومات كما أننا سوف لا نحدد لك الى أى مدى يمكنك معـــاونتهم فأكتب اليهم بجميع ما تراه يفى بغرضهم من فظائع قد تظن أنت وغيرك أن الاستعمار ارتكبها فى بلادك على شرط أن تسلم صورة مما تكتب الى المدير ليرسلها الى الاطلاع عليها وهكذا وجدت نفسى فجأة فى خدمة الاستعمار من حيث لا أحتسب •

وبما أن مطرا وعد فى خطابه أرسال المال اللازم لسير العمل فقد نصح الى المستر ديفز أن لا أطلب منهم أى مبالغ وأن الحكومة ستدفع لى من وقت لآخر ما يعوضنى عما سيصلنى منهم وتفحنى بمبلغ لا بأس به فى تلك الأيام لموظف صـــغير فى سنى ومركزى •

وبما أن جميع أصحابي كانوا يعلمون بخطابات مطر فقد بدت على آثار النعمة وصارت المدينة تتناقل ضخامة المبالغ من الماركات الألمانية التي وصلتني من مطـــر وفيهم من يقول أن مطرا والحكومة تعاونا على ثرائي وكان لهذه الشـــائعات أثرها ، فقد تربص بي اثنان من موظفي البريد أحدهما الآن بالمعاش والآخر لا زال في الخدمة بالتلاعب في خطاباتي التي تصلني من غير طريق المسجل كالمطبـــوعات وغيرها فبدأت أشعر أن خطاباتي تتعرض في طريقها لي لضياع بعض المواد المهمة من أوراق الدعاية والنشرات فما بدأت أتحرى عن ذلك حتى عرفني أحدهم من موظفي البوستة أن هناك مؤامرة كبيرة للحصول على خطاباتي من مطر لما احتـــوته من « ماركات » وذكر لي أسماء أشخاص المؤامرة وهما من ذكرت آنفا فأوعزت الى مدير الخرطوم أن يتخذ مايراه حيال الموظفين المتهمين بهذه المحاولات وفعلا أحضر أحدهما لمكتبـــه وهدده بالويل والثبور اذا لم يكف عن عمله هذا فاتعظ صاحبنا الذي بالمعـــاش وصمت الى الأبد .

وواليت الكتابة الى الجماعة بطريقة لا تمت الى الشبهات بصلة التقـــارير التي ترسل مني حوت كل حوادث ١٩٢٤ من أولها الى آخرها وحادث التمرد الذي قام به ضباط وجنود الكتيبة الحادية عشر السودانية ومناظر معركة المستشفى العســـكري (مستشفى النهر الآن) وصور جثث المرحوم البطل عبدالفضيل ألماظ والجنود وموظفي الخدمة المدنيين الذين أخرجوا من تحت أنقاض ميس الضباط الطبيين الذي دكتـــه المدافع ، على رؤوس الشهداء الذين تسلقوا سطحه بمدافعهم الرشاشة ليصلوا بهـــا جنود الاستعمار من الانجليز نيرانا حامية ، وصور نقل هذه الجثث على ســـيارات النقل ودفنها وصور القنابل الكبيرة التي استعملت ولم تنفجر وكانت في حجمهـــا كالطفل يحملها أربعة من الجنود فيما بينهم على بطانية مبللة بالماء يمسك كل جندي طرفا منها الى أن يصلوا بها الى قارب صغير أمام المستشفى وبصحبتهم الأميرالاى ثويتس بك مدير الأشغال العسكرية ويرموا بها في عرض النهر ثم تعود الجماعة مرة أخرى لمعالجة نقل هذه المدمرات . وقد وضحت على تلك الصـــــور من الخلف كل ما انطوت عليه بأقذع الألفاظ وأشدها أثرا على الاستعمار ، وقد لقيت تقاريري التي

كانت تفيض بالمآسي والأحداث واخراج الجيش المصري وقفل المدرسة الحربيـــة العسكرية واخراج المدرسين المصريين من السودان ، كل تقدير من الجماعة ، وكان أن دعيت من قبلهم لحضور مؤتمر اشتراكي يعقد في بروكســـل في ١٩٢٧ ولكنى اعتذرت عن عدم تمكني من الحضور اليه لارتباطي بالوظيفة الحكومية وان اجازاتي مقيدة أيضا بقوانين لا فكاك منها ، كما ان حضوري قد ينبه رجال الحكومة لما أقوم به من نشاط كانوا في الحقيقة هم على تمام العلم به مما أزودهم به من صور لخطاباتي.

وقد قامت الجماعة بدورها ، وعلى رأسها مطر الذي كان يشرف على كل مراكز الشرق الأوسط بطبع هذه الصور التي أرسلتها كما استعملت مادة قيمة في الخطب التي كان يلقيها مطر في المدن الألمانية الكبيرة ويحضرها الألوف المؤلفة من الشعب

Das memorias de um novo brasileiro

:o:

OBSERVACÕES EM TORNO DAS MINHAS VIAGENS

POR AHMED H. MATTAR

XXVI

Ahmedo H. Mattar, numa caricatura de Mauricio

da outra vez, depois disso, e intimado a deixar o paiz.

A viagem de n. 39, fiz-a quasi como deportado, do Egypto para o Brasil, onde cheguei a bordo do "Giulio Cesare". Aqui dirigi o jornal arabe "Arlaçahad" e fui redactor da secção ingleza da "A Opinião". Visitei a imprensa brasileira, que demonstrou grande sympathia pela causa que eu defendia. Fui director de uma escola de inglez e de arabe. Fiz excellente propaganda da causa do Riff. Foi então que conheci o espirito generoso do sr. João Pallut, que me proporcionou os mais valiosos auxilios, mostrando-se disposto a fundar uma sociedade de soccorros aos filhos do Riff.

Essa instituição só não foi organizada porque tive de partir para reclamar providencias á Liga das Nações. Como me faltassem recursos financeiros para essa viagem, o sr. João Pallut, num gesto que jámais por mim será es-

المقال السادس والعشرين من مذكرات برازيلي جديد وبه رسم المؤلف وهو يشد الرحال .

الألماني وتترجم الى كل اللغات العالمية وتوزع ، وقد وصلتني جميع هـذه الوثائق مدعمة بالصور والاعلانات الكبيرة Posters لتلصق على الحوائط فى جميع بلدان العالم كما كانت تصلنى صور ونشرات عن المآسى فى الصين وغيرها من البلاد التى رزحت طويلا تحت نير عبودية الاستعمار الانجليزى والرأسمالية العالميـة وكنت بدورى أحولها الى مقرها فى ادارة المخابرات والتى علمت فيما بعد من مطـر أنهم أطلعوه عليها جميعها فى وزارة الخارجية البريطانية فى لندن عندما أراد أن يرفع عنه حظر العودة الى بلاده ففوجىء بهذه الوثائق الدامغة لعدائه للانجليز ليس فى السودان فحسب بل وفى كل بقعة من بقاع الأرض وطئتها أقدامهم ، وعليـه فأن الانجليز فى

السودان باستعمالهم لى « كمخلب قط » قـد أصابهم من الضرر الأدبى عن طريقى بنشر جميع مآسيهم فى العالم الخارجى أكثر من النفع الذى عاد عليهم بتواطىء معهم فى كشف أعمال الجماعة والوقوف على مدى نشاطهم فى مكافحة التوسع الاستعمارى ومناصرة الشعوب المغلوبة .

وهذا الشعور قد يخفف على بعض الشىء ما أحسسته من وخز بانقيادى فى تلك السن المبكرة من سنى حياتى لأساليب الاستعمار والمستعمرين وأن أكون طرفا فيما

بيته الانكليز من أصناف التنكيل والتشريد التى تعرض لها صاحبى مطر فيما بعـد بوضعه فى القائمة السوداء فى جميع المستعمرات الانجليزية أو فى البـلاد التى كان للانجليز فيها بعض النفوذ .

وهكذا انتهت فصول هذه المأساة فيما يخص صديقى مطر والذى لم أسمع عنه مرة أخرى الا فى عام ١٩٣٤ ، حين حضر الى مصر كسكرتير للوفد البرازيلى فى مؤتمر البريد العالمى العاشر الذى عقد فى القاهرة ومترجما للمفوضية البرازيلية بها .

وفى عام ١٩٤٩ حضر للسودان لأول مرة بعد خروجه منه فى عام ١٩٢٣ وتقابلنا بعد تلك الفترة الطويلة لنستعرض تلك الأحداث والآن وقد واتتنى الفرصة ، لكى أكتب عن صديقى مطر فأنى أفعل ذلك مستلهما ضميرى فى كل ما كتبت ، ولعلى قد وفيت .

عبد القادر الامين

الفصل الاول

مغامرتى الاولى ...

عندما دفعت ثمن تذكرة الباخرة مقابل تقشير البطاطس !!

تركت بورتسودان على باخرة نقل هولاندية أختبأت فيهـا الى أن خرجت الى عرض البحر فخرجت من وراء أكوام الفحم الى السطح أتمشى ، وكان زيى غريبـا مما لفت نظر البحارة ، والتفوا حولي يسألونى بلغة لم أفهمها ، فأخذونى الى القبطان الذى أرسلنى الى المطبخ للعمل فيه ، وكانت مهمتى تقشير البطاطس ، وهـو مالم أحاوله قط فى حياتى ، ولذلك لم أحسن التقشير ، مما أثار رئيس الطبـاخين فأنهال على شتما بلغة انجليزية مكسرة فأجبته فورا مضاعفا ، فما كان منـه الا أن صفعنى وأرسلنى الى القبطان ، طبعا بتهمة الاهمال فى الواجب ، فأمر هذا بأن أعمـل مع البحارة فى تنظيف الباخرة ومسح الأرضيات فقابلنى رئيس البحارة وفى عربية معجمة سألنى عن اسمى فقلت « أحمد » فقـال « مسلم » فقلت « الحمد لله » فقـال « قرآن كريم » ففهمت أنه يسألنى هل أحفظ القرآن فقلت « هذا من فضل ربى » فقال « بسم الله الرحمن الرحيم » وأشار على أن أجلس فجلسنا ، فقلت « وضوء » فجاءوا بالماء فتوضأت ولما كنت لا أحفظ من القرآن الا سورا من جزئى عم وتبارك حسب المقرر فى الابتدائى آنذاك وكنت أحسن قراءة سورة « تبارك » وهى التى كان يقع على الدور فى قراءتها فى أغلب الأحيان فى المدرسة ، فبدأت أقرأ وكان البحـارة ورئيسهم وقد عرفت فيما بعد أنهم من مسلمى « الجـاوة » تغرورق عيونهم بالدمع لذكر اسم الله تعالى ، وكلما وقفت عند موقف وعيـد ونذير كانوا يهزون رؤوسهم خشوعا بما معناه « أى نعم » وقد أحسنت القراءة واحطتها بكل مظاهر الفقهـاء بوضع يدى على خدى وأذنى وهززت رأسى يمنة ويسرة وهكذا اكتسبت محبتهم ثم صليت بهم أماما فريضتى المغرب والعشاء ، وتماديت أكثر فأكثر ، فأقمت منهم حلقة ذكر التفوا جميعهم حولي يرددون ما أقول « الله حى » يا قيوم وهـو من وحى ما

شاهدته فى الموالد من أنواع الذكر فى واد مدنى ، ولما انتهينا من الذكر جاء اثنان بطشت وابريق وغسلا رجلاى ثم أخلى رئيس البحارة غرفته وأفردها لى ، ثم قدم لى أكلا فاخرا من اللحم والثريد وأشياء أخرى بالبهارات ، وحلف أن لا يشاركنى أحد اكراما وتعظيما لى « كأمام » والحمد لله .

وصلت جدة فى اليوم الثانى عند الظهر ونزلت الى البر فأخذنى بعض الركاب الى الكورنتينة وهى تبعد بضعة أميال من مرسى السنابيك فى ذلك الوقت ، وكنت أحمل خطاب تقدمة من المرحوم طه مسلم الى شخصية عظيمة أمسك عن ذكر أسمها ، فأرسلت الخطاب فى لنش طبيب الكورنتينة فأوصلوه اليه ، واذا فى اليوم الثانى جاءنى رسول يحمل مأكولات معلبة وفواكه وخطاب ترحيب معنون الى الشيخ أحمد حسن مطر وقضيت مدة الحجز الصحى وبعدها دخلت المدينة وأقمت فى منزل مضيفى وقد سعى لى بما له من مكانة فى الحكومة أن أنضم الى الجيش بعد فترة تدريبية قصيرة التحقت برتبة ملازم بالبحرية ، وفى الحقيقة لم تكن لديهم بحرية بمعنى الكلمة فى ذلك الوقت ، ويصح أن تسمى خفارة للسواحل ، وعلى كل فهى تستمد ضباطها وجنودها من الجيش ومهمتهم هى مراقبة السنابيك وملحقاتها من مراكب الصيد الصغيرة التى تعمل فى التهريب وما الى ذلك .

احباط المؤامرة يقودنى لمصير محتوم

وقد مكنت لى مكانة صديقى وظروف عملى التعرف على ضباط الجيش والبوليس وزملائى من فرقة البحرية وفتح لى الجميع قلوبهم ، فلمست أن هناك حركة استياء قوية مبعثها سوء الادارة من بقايا الأتراك الذين لا زالوا فى خدمة الشريف حسين شريف مكة والذى كان لا يزايل مكة مطلقا ، وفداحة الضرائب وطرق جبايتها ، وتقصير الحكومة فى عدم دفع المرتبات واضطراب حالة الأمن بفعل غزو البدو والحجاج وقتلهم وسلبهم ، كما علمت أن حركة الاستياء هذه ماهى الا ارهاصا لقيام ثورة تتجاوب مع أخرى فى الرياض يقوم بها الأمير فى ذلك الوقت عبد العزيز آل سعود ، فاندمجت بينهم وأصبحت أحضر اجتماعاتهم السرية الليلية ، وهكذا تفتح ذهنى لأول مرة بعد تركى بلادى الى هذه الأجواء التى لا عهد لى بها ، وكان

مضيفى رغم بعده من الحياة العسكرية ممن يعطفون على هذه الحركة ويغذونها بتوجيههم وارشادهم ، أملا فى أن يكون انقاذ البلاد مما هى فيه على أيديهم ، أو على الأقل الى أين يصل المنقذ الحقيقى الأمير آل سعود ، وقد كتب لهذه الحركة أن تموت فى مهدها قبل أن يستفحل أمرها بأن اكتشفت بطريقة مجهولة ، وداهمت الاجتماع الذى كنا نعقده من وقت لآخر ، وكان عددنا أربعة عشر رجلا ، شرذمة من رجال الدرك ومعهم ضباطهم فاقتادونا الى المحبس فأسقط فى يدى اذ لم آكن أتوقع أن يحدث هذا وكان مبلغ ظنى أن هذه الحالة عامة ، وان الجميع يشتركون فيها ، ولم أدر أنها حركة قوامها فقط هم هؤلاء الذين كنت أجتمع معهم ، وعندما بدىء فى التحقيق معنا تدخل فى شأنى السيد فؤاد الخطيب وكان فى مصلحة المعارف بالسودان، ثم صار مستشارا لخارجية الحجاز عن طريق صديقى ومهد لى العودة الى السودان فسلمونى الى القنصلية الانجليزية فى جدة التى تولت سفرى .

وبهذه الطريقة نجوت من المصير الذى تردى فيه بقية رفاقى من الضباط فمنهم من أعدم ومنهم من سجن الى أن خلصوا على أيدى السعوديين فى عام ١٩٢٤ ، أما صديقى فقد قابلته عام ١٩٥٤ وتذاكرنا تلك الأيام لأول مرة بعد أن فارقته فى عام ١٩٢٢ على الصورة التى ذكرت ولولا رغبته الخاصة لما أحجمت عن ذكر أسمه تقديرا لفضله ووطنيته .

لقد كان لهذه الرحلة أثرها فى نفسى وأصبحت صورة مطبوعة فى قرارتها خرجنا من أم درمان حيث ولدت وما زالت قرية لم تمتد لها يد العمران وركبنا القطار السكة الحديد الى سواكن ميناء السودان فى ذلك الوقت فلقيت بلدا متحضرا فيها كل ما يمكن أن تقدمه حضارة تلك الأيام من مظاهر فالمبانى الشاهقة من الحجر والأسواق والحوانيت والأزياء المختلفة من هنود ومغاربة وأتراك وعجم وأفغان ومصريين وحجازيين وغيرهم ـ ثم الى جدة وهى لا تقل عن سواكن فى شىء ثم الى مكة وبعدها استقر بنا المقام فى المدينة المنورة ـ وفى رحلة عودتنا من الحجاز عن طريق الشام ومصر الى وادى حلفا بالسودان ـ كل هذه الصور اذا ما قورنت بالبلد الذى خرجت منها ـ أم درمان يتضح البون الشاسع الذى ارتسم فى نفسى عن الحياة فى بلد السودان والبلاد التى رأيتها .

البسكليت كان رجسا من عمل الشيطان

وعقب وصولنا وادي حلفا سافرنا الى واد مدني للاقامة فيها وهنا أذكر على سبيل المثال أن أحد الأجانب وهو على ما أذكر وكيل لشركة ماكينات سنجر للخياطة أحضر « دراجة » ليركبها لتأدية أعماله فى المدينة ولأول مرة خرج بها فى عصر يوم فتلقفه الصبية فى الشارع وأخذوا يحصبونه بالحجارة فأسرع بدراجته ولكنهم تتبعوه وكل حي يمر به كان يزداد عدد الصبية وتزداد الحجارة وقد أصاب الرجل ما أصابه وهو فى كل مرة يحاول الخلاص من شرزمة فيقع فى أخرى أشد ايذاء وهكذا عاد الرجل الى منزله بعد الغروب وقد آلى على نفسه أن لا يركبها مرة أخرى وعليه آثار تلك المعارك ـ قد تسأل لماذا كل ذلك ـ فأقول انه لم يحدث أن رأى أطفال واد مدنى قاطبة دراجة من قبل ـ وأنا كنت قد رأيتها كثيرا ـ وكان الأطفال فى جريهم وراء الرجل ليرجموه بالحجارة باعتباره شيطانا يركب حمارا من حديد أو «النصرانى راكب حمار الحديد » كما كان الصبية يسمونه ويصيحون من خلفه .

لازمتنى هذه الحالة النفسية وكنت دائما أجتر الذكريات عن تلك البلاد الجميلة التى رأيتها وكانت أحب الساعات الى هى التى أقضيها فى المدرسة فى حصة الجغرافيا دون الحصص الأخرى وفى مراجعة دروس الجغرافيا فى المنزل .

أتممت تعليمى الابتدائى فى واد مدنى ثم حضرنا للخرطوم بأمل الدخول فى القسم الثانوى فى كلية غردون ، ولكن والدى كان فقيرا فأغرانى لأعمل فى الحكومة لأساعده ، وهكذا دون قصد توفر لى المال للسفر . وبذلك وجدت الفرصة سانحة لأهاجر ـ وقد كان فى وسعى أن أهاجر الى مصر أو غيرها ولكن الحجاز (المملكة العربية السعودية حاليا) البلد الأول الذى عرفته وحيث مرتع الطفولة ـ فسافرت الى جدة ولكن الحظ لم يلازمنى فانخرطت فى سلك مؤامرة لاحداث انقلاب للالتقاء بثوار الملك الراحل عبد العزيز ضد الشريف الحسين بن على فقبض على وسلمت للقنصلية الانجليزية هناك وقامت هذه بارجاعى الى السودان من حيث أتيت .

الفصل الثانى

سفرى للخارج للمرة الثانية

شققت طريقى الى العالم الواسع وانا لا املك شروى نقير !!

أقول للمرة الثانية ، لأن رحلتي الأولى الى الحجاز فى عام ١٩٢٢ فى عهدالشريف الحسين بن على انتهت بتلك المؤامرة المشئومة فأبعدت الى السودان بواسطة القنصل الانجليزى كما تقدم ذكره فى الفصل السابق ، وفى اليوم الثانى من يونيو سنة ١٩٢٣ تركت الخرطوم بالقطار الى بورتسودان على الرغم من معارضـــة والدى اللذين لم أطلعهما على ما قررته من عزمى على ترك البلاد نهائياً ، « وبعـــد أن أقمت أياما فى بورتسودان انتهزت فرصة وجود أول باخرة بالميناء فدخلتها مع الداخلين قبل اقلاعها بقليل بنفس الطريقة السالفة الذكر الا أن عملى فى هذه المرة كان تنظيف سطح المركب الى عدن وهناك أنزلونى ، وبما اننى لم أكن أحمل جوازا فقد رفضت سلطات الميناء والبوليس بقائى بالمدينة الا ريثما أجد باخرة أخرى تقلنى الى بلد آخر ، وبعد أربعة أيام أقلتنى باخرة أخرى بنفس الطريقة الى ممباسا (افريقيا الشرقية) حيث وجدت عملا فى مكتب طبيب الصحة بمرتب ٦٠ روبية شهرياً ، مهد لى سبيله الســـيدان مبارك بن على وعلى بامكلا وكلاهما من الشبان المثقفين الناهضين وكانا يتوليان ادارة ناد ثقافى عربى ويصرفان عليه من مالهما الخاص وقد أضافا وأكرما أى اكرام ســـعد زغلول وفتح الله بركات وغيرهم ممن نفاهم الانجليز الى جزيرة سيشل وهذه قريبة جدا من محل اقامتهم فى ممباسا . واليوم أسجل ذلك بمداد الفخر وأشكر لهما هذه الوطنية والفضل العظيم أكثر الله من أمثالهما ، وبدأت فى تعلم اللغة الساحيليـــة وهى اللغة السائدة فى البلاد مع اللغة الانجليزية ، ولم أكد أمضى أكثر مـــن شهرين حتى وجدتنى أتوق الى الهجرة والمغامرة من حياة العمل الرتيبة فى قيود الوظيفـــة التى تركت السودان من أجلها ، فسافرت الى جيبوتى ومنها أخذت الباخرة الى بورسعيد فوصلتها فى اليوم الخامس والعشرين من اكتوبر ومنها الى القاهرة حيث مكثت أياما

وقد أعملت الرأى على السفر الى أوروبا فعدت الى بور سعيد ومنها أخذت الباخرة الى مرسيليا وهذه أول مرة أدفع فيها ثمن تذكرتى ميمما شطر أوربا تلبيـــة لذلك الاحساس الخفى الذى ملك على تفكيرى واستحوذ على مشاعرى ، الى ذلك الغيب الذى ينتظرنى فاما نجاح واما فشل ، أو على الأقل أن أكون قد أشبعت تلك الرغبة الجامحة للسفر وعدم الاستقرار ولأحقق تلك الأمنية التى لازمتنى منذ نعومة أظافرى فى الطواف حول هذا العالم الذى سحرت به ، وأنا لم أبلغ مبلغ الرجال بعد ، وليست لدى من أسلحة لتحفزنى لاقتحام مسالكه ودروبه الشائكة الا روح الاقدام والمخاطرة التى أصبحت جزءا من دمى الذى يجرى فى عروقى واستمد منه أسباب الحياة .

وصلنا مرسيليا وهبطت من الباخرة وكان القدر حفيا بى اذ ســاقنى للتعرف على أحد اخوانى من النوبيين ويدعى « صادق » كان يملك قهوة وبارا فى ميــدان جوليت رقم ١٤ وكان منزله فى الطابق الأعلى وقد وصلنى منه خطاب فى السنة الماضية بأنه يدير فندق العروسة بمصر ويرجو منى أن أخبر أصدقائى أن ينزلوا عنده ، وكان متزوجا من سيدة ألمانية وله منها فتاة تدعى لفن وهــو اليوم يعمــل « بارمان » فى فندق جزيرة بالاس بالقاهرة بعد أن فقد زوجته وكريمته فى الحرب الأخيرة عنــدما أصابت منزلهما قنبلة اصابة مباشرة أودت بحياتهما .

تنظيف النحاس مقابل اجرة السفر

استضافنى صادق فى منزله فكان لى نعم الأخ والرفيق ونمت بيننا صداقة وطيدة زادت على الأيام فأصبح محله فى مرسيليا ملجــأى فى كل الأوقات التى أقيمهـــا فى المدينة ، كما أصبح « وكرا » لكل الاجتماعات السرية التى أعقدها بخصـــوص الريف كما سيأتى بعد . وعن طريق صادق بدأت أعطى دروسا فى اللغــة الانجليزية لأكسب بعض المال . واتخذت لنفسى اسما جديدا بدلا من « مطــر » الذى لازمنى طويلا ووقع اختيارى على « فريدريك هربرت دي لندر » كما كان يعنى هو وزوجته وكريمته فى تعليمى اللغة الفرنسية ، وبعد فترة من الوقت سافرت الى نيس
وتعرفت على مواطن سودانى يدعى « على عثمان » صــاحب قهوة وبار الكابيتول

Capitol وكان من أرقى مقاهى المدينة وقد كان الخديوى عباس حلمى يشرفه بالتردد عليه عندما يحضر بيخته الى نيس ويقيم فيها ، وقد لقيت من هـــذا المواطن الكريم كل حفاوة وتقدير كما شملنى بعنايته أثر وعكة ألمت بى هنـــاك ادخلنى من أجلها المستشفى ، فما أن بارحت المستشفى حتى ألقيت بنفسى فى أول باخرة وكانت وجهتها ليفربول تدعى « البارون رنفرو » وبنفس الطريقة اياها وهى أن أعمل بالباخرة مقابل أجرة السفر وكان على هذه المرة تنظيف النحاس فى أقفال الأبواب والشبابيك

كيف نجوت من التسمم بالغاز

وصلت لندن وأقمت فى فندق متواضع وحرفت الاسم ليطـــابق الانجليزية فجعلته : ف.ه.لندر F.H.Lender ومن هناك كتبت عدة خطابات أحدهما لصديقى عبد القادر أنبئه فيه بوصولى لندن العتيدة ، وكان وصول سودانى الى لندن فى ذاك الحين أعجوبة . وانى ذهبت لرئاسة شركة بيرسون وولده ليمتد التى كنت أعمل معها فى مكوار بالسودان قبل رحيلى ، ولكن بعد أيام حدث لى حادث كان على وشـــك أن يودى بحياتى ، فلم أشعر بنفسى الا وأنا فى مستشفى سنت برثلميو اصم وأعمى من تسمم بالغاز بعد أن نقلت من غرفتى فى اللوكاندة التى أسكنها . اما كيف حدث هذا ؟ فهو لم يكن لى سابق عهد بالغاز فنمت بعد أن أطفأت اللمبة دون قفل الغـــاز ، وقد لقيت من العناية فى هذا المستشفى « المجانى » ما يدل على عظمة هؤلاء القوم فى بلادهم . وقد بقى هذا الحادث عالقا بذهنى وهذا الجميل مطوقا عنقى الى أن عدت الى لندن فى ١٩٤٩ وكانت حالتى المالية حسنة ، فطلبت من المستر ديفز وكيل حكومة السودان فى لندن أن يتقبل منى كذا من الدولارات الامريكية ليحولهـــا بدوره الى سلطات مستشفى سنت برثلميو كتبرع منى تقديرا واعترافا بذلك الجميـــــل وتلك العناية التى أولونى اياها فى ديسمبر ١٩٢٣ أى بعد أكثر من ربع قرن بالتمام والكمال فقبلها الرجل وأنا له من الشاكرين .

وفى خضم هذه الذكريات المتتابعة والتى تتدافع فى مخيلتى راغبة فى الانطلاق، أذكر أن عنيت بحلق ذقنى لأول مرة فى تاريخ حياتى ، فقد كنت أمرد الى يوم حادث

التسمم بالغاز ، ولم تعرف الموس الى وجهى سبيلا ، وقد عزيت ذلك الى فعل الغاز وليس من فعل السن ، وقد ناهزت السابعة عشر من عمرى ، سخرية من نفسى ، وكان ذلك فى اليوم الثالث والعشرين من ديسمبر عام ١٩٢٣ .

وبعد عيد الميلاد « الكريسماس » استقبلت العام الجديد فى باريس ومنها الى مرسيليا التى بارحتها فى اليوم الثانى من فبراير ١٩٢٤ الى طنجة فى مراكش ، وقد بيت أمرا .

عام ١٩٢٤ ـ بدأ كفاحى السياسى

منذ أن وطأت قدمى أرض فرنسا فى مرسيليا بدأت أستمع فى شوق وشغف الى أخبار الريف المراكشى وبطله الأمير محمد عبد الكريم الخطابى فى حربه ضد الاسبانيين من جماعة المغاربة الذين يعملون فى ميناء مرسيليا وكانت أخبار هذه الحرب تطفح بها الجرائد الفرنسية والانجليزية ، فكنت أتتبعها وأشعر بنشوة فرح عندما تنزل بالمستعمرين هزيمة منكرة فى موقعة ما وتتناقلها الأفواه ، لعدم وجود التكافؤ الحربى بين المتحاربين فهذه دولة أوربية قوية برجالها وعتادها وطائراتها تتعرض لهزائم متعددة يوقعها بها شعب أعزل الا من قوة الايمان أو بأسلحة هى فى غاية القدم ، وأن تتصارع القوتان رغم ما بينهما من تفاوت ثلاث سنوات والحرب بينهما سجال هذه قوة طاغية تريد تثبيت أقدامها فى بلاد رغم أنف أصحابها وهذا شعب مهيض مستعبد يريد أن يتحرر ويرد الغزاة على أعقابهم ، صراع بين الحق فى جانب شعب وباطل فى جانب المستعمر الغاشم .

ولقد تفتحت عقليتى لأول مرة فى تلك السن المبكرة عن ماهو الاستعمار والمستعمرين بما ألقاه علي كفاح ذلك الشعب المجيد ، شعب المغرب العربى ، من درس فى الوطنية وكان حافزا لى فيما قمت به فى سبيل تحرير بلادي ، وأنا مغترب خاصة وجميع الشعوب المستعبدة عامة ، كما سيتضح للقارىء فى حينه ، وكان البطل الأمير محمد عبد الكريم الخطابى هو مثلى الأعلى فى ذلك الوقت وسيظل مثلا حيا فى نفسى مادمت ، ولذلك قررت بعد عودتى من لندن أن أسافر الى طنجة وهي المدينة

الدولية في المنطقة الخليفية التي تقع تحت نير الاستعمار الاسباني وأن أعمل على الاتصال به في داخل الريف حيث اتحدت مقاطعات الريف الثلاث ، الريف وعمارا وجبالا تحت قيادته على طرد المستعمر .

اتصالاتي السرية مع الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي

وصلت طنجة في اليوم الثاني لقيامي من مرسيليا ، وهناك تعرفت على السيد



الكورنيل مصطفى ابراهيم دي كورتان قومندان بوليس طنجة

مصطفى ابراهيم ديكورتا قومندان البوليس الدولى فى طنجة ، وهو من أب سويسرى مولود فى المغرب الأقصى ومتزوج من سـيدة مصرية ، وزكى اليهودي وكان تاجر أقمشة فى « سوكوتشيكو » أى السوق الصغيرة ، وصغيرة بمعنى ضيقة للغاية حتى لا تتسع للحمار اذا كان يحمل جوالا أن يسير فيها .. الا اذا التصق المـارة من كلا الجانبين على الحوائط المتقابلة .. ولا يكاد عرضها يزيد عن المتر والنصف ،وتعرفت أيضا على السادة المنبى وهو من الأعيان وعبد القادر التازى (نائب السـلطان) فى طنجة ، ونجله جسن وقاسم الدوكالي وهو تاجر ومن الأعيان ووكيل الجلاوى باشا، وعن طريقهم تعرفت بمولاى السلطان عبد العزيز الذى تنازل عن العرش فى سنة ١٩٠٨ لأخيه مولاى عبد الحفيظ تحت ضغط فرنسا ، والذى بدوره أرغم على التنازل عن عرشه فى سنة ١٩١٣ وخلفه مولاى يوسف الذى توفى وخلفه ابنه مولاى محمـد الخامس بن يوسف عام ١٩٢٧ ثم خلعه الفرنسيون فى سنة ١٩٥٢ ونفوه خارج وطنه وكان يقيم مولاى السلطان عبد العزيز فى سراية على جبل مارشان فى طنجة ، وكان يساعدنى سريا بالمال والأخبار والارشادات ، عندما وقف على مهمتى وهى الاتصال بالأمير عبد الكريم والعمل على مساعدته بكل ما يسعنى من عون ، وقد توج مجهودى أخيرا عندما اتصلت سريا بمندوب الأمير عبد الكريم السرى السـيد علال الفاسي ، وأطلعته على رغبتى فذكر لى الصعاب الكثيرة التى تعترض اختراق منطقة الريف كما أنه ليس فى وسعه أن يعمل شيئا سوى أن يقوم بنقل رسائلى له بوسـائل سرية يحملها اختصاصيون ويعودون برسائل شفوية من عنـده ، وان الرسـالة الواحدة تكلفنى ما يوازى خمسة جنيهات تدفع « للرقاص » وهو الذى يحمل الرسـالة بين الجبال والوديان وعبر خطوط النار ، وقد أرسلت للامير ثلاث رسائل عن هـذا الطريق وصلتنى ردوده الشفوية بالتعليمات عن كل رسالة على حده ، وبينمـا كان يجرى كل ذلك فى الخفاء ، التقيت صدفة فى أحد المقاهى بالكابتن مندى وكنت أعرفه من ممباسا عندما كان ضابطا فى فرقة المدفعية الخفيفة ، وهو انجليزى يسكن فى طنجة ومعه زوجه ، دون أن يكون له عمل ظاهر فى المدينة وعرفنى أنه اضطر للسـكن فى المغرب لقلة موارده الخاصة ولانخفاض تكاليف المعيشة ، وبأنه يعول على ما يصـله

من والد زوجته من اعانة شهرية ... فلما طلبت اليه أن أشاطره المسكن وهو أكبر من حاجتهما ، قبل ذلك على شرط أن أعاون السيدة زوجه فى الطبخ وتنظيف الأوانى فقبلت وأنا الرابح فكنت أقوم مبكرا لأحضر شاى الصباح لى ولهما ثم أعد الافطار ونجلس جميعا على مائدة واحدة لنتناوله ، ولكن السيدة زوجه كانت أكرم منـــه فصارت تعفيني من العمل للغذاء بعد أن أحضر لوازم اليوم من السوق ، ثم تتركنى انقطع لعملي الخاص وفى نفس الوقت قدمنى الى الكابتن غردون كنتج وهذا كلفنى ببيع منجم للبترول عند سفرى الى لندن فاندهشت كيف ان هذا الرجل وهو أقدر منى وأعرف منى لا يبيعه مباشرة ... ولكن زالت الدهشة عنـدما علمت ان المنجم يقع فى منطقة قتال متنازع عليها بين الريف والاسبان .

تاسيس جمعية اللواء الابيض والاتحاد السودانى المصرى

ولم يمض شهر على اقامتى حتى جمعت حولى بعضا من شباب المغـرب الذين تأكدت من ولائهم للامير عبد الكريم وألفت لهم جمعية سرية سميناها اللواء الأبيض على غرار جمعية اللواء الأبيض السودانية وانها ترمى وتنتمى الى السودان واتخذنا لنا شفرة خاصة للمراسلة فيما بيننا ، وقد وجدت هـذه الشفرة بالذات فى أوراقى عندما قبض على فى حادث مقتل السردار فى القاهرة وجمعية الاتحاد السودانى المصرى وطبعت لها كروتا فى وسطها يدان متصافحتان تحت احداهما مصر وتحت الأخـرى السودان ولما لم تكن هناك حتى ولا صحيفة واحدة ، فقد أنشأت صحيفة « النظام » فى حجم صغير تصدر كل أسبوع وكانت تعنى بالدعاية للامير وتطبع على ماكينة طباعة صغيرة تدار بالرجل وبلغ ما طبع منها فى الاسبوع الواحد ٨٠٠ نسخة ، كما سافرت داخل مراكش الفرنسية الى تطوان ــ مليا ــ القصر الكبـــير ــ العرائش فاس ــ مكناس ــ وكازبلانكا (الدار البيضاء) وتحادثت مع (باشوات) اى حـــكام تلك المراكز وقابلت الجلاوى باشا والسنيور بريمودى ريفيرا فى مليا والماشال ليوتى ، وكنت انشر فى صحيفتى اخبار تلك المقابلات مع تصريحات اولئك الحـــكام على علاتها ، وقد افدت كثيرا من سكنى مع الكابتن مندى ، فقد كنت اسكن فى غرفة منفصلة تتصل مع الباب الخلفى للمنزل ، وعن هذا الطريق كنت استقبل السيد علال

الفاسي وأعضاء الجمعية السرية لعقد اجتماعنا فى جنح الليل دون أن تثار أى شبهـة حول المنزل ، واستمر بى الحال على هذا المنوال الى أن وصلنى من الأمير عبد الكريم موافقته على قيامى بالداعية له فى أوربا ، والسعى لمشترى الاسلحة وتهريبها واستخدام ضباط اوروبيين لتدريب الريفيين على فنون القتال واستخدام الاسلحة الحديثة وكان كل ذلك بعد موقعـة « عذيب الميدار » التى قاد معركتها الجنرال سلفسترى الذى انتحر بعد الهزيمة المنكرة التى أنزلهـا به الريفيون ، ومن غريب المصادفة أن يكون هذا الجنرال المنكود صديقا حميما للامير ، عندما كانا ضابطين صغيرين فى اسبانيا ، وكانت للامير معرفة قوية بوالدته وأخته فما أن حضرا لاستلام جثته حتى كان الأمير قد قدم لهما كل المعونة فى الوصول الى داخل الريف،وواساهما وسلم اليهما جثته ، وقد كانت هذه المعركة من الأسباب القوية التى حملت الفرنسيين على الدخول فى الحرب تلك لمعاونة اسبانيا فى القضاء على حركة التحرير .

ورغم اشتغالى بحركة المغـرب بدأت تصلنى عن طريق الصحف الفرنسية والانجليزية أخبار السودان والمظاهرات التى قامت والمحاكمات فتمنيت أن أكون بالسودان لأقوم بدورى وقد عرفت الآن عن العالم أضعاف ما يعرفون فكتبت خطابى المعروف لصديقى عبد القادر الأمين الذى عرضت فيه أن أرسل اليه « مسدس » لتوفر وجوده هنا فى طنجة وكان رد خطابى ذاك هو خطابه الذى احتوى الجملة التى سبق الاشارة اليها فى فصل سابق « مسألة المسدس خطرة ـ أما أشياء أخرى فلا مانع » تلك الجملة التى كان لها فى قضية السردار فى القاهرة صفة البرهان القاطع على ارتكاب الجريمة ، كما حددها المحققون ، وبحلول شهر سبتمبر من تلك السنة عرفت عن طريق الصحف باعتزام المرحوم سعد زغلول باشا الحضور الى لنـدن لمفاوضاته المشهورة « سعد ـ ماكدونالد » وكان قد مضى على فى طنجة نحو السبعة الأشهر .

النشـــال المثقف

حـــدث فى أحد الأيام وكان الضبـــاب ينشر خيوطه على مينـــاء مرسيليا فى الصباح الباكر حينما أبصرت شبحا مقوس الظهر يجلس مضطربا وقلقـــا فى ركن من مقهى صادق وكنت نازلا لتناول طعام الافطار فذهبت اليه وقلت :

ـــ صباح الخير

ـــ صباح الخير يا سيدى

ـــ هل تشكو شيئا ؟

لا ولكنى فقط أنتظر ذوبان هذا الضباب لأذهب الى السفارة البريطانية لآخذ بطاقة أتناول بمقتضاها افطارى ، فطلبت له بسكويت وقهوة وســـــألته وكيف ذلك فقال ان الرعايا البريطانيين المفلسين منهم المحتاجين العابرين تعطيهم القنصلية بطاقات للنوم لكل وجبة من الوجبات وان المسافة بين القنصلية ومطعم الوجبات بعيـــد جدا فلا أكاد أصل وأتناول وجبة حتى أعود للقنصلية لآخذ بطاقة أخرى .

وأسرعت وأحضرت اليه بعض « الساندوتشات » فالتهمها سريعا وهـــو يتمتم أنت رجل طيب .

منذ تلك اللحظة توطدت صلاتى بمستر كولى وكثيرا ما أخذته ليتناول طعامه معى . وجاءنى ذات يوم مهرولا : اسمع أنا عازمك النهارده على العشاء وضحكت وأنا أقول له : ـــ عشاء ايه يابنى هو انت لاقى تأكل . فقال : أننى رجـــل غنى ومن أسرة انجليزية ثرية أسرع هيا .

وارتديت ملابسى سريعا وأقلنا تاكسى الى محطة سكة حديد مرسيليا وجلسنا على أحد المقاعد المعدة عادة للمستقبلين وعندما دق الناقوس معلنا قيام القطار ولج مستر كولى سريعا الى داخله وأنا فى ذهول مما يجرى وتحرك القطار وقفز الرجل منه وسار فى الطريق المضاد لسير القطار وهو يحثنى أن أسرع للحاق به كان يمشى مهرولا وبخطوات سريعة ، حتى أخذنا تاكسيا الى أفخم مطاعم البلد ، وصرف الرجل مبلغا

طائلا على عشائنا الفاخر ، ثم طلب منى أن أنزل فى فندق فاخر على حسابه بدل المكان الذى أنا فيه عند صادق .

ولكنى سألته . من أين له هذا الثراء ؟ فرد ببساطة ــ اننى ياسيدى لص، أنتهز الفرصة التى يوشك فيها القطــار على التحرك فألجأ اليــه حيث الجيوب المنتفخــة « وأنشن » على واحد منها ، أنشل فى الوقت الذى يبدأ فيه القطار بالتحرك وأنزل

الفصل الثالث

انطباعاتى فى اولى رحلاتى الى البرازيل

عام ١٩٢٥

أقلعت الباخرة كما قلت من ميناء الاسكندرية قاصدة جنوا للمرة الثانية ، من ميناء مصري ، المرة الأولى من بور سعيد لمرسيليا فى أول رحلة الى أوروبا مغامرا متطلعا الى آفاق بعيدة فى هذا العالم الذى خرجت اليه بمحض رغبتى واختيارى ، بينما أخرج الآن طريدا شريدا معطوب الأمل وفى نفسى حسرة ، هذه بلادى حيث أبوى واخوتى تحول الأوضاع الجائرة دون وصولى اليهما كما تنكر البلد الشقيق (مصر) الذى آوى من غيرى الكثيرين من شذاذ الافاق البعيدة ووجدوا فيها أمنا ودعه يشرد بنوها لغير ما ذنب جنوه ولكن ارضاء للمستعمر والخضوع لمشيئته

بلاد لم أعرف لأهلها مبدأ ...

خرجت كما قلت فى خطابى لصديقى عبد القادر — من بلاد لم أعرف لأهلها مبدأ — فيها ذقت السجن لأول مرة والحرمان حتى من الحرية الشخصية كبقية عباد الله بعد أن زايلته . وقبل سفرى تعرفت فى أجزخانة محمد على بالقاهرة على شاب ايرانى كان كما قال رئيس طهاة شاه العجم وتاجرا فى الفليبين وطلب أن يرافقنى فى الرحلة فقبلت تفضل وسافرنا سويا معتمدا على أن أساعده فى المغترب .

لقد كان لهذه الانطباعات مجتمعة أثرها العميق فى نفسى من الناحية العاطفية ، كما كانت حافزا قويا لأن أكافح وأجاهد فى الحياة وقد صقلتنى التجارب العنيفة فى هذه المدة القصيرة حتى أتمكن من أن أرد الى نفسى كرامتها المهدورة وأبدد ما تجمع عليها من عقد وما تراكم من يأس وقنوط وأن أوجه نقمتها الوجهة الصحيحة — نحو الاستعمار والمستعمرين بدلا عن تلك الأمة المغلوبة على أمرها (مصر) — وقد حققت الأيام فيما بعد الفرصة التى مكنتنى أن أكون حرباعوانا على الاستعمار وأن أسهم مع آخرين فى تسديد الضربات تلو الضربات للاستعمار ليس فى الشرقين الأدنى

والأوسط فحسب بل وفى كل بقاع الأرض حيثما وجد له أثر كما سيتضح للقارىء فى حينه •

تعرفت فى الباخرة الى السيدمحمود خيرى ــ من البيت المالك المصرى ــ الذى كان فى طريقه الى أوروبا وقد أظهر لى عطفا كبيرا واقتسم بينى وبينه المبلغ الذى كان قد حمله لمصروفه الخاص فى الرحلة على الباخرة فكان نصيبى عشرة جنيهات قائلا لى: « قلبنا معك »

فى الطريق الى عالم جــديد

أخذت القطار من جنوا الى مرسيليا لمقابلة صديقى « صادق » وكالمعتاد قضيت معه يوما واحدا ، ثم ودعته وعدت الى جنوا بالقطار لأستقل الباخرة «يوليوس قيصر» الى البرازيل والتى أقلعت بنا يوم ١٤ مايو سنة ١٩٢٥ •

استغرقت رحلتنا الى البرازيل احد عشر يوما وكانت الباخرة تحمل عددا كبيرا من الايطاليين وغيرهم من جنسيات حوض البحــر الأبيض المتوسط وجميعهم ممن تنكرت لهم الأيام فى أوطانهم فخرجوا مهاجرين الى ذلك الفردوس الموعود وكل يحمل بين جنبيه أملا فى حياة جديدة ومستقبلا باسما مشرقا ، قضى هذا القطيع من البشر مدة الرحلة فى فرح ومرح وصخب لا يهدأ فكل أنواع الآلات الموسيقية فى العالم كانت موجودة بينهم فما ان يشرق الصباح حتى تبدأ فى عزفها المتواصل الذى لا ينقطع طيلة النهار وجزءا من الليل يتخلل ذلك الأغانى بجميع اللغات والرقص وفرقعة زجاجات النبيذ ، فكأنى بهم وقد وقفوا على سر الحياة لا يلوون على شىء سوى ماهم فيه الى أن تثقل الرؤوس من الشرب وتنهد القــوى من التعب فيستسلمون الى نوم عميق هادىء دون الاكتراث لفراش أو غطاء فتراهم وكأنهم صرعى معركة كل بما عليــه من لبس أو زى وكأن الحياة التى وقفوا على سرها لفظتهم الى خارج محيطها •

وفى اليوم الحادى عشر ، وفى ليلة قمراء تنعكس نجومها المتلألأة على صفحــة المحيط الساكنة الرقراقة لاحت لنا فى الأفق البعيد أضواء شاطىء الدنيا الجديدة كعقد من الأحجار الكريمة يخطف سناه الأبصار ••• ومن ثم كبحت باخرتنا سرعتهـــا

وأخذت تتهادى برفق كأنها تسبح بحمد ذلك الجمال الباهر وتخشى أن تفسد روعته بضجيج آلاتها ...

وما كدنا نقترب من الشاطىء حتى اتضح لنا أن الساحل عبـــارة عن خلجان صغيرة تتلاحم فى سلسلة طويلة تزينها الثريات الكهربائية الوضاءة . وقد بهر ذلك المنظر البهيج نفوسنا وبعث فينا الآمال الطوال وأيقنا بأننا على أبواب الفـردوس . فعم البشر كل ركاب الباخرة وطفحت وجوههم بالفرحة . فميناء ريودى جانيرو ــ فى الواقع ــ من أجمل موانىء العالم الخمس وهى : اسطنبول ــ سان فرنسسكو ــ سدنى ــ نيويورك ــ ريودى جانيرو . وقد شاهدتها كلها وأعجبت بها ايما اعجاب.

الوصول الى البرازيل

نزلنا الى الشاطىء بعد اجراءات الهجرة ولم يبق فى جيبى أكثر من ثلاث‌جنيهات فوجدت سكنا فى لوكاندة أوروبا وبعد أن اطمأننت من اقامتى خرجت ارتاد المدينة لأتعرف على معالمها فزرت المتاحف والأماكن ذات الأهمية فى المدينـــة كما أفعـــل دائمـــا عنـــد زيارتى لأى بلد لأول مـرة . وقضيت ثلاثة أيام وأنا أخـــرج فى الصبـــاح الباكر لأرتاد أمكنـــة مختلفـــة غير التى زرتها بالأمس وأعود فى المساء ، ومنها « قمع السكر » وهو عبارة عن هرم طبيعى مخروطى الشكل على هيئة قمع السكر المعروف فى الشرق وغابات تيجوكا ولبلون وبلاجا كوباكابانا وجبل كوركوفاد وليمى الخ .. والقلعة الشهيرة التى تقع على احدى الجزر فى البحـــر ودواوين الحكومة ودار رئاسة الجمهورية وقد أعجبت بجمال المدينة ونظافتهـا فلم أشعر الا وتبخر آخر فلس من نقودى ، وزاد الطين بلة ان طالبتنى صاحبة المنزل‌بأجر الغرفة فعرفتها بأن لا شىء لدى ورجوتها أن تستبقينى عندها الى أن أجـد عمـلا فعرضت على أن أعمل كخادم مرمطون فى نفس الفندق ولما استنكرت ذلك تدخلت كريمتها فكتوريا وكنت أدرسها الانجليزى وتدرسنى برتغالى وتتفاهم بالاشـــارة واستدرت عطف والدتها نحوى فوافقت على بقائى ريثما أجد عملا أرتزق منه فادفع ما على من دين .

نساء فاضيات !!

ومما أذكره بالحمد لهذه الفتاة انها كانت قد عرفتني بصديقة ثرية لها تدعى سنيورا دى كارفاليو . ودعتنى هذه السنيورا لمنزلها ولما رأت والدتها وجهى وقد كنت دميما فى ذلك الحين وفمى ملتو . صاحت فى ابنتها : بالله — هل أتى هذا المخلوق من افريقيا لوحده بكل هذا القبح . خذيه يا ابنتى الى معهد مدام روزا لتصلح له فمه .

وفعلا كانت ابنتها تصحبنى كل يوم الى معهد مدام روزا لمباشرة عملية تجميل فى وجهى أصبحت بعدها مقبول الخلقة الى الدرجة التى نشب من أجلى خلاف شديد بين بعض الآنسات والسيدات اللاتى عرفننى اذ كنت أتردد على بعضهن أكثر من البعض الآخر .

وطفقت أضرب يدا بيد من الدهشة رغم اننى لم ارتبط معهن بعمل أو مصلحة ... ولم أدر ماذا أعجب أولئك النسوة فى مطر الفتى الذى فشل حتى فى تقشير البطاطس ... ولله فى خلقه شئون !

وفى أحد الأيام وكنت سائرا فى شارع ريوبرانكو وأنا أجهل لغة البلاد « البرتغالية » سمعت اثنين يتكلمان اللغة العربية فتقدمت اليهما مسلما وعرفتهما بنفسى فأرشدانى الى مكتب السيد جورج شدياق صاحب جريدة (التساهل) العربية التي تصدر فى ريودى جانيرو . ومما يذكر أنهما حين رأيانى صاحا فى وجهى بصوت واحد : هل انت الذى قتلت السردار ؟

تعينى مديرا ورئيسا لتحرير جريدته التساهل

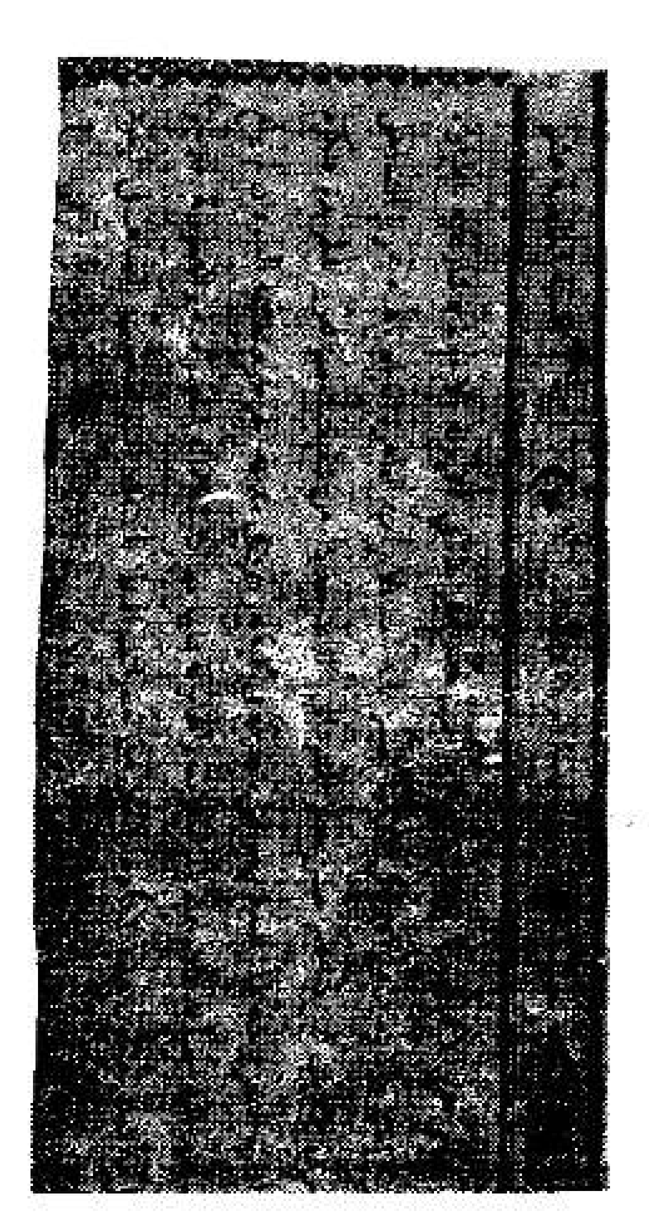
ذهبت لمقابلة السيد جورج شدياق فلقيت منه كل ترحاب ، دعانى للجلوس ثم قصصت عليه أمرى فما كان منه الا أن بادرنى بسؤاله . هل تعرف تكتب وتقرأ العربية جيدا فأجبت بنعم ، فناولنى قطعة من صفحة قرأتها وأملى على أخرى كتبتها ولما بدت عليه بوادر الارتياح قدرت ان الرجل سيأخذنى كاتبا عنده فى الجريدة وكم كانت دهشتى عظيمة عندما قال لى انه مريض فقلت على عجل « سلامتك » ثم استطرد قائلا ان الاطباء نصحوه بالاستشفاء فى الجبال لمدة ستة أشهر وانه قد وجد فى

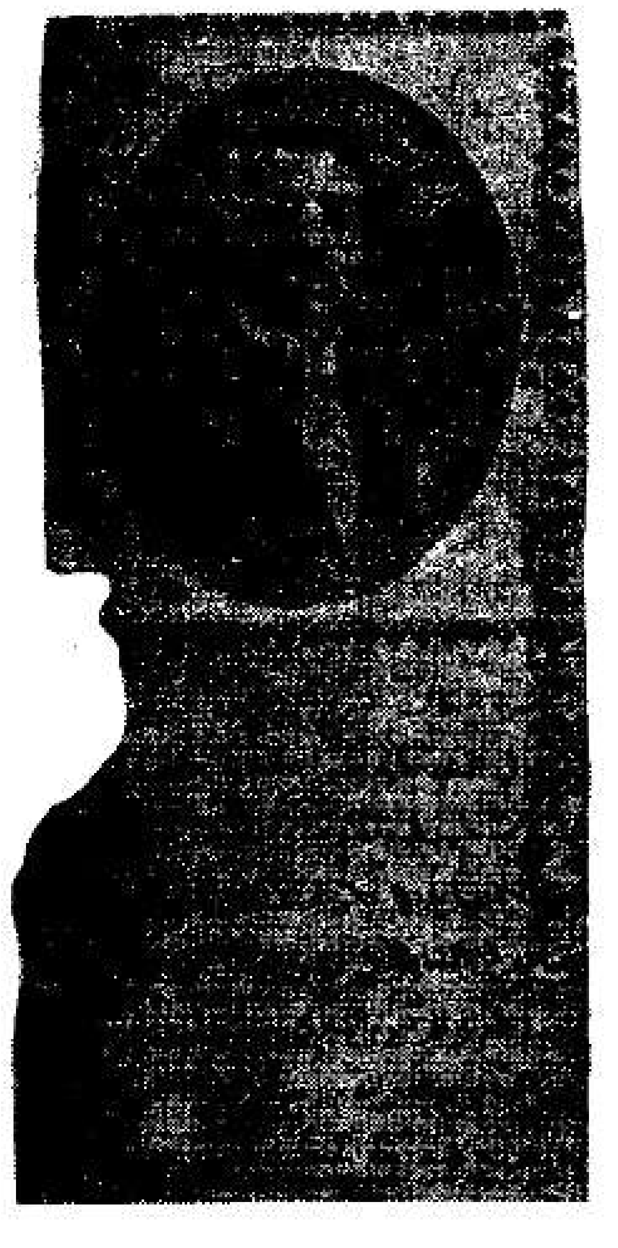
الشخص الذى يمكنه ان يقوم مقامه فى رئاسة تحرير « التساهل » التى كانت تصدر أسبوعية ــ أثناء غيبته ــ فقلت له الحمد لله ولم أصدق أذنى وظننته يسخر منى •

رجـــل عجيب

وبعد أن أطلعنى على أسرار عمله أخذنى معه الى منزله الذى يقع فى ضاحيـة تبعد نحو الثلاثين كيلو مترا خارج المدينة وكان يقطن فى منزل أنيق وحـوله مزرعة كبيرة سماها « المزرعة القحطانية » وبها عين ماء سماها « زمزم » •

ورغم أن السيد شدياق كان مسيحيا فقد كانت زوجته يهودية له منهـا ثلاث بنات يحملن أسماء « خديجة وأميرة وعائشة » ! ماقولك أيها القـارىء فى هـــذا الشخص !!





وبعد أن اتفقنا على سير العمل والمرتب وخلافه ، سلم الى جميع أعمال الجريدة من مال ودفاتر ومواد الطبع فانكببت على العمل بهمة وقد تحسنت حالتى المالية اثر ذلك ، فبدأت أتعلم اللغة البرتغالية فى مدارس برلتز والكتابة على الآلة فى أوقات فراغى وأدرس مقرر الثانوى فى مدرسة بطرس الثانى فكنت أعمل وأنا لا أزال شابا قويا ينطح الحيط فيكسره أعمل من ٥ صباحا الى ١٢ نصف الليل وبحماس تام وبلا ملل ، وقد مكننى عملى الصحفى من التعرف بمعظم أفراد الجالية العربية فى ريودى جانيرو من سوريين ولبنانيين واتخذت من بينهم أصدقاء وهكذا أصبح لى مكان مرموق بين النزلاء والوطنيين ، وتبعا لذلك وبما استحدثته فى مواد الجريدة من تجديدات ازداد اقبال القراء عليها وكثرت اعلاناتها وأول عمل قمت به هو أن عينت صديقى العجمى زين العابدين أحمد نبى الشيرازى طاهيا فى مطعم مصطفى فى شارع الفندق وكنت دائما أزوره وكان يجهز لى أطيب المآكل ، وسمعت انه عاد الى ايران فى سنة ١٩٣٩ يحمل معه ٩٠٠٠ جنيها ، نتيجة أعمال تجارية قام بها فى ظرف ال ١٤ سنة . وأنا لا شيء .

نهاية خدمتى مع الشدياق

ولما عاد السيد شدياق من استشفائه ، كنت قد تعاقدت مع السنيور أسيس شاتوبريان صاحب جريدة « الجورنال » على أن أكون مكاتبا لصحيفته فى أوروبا بمجرد أن يتسلم السيد شدياق صحيفته منى ، ولما لم أكن متوقعا أن يستمر عملى مع السيد شدياق بعد عودته ، لم أدع الفرصة التى سنحت لى بالعمل فى جريدة برازيلية لها مكانتها الممتازة بين أمهات الصحف فى البرازيل ان تفلت منى ، ولكن حدث مالم أتوقعه فاذا السيد شدياق بعد عودته يطلب منى ويلح على بالبقاء معه نظرا لما لمسه من تحسين فى الجريدة من حيث تحريرها وتوزيعها وزيادة فى الايراد من أجور الاعلان وخلافه ولكنى وقد ارتبطت مع الجورنال فقد اعتذرت عن قبول عرضه شاكرا له ماقدم لى من خدمة وما وضع فى من ثقة ، ولما تحاسبنا لدفع ما تبقى لى من أجور مرتبى الشهرى والنسبة المئوية التى أحصل عليها من الاعلانات ، عرض على أن يقتطعنى قطعة أرض من أملاكه ويسجلها باسمى فى مقابل جزء من استحقاقى فقبلت

وآتممنا الصفقة وتسلمت حجة الملكية للارض ، وقد وضح لى فيما بعد أنهذا الرجل النبيل كان يهدف بعمله ذلك أن يعيننى على الاستقرار وأن أقيم منزلا وأتخـذ لى زوجة فأوجد عائلة كما يفعل بقية المهاجرين أمثالى ولكن :

مشيناها خطى كتبت علينـــــا ومن كتبت عليه خطى مشاها(جراها)

وليست حادثة السيد شدياق هى الأولى فقد أعقبتها محـــاولات آخـر من شخصيات لها مكانتها من مركز وجاه وثراء ولكننى صرفت نظرى عنها جميعها لأنها لا تتفق وطبيعتى فهم يحاولون أن أستقر وأنا أحاول أن أفر ...

توزيع الاسماء للمهاجرين

وهكذا أنهيت خدمتى مع السيد شـديااق على أتم ما يكون من الوفاق لأبدأ أعمالى الجديدة فى صحيفة « الجورنال » ولكن يحسن بى قبـل أن أبارح البرازيل الى أوروبا ، أن أستعرض بعض الملاحظات عن تلك البـلاد التى أوتنى فى تلك الأيام فأقول أن البرازيل كانت بلدا بكرا مفتوحة أبوابها على مصراعيها لكل المهاجرين من البلاد العربية وتعتبر جاليتهم من أكبر الجاليات الأجنبية ، وان التجنس بالجنسية البرازيلية يكتسب بعد اقامة سنتين فقط ومما يدل على سهولة قبول المهاجر أنموظف الهجرة عندما يقابل أى باخرة قادمة كان يوزع الأسماء اللاتينية على القـادمين من الرجال المهاجرين كيفما يريد ويشتهى وخصوصا اذا كان الاسم الذى يحمله المهاجر من النوع المعقد سواء فى النطق أو الكتابة فيقول له مثلا فى مثل هذه الأحوال أنت « ارماندو سلفيرو Armando Silvero » أو يحرف له أسمه العربى تحريفا ممسوخا كأن يجعل من « ابراهيم على حسين » وهو اسم لشخص موجود فعلا ومن معـارفى وأصدقائى اسما ممسوخا لا يمت الى الأصل بصـلة فتصوره يصبح « اليخاندرو غونسالس مارتينيس » وتكتب بالبرتغالى اللاتينى هكذا ALEjANDRO Gonealez Martinis فاذا ذهب مثلا السيد اسماعيل الأزهرى رئيس وزراء السودان سابقا هناك فلربما سموه « صمويل مايا SAMUEL MAYA » أو عبدالله خليل يصبح «خوسيه كاسترو

JoseCastro” » ، ولربما احتفظ للمهاجر باسم العائلة بعد مسخة قليلا وازالة الاسم الأول والثانى تماما كما حدث للسيد « رشيد محمد بلوط » وهو اسم لشخص موجود اليوم وهو مليونير برازيلى فلما حضر مهاجرا أسموه Juan Balloot وتكتب بالعربى « خوان بلوط » ورغم انه أصبح مليونيرا له مكانته الاجتماعية والمالية فهو « خوان بلوط » الى الآن .

وبالطبع أن مسألة تغيير اسم المهاجر لا تستعمل مع كل قادم لأن هناك من يصل ومعه رأس مال لاستثماره أو صناعة رابحة ليستغلها أو أن تكون له شخصية وجواز سفر — ولا يغير اسم راكب يصل فى الدرجة الأولى من الباخرة مهما كانت هويته — ولكنها تعمل مع المهاجرين المعدمين الذين يصلون وليس معهم ما يقيم أودهم أو أن يكونوا قد دفعوا أجر السفر بعملهم فى الباخرة التى أوصلتهم الى هذا البلد العجيب. وفى مثل تلك البلاد تتوفر فرص الثروة للمجد العامل اذا واتاه الحظ ، ومثلا السيد خوان بلوط الذى سبق ذكره يروى قصة نفسه وهو الآن فى أوج مجده أنه حضر للبرازيل معدما وأقام فى مدينة « بلواوريزونت » Bello Horizonte ومعناها الأفق الجميل ، عاصمة ولاية ميناس جرايس

وهى منطقة المناجم الكبرى وأمتهن بيع الخضر متجولا على عربة صغيرة يدفعها أمامه وهو حافى القدمين ويسكن فى كوخ صغير بالقرب من سراى أحد القضاة الأثرياء ويدعى «ارتوروبرناردس» ، فلما ولد للسيد بلوط نجله الأول وسماه نلسون ، أراد أن يتقرب الى ذلك الجار الثرى فترك دينه الاسلام جانبا وهو «رشيد ابن محمد بن بلوط » واتخذ المسيحية شكلا وموضوعا بأن طلب الى الجار الثرى أن يكون اشبينا لابنه فى العماد فى الكنيسة وبذلك يصبح الثرى الوالد الروحى للابن فتم ذلك ، وعلى ذلك توثقت العلاقات وأصبح القاضى صديقا للعائلة الفقيرة التى تجاوره .

وحدث فى احدى السنين أن تقدم القاضى لانتخابات رئاسة الجمهورية فوجد فى جاره الفقير « خوان بلوط » خير معين له فى حملاته الانتخابية فكأن الأقدار أرادت أن تخدم بلوطا ففاز القاضى برئاسة الجمهورية خلفا للسنيور « واشنجتون لويس »

وكان على الرئيس الجديد أن يصل الى العاصمة فى القطار من مدينة بلوأوريوزنت الا انه كانت هناك معارضة من بعض الأحزاب وقد حلف بعض المعارضين انه سيقتل الرئيس الجديد فى المحطة وتردد ارتورو برناردس فى السفر ولكن حمله أصدقاؤه ومن ضمنهم بلوط على السفر فى القطار الخاص ، ولكن عند وصولهم ريودى جانيرو كانت هناك مظاهرة صاخبة وهتافات بسقوط الرئيس المنتخب وبعض طلقات نارية وخاف برناردس وقرر أن يعود ادراجه ، فحمله « بلوط » على كتفه متمنطقامسدسيه وسار به على الرصيف مع بعض أعوانه الى أن أركبه العربة خارج المحطة وسار ف حراسته تتبعه سيارات المستقبلين ، الى أن أوصله سراى الرئاسة ، فما أن تمت مراسيم تنصيب الرئيس وباشر سلطاته حتى طلب الرئيس من بلوط أن يتمنى عليه ــ كذا ــ كما كان يفعل ملوك ألف ليلة وليلة ــ فطلب بلوط احتكار أندية القمار الممنوعة فى العاصمة فأعطاها اياه فدر عليه هذا العمل أرباحا طائلة وضعته فى مصاف أصحاب الملايين اليوم فى البرازيل كما ان بلوطا لم يهمل صاحبه الرئيس فأسس من ماله صحيفتان من كبريات صحف البرازيل لخدمة سياسة الرئيس والتسبيح بحمده وتوطيد حكمه . وقد عملت فى جريدتيه زمنا طويلا وأكرم وفادتى وأسكننى فى منزله وكنت تقريبا أحد أفراد عائلته وقد عرض على مرارا أن أستلم احدى أندية قماره فرفضت فى اباء مع اننى لو استلمتها لتغير مجرى حياتى اليوم الى مال وجاه ورفاهية وأيضا الى اسم وسخ .. ولكننى فضلت الاسم النظيف .

يالك من لص

هكذا كانت البرازيل فى الماضى القريب قبل أربعين سنة فقط ولكنها اليوم غيرها بالأمس ، كما يحكى هناك فى أيامى الأولى فى البرازيل ان وزيرا قديرا ووطنيا كبيرا من أرباب العلم أخذ على نفسه أن لا يوافق على أى مبلغ يصرف لصالح آخر حتى يكتب تأشيرة تقليدية لا تتغير « أصادق ــ ويالك من لص » ... فأمثال هذه الحوادث تبين الى أى مدى كانت الفوضى ضاربة أطنابها ، فى هذا البلد ولكن الخطوات التى خطتها البلاد فى الأربعين سنة الأخيرة جعلتها الآن فى مستوى أرقى شعوب العالم ماديا وأدبيا واجتماعيا وأصبحت الادارة فيها مثالية ، كما أصبح

وطنيوها من السلالة الاسبانية البرتغالية يضيقون ذرعا بالأجانب المهـاجرين الذين اكتسبوا الجنسية عن طريق الاقامة وقد حدثت عدة موجات مـن الاثارة العنصرية ضد الأجانب تركت آثارا سيئة فى نفوس القلائل من المهاجرين فمنهم من ترك البلاد عائدا لوطنه فى الشرق مخلفا وراءه أبناءه وبنـــاته الذين لم يرغبوا فى النزوح عن موطنهم ولو انهم من أصل مهاجر لأنهم أصبحوا بالميـــلاد ــ برازيليون لا تربطهم بالشرق أقل الروابط فكانت مآسى ليس لها مثيل ، الا ما فعله هتلر مع يهود ألمانيا

البرازيل اليـــوم

وقبل أن أختتم هذا الفصل لا بد أن أشيد بفضل أحـد الرجال الكرام الذى كان لى عونا وقدمنى الى معهد الصحافة البرازيلية فقبلت أن أكون عضوا فيه وهو الدكتور « راؤول بى بدرنيراس » وقد اتخذته فيما بعد صديقا ومرشدا لى فى الحياة كلما حزب بى أمر وكذلك صديقى الماجور مشيل خورى من جيش الحرس الوطنى الاحتياطى ويوسف سعد ، مع انى لا أنسى زملاء الصحافة ورفاق الصبا وفى مقدمتهم جوزى جوبين وداتتونجوبينمدير دياريوكاريوكا ، وماريو بيمنتال برانداوا وغيرهم

كما تعرفت الى الكولونيل «ادالبرتو نوفيرا » وكريمته « ســـلفيا » ووالده وهو أيضا كولونيلا فى الجيش البرتغالى ، كما أذكر انه عن طريق هذه العائلة قــد أتيحت لى فرصة الاستقرار والثراء ، والثراء المشروط بشرط فاعتذرت فى لباقة ولأن هناك صوتا من أعماقى ينادينى الى كفاح الاستعمار والى نجدة البطـــــل العظيم عبد الكريم الريفى .

وتعتبر البرازيل أكبر بلاد امريكا اللاتينية وهى أكبر من الولايات المتحـــدة نفسها والرابعة بين بلاد العالم فى اتساع الرقعة وهى بلاد غنية بمواردها الطبيعيـة وهى تسير باضطراد نحو التقدم تحت ادارة قوية فجبالها ومزارعها الخصبة وغاباتها الواسعة التى لم تقهر الا نادرا وصحاريها الغنية بالمعادل ومدنهـــا الكبيرة الآهلة وأنهارها العديدة الصالحة للملاحة التى لا تضارعها أنهار أخرى فى العالم .. كل هذه العناصر كفيلة بتحقيق مستقبل زاهر للبرازيل العظيمة .

فهى رغم اتساع رقعتها البالغة ٣٫٣٠٠٫٠٠٠ ميلا مربعا يسكنها نحو ٧٠ مليون نفس أى ما يقارب نصف سكان امريكا الجنوبية وبها نحوا من سبعة عشر مدينة يزيد تعداد سكان كل منها عن مائة ألف نسمة ونحو عشرين ميناء كبيرة فى خدمة تجارتها الدولية البحرية ويسكن تسعة من كل عشرة برازيليين فى السهل الشرقى واقليم المرتفعات .

وعاصمة البرازيل هى مدينة ريودى جانيرو (مدينة شهر ينساير) وهى ثانى مدينة كبيرة فى جنوب امريكا وتعد سان باولو العاصمة الثانية لها كما هى أيضا العاصمة المالية للبن وهى من أسرع بلاد العالم نموا اليوم .

يعمل نحو ثلاثة أرباع السكان فى الزراعة وأغلبهم فى الجنوب حيث توجد الماشية والأغنام والذرة والشعير والفحم كما ان تربية المواشى تجد قسطا كبيرا من الأهمية وقد اجتاحت البرازيل موجة من التصنيع بدأت على اثر الحرب العالمية الثانية ولا زالت نشطة فى زمن السلم تستلزم استغلال مواهب كل برازيلى فقد ارتفع الانتاج الصناعى ٥٠ ٪ عن عام ١٩٣٠ وهذا بالطبع مما يهم الولايات المتحدة الامريكية التى تستوعب أكثر ما تنتجه البرازيل كما ان البرازيل هى أكبر سوق للبضائع الامريكية فى امريكا اللاتينية ، هذا زيادة على ان أغلب الانتاج من خمسة عشر صناعة كبيرة يستهلك محليا .ويدخل فى ذلك المأكولات والمنسوجات والملبوسات والمواد الكيمائية والعقاقير وصناعات البناء والحديد والورق وعمليات تطوير المواد الخام والأخشاب والأثاث والآلات ومنتجات المطاط والتبغ والمصنوعات الجلدية ومواد السكك الحديدية والسيارات كما لا زالت هناك مشاريع فى طور التنفيذ لبناء وتحسين الآلات وتوليد الطاقة الكهربائية المائية وباكتمال هذه المشروعات ستتضاعف القوة الكهربائية التى تستهلك منها مدينة سان باولو وحدها أكثر من النصف فى صناعاتها النشطة .

وهناك مشروع ضخم وهو استغلال مياه نهر سان فرنسيسكو باقامة خزان وتركيب مولدات للقوة الكهربائية ولاستثمار المناطق الشمالية الشرقية الغنية بموادها الخام وانشاء المصانع فى نفس المناطق ولم تتوان البرازيل فى الانتفاع بالخبرة من جاراتها وتطبيقها فى مشروعاتها المحلية .

ومنذ أن اكتشف الذهب فى البرازيل فى القرن الثامن عشر مازالت المناجم هناك تفيض بانتاج مستمر زاد نحو ٨٠ ٪ فى العشر سنوات الأخيرة .

تقدر الثروة الكامنة فى طبقات الأرض من الحديد فى العالم باثنين وسبعين مليونا من الأطنان ، فى تربة البرازيل منها نحو خمسة عشر مليونا من الأطنان وقد استغلت هذه الثروة الغنية باقامة مناجم فى منطقة فولتا ريدوندا ينتظر أن تنتج نحو ٦٠ ٪ من الاحتياجات المحلية كما يستخرج فى نفس المنطقة الالماس الصناعى الاسود الذى ستتضاعف كميته فى زمن الحرب وكذلك البلور الحجرى وكلا المعدنين لهما أهميتهما فى الولايات المتحدة حيث يشحن لها بالطائرات بالاضافة الى ما يستخرج من الصحارى الشمالية الجافة من معدن الألومنيوم والبكسايت والمانجنيز والمايكا والرصاص والزنك والزيبق ومعدن الكروم وفى ولاية اسبريتو ساتتو يقوم مشروع ضخم للانشاء والتعمير يشمل الصحة والمسكن والغذاء والنقل واستخدام الطاقة المائية وتوسيع وتطبيق أحدث الطرق لعمليات النقل بمعاونة الولايات المتحدة فى حوض الامزون حيث تزيد مساحات الغابات الكثيفة عن مليون ميل مربع تنبت فيها الآلاف من أنواع الأشجار المختلفة كما ينبت فيها كل ما عرفه الانسان من أنواع المحصولات وعندما يذكر المطاط الخام يجب أن يذكر اسم مدينة مناوس التى تقع على بعد آلاف الأميال فى أعالى نهر الامزون من أقرب مدينة مهمة وهى رغم ذلك حديثة وقد كانت فى يوم ما عاصمة العالم فى استخراج المطاط اما الصعوبات والأخطار التى تعترض جلب المطاط الخام من أعالى مياه الامزون وشحنه الى المصانع فى الولايات المتحدة فلا يمكن وصفها ولكن شركات الطيران التى تنقل الحاجيات الى مناوس كثيرا ما تعود وبها شحنات من المطاط الخام .

وان معظم القروض التى قدمتها الولايات المتحدة للبرازيل لمعاونتها فى استثمار مواردها الاقتصادية توجه الى صناعة المطاط وتحسين أعمال التنجيم كما ان البرازيل هى أعظم مصدر للبن فى العالم حيث يجمع من المزارع ويشحن الى الموانىء التى تقع على المحيط وأهمها وأشهرها سانتوس حيث يشحن فى ناقلات الى العالم ، وتوجد فى البلاد حوالى ثلاثة مليون شجرة بن وهو المحصول الرئيسى للبلاد ، ويأتى بعده

فى المرتبة القطن واللحم المحفوظ والجلود والكاكاو وبذرة الخروع والأحجار الكريمة وشبه الكريمة والفواكه والجوز والأخشاب وكذلك الذهب .

واحتياجات البرازيل فى زمن السلم لا تتعدى الآلات والأدوات والمصنوعات الحديدية والصلبية والاتومبيلات والقمح النباتى والحجرى والمنتجات الكيماوية والعقاقير والناقلات الميكانيكية والفازلين والحديد والصلب والمواد الخام لصناعتها .

يلعب النقل الجوى دورا هاما فى البلاد لاتساع البرازيل وبخلاف شركات الطيران العالمية الأخرى للركاب فان البرازيل لها أسطولها الجوى الخاص للنقل الداخلى وهو أطول خط داخلى فى العالم أجمع .

عودتى الى أوروبا من البرازيل عام ١٩٢٥

بارحت البرازيل فى أوائل نوفمبر ١٩٢٥ الى أوروبا لأعمل بصحيفة الجورنال كما قدمت والتى تكفلت بمصاريف الرحلة ومرتب شهرى لا بأس به فسبحانك ربى مغير الأحوال قدمت الى البرازيل هذه منذ سبعة أشهر فقط وأنا شريد لا آمال عندى ولا مأوى وها أنا أخرج منها رجلا له خطره فى الحياة يعمل ويكد أسافر كأى راكب ثرى فى الدرجة التى تناسب مركزى الجديد وقد بدت على آثار النعمة فحمدا لك ربى وشكرا على نعمائك .

وجدير بالذكر ان مجرد السفر الى أوروبا فى ذلك الحين كان مغامرة كبرى يستحق عليها المسافر أن يودعه أهله ومعارفه ويأسفون لفراقه ويبكون عليه .

ولكنى كما قدمت كنت قد عرضت موافقتى على السفر للمسيو شاتو بريان بلا أدنى تردد . فلما ذهبت الى منزله مودعا قبل سفرى فى اليوم الثانى . رأتنى زوجته وكانت باهرة الحسن شديدة الاغراء . فتحسرت على وقالت : أيمكن لمثل هذا الشاب الصغير أن يسافر الى أوروبا ؟

فقال لها زوجها مستنكرا : تبا لك يا امرأة . لقد أتى من مجاهل افريقيا . فهل يضيره أن يذهب الى أوروبا !!

وصلنا جنوا ومنها أخذت القطار الى مرسيليا ـ الى وكرى أو معقلى عند « صادق » وحططت الرحال ـ ولما كانت فرنسا قد دخلت فى حرب مع الأمير عبد الكريم مناصرة لاسبانيا كان على أن أعمل بيقظة وحذر فاتخذت من مقهى «صادق» وصادق حى يرزق الآن فى القاهرة ، وكرا للاجتماعات السرية التى كنت أعقدها للعمل فى شئون الأمير عبد الكريم تحت ستار عملى الصحفى الظاهر مع صحافة البرازيل لتغطية مهمة الأمير عبد الكريم التى قطعتها قضية مقتل السردار ـ ثم سافرت الى جنيف فى سويسرا حيث كانت تعقد عصبة الأمم اجتماعاتها وقابلت السير أريك درمنـد هاى سكرتير عام عصبة الأمم فى ذلك الحين وتحدثت اليه فى موضوع الأمير عبد الكريم وقمت بطبع منشورات الدعاية اللازمة لقضية الريف بعد أن فشلت فى جعل العصبة تهتم بالمسألة الريفية لاعتبارهم اياها مسألة داخلية بحتة بين مستعمر ومستعمرة وهناك تعرفت بالسيد على الغاياتى صاحب جريدة « منبر الشرق » وقابلت الكثيرين من تجار الأسلحة وسماسرتهم وكان كل منهم يعرض على أنواع الأسلحة والمفرقعات من قنابل يدوية وغيرها وأنا بدورى أحصل على الأسعار والمواصفات وأرسلها بالشفرة الى صديقى عبد القادر حسن التازى فى طنجة ليتصل بالمسئولين السريين الذين فى خدمة الأمير فاشتريت ٤٠٠ بندقية شحنت من ميناء مرسيليا وكان منزل صادق مكان التسليم والتسلم .

وفى أثناء ذلك زرت لوزان وبرن وزيوريخ ومنها الى منشن فى المانيا حيث تعرفت بالدكتور « ج تراوب » G. Traub الذى أرسلنى لمقابلة الجنرال لودندورف القائد الألمانى الشهير فى لود ويجزهى من ضواحى منشن والدكتور تراوب كان من أكبر أصحاب الصحف فى بافاريا وكانت كل مقابلاتى تلك تتصل بالدعاية لمسألة الريف واستنهاض الهمم لمعاونته سواء بالقواد لتدريب الريفيين أو بالأسلحة وغيرها ثم تعرفت بالكابتن « فايس » والماجور « ماكس » وهما من الضباط الشبان الألمان عن طريق نجل الجنرال «لدوندورف» لاستخدام ضباط ألمان وقد نجحنا فى ارسال البعض الى الريف ومن بينهم الكولونيل « هرمان » من ضباط الطوبجية وكان له الفضل الأعظم فى تدريب الريفيين على الأسلحة الحديثة والمدفعية التى غنموها من

الاسبان فى موقعة « عذيب المدار » الشهيرة كما يعزى اليه حادث تعطيل الباخرتين الاسبانيتين باصابات مباشرة فى مضيق جبل طارق وكان حدثا كتبت عنـه الجرائد بالبنط العريض مشيدة بالمدفعية الريفية وتدريبها واحكام اصاباتها بينما أقض ذلك مضاجع الفرنسيين والاسبانيين لمعرفتهم التـامة ان ليس فى الريف من يحسن ذلك العمل الذى أذل كبرياءهم وجعلهم أضحوكة العالم بين يدى رجال بدويين من الريف المغربي وقد قبض الفرنسيون فيما بعد الكولونيل « هرمان » وحكم عليه بالسجن وهرب منه فقابلته فى برلين فى عام ١٩٢٩ ليقص على مغامراته فى الريف وسيبقى اسمه خالدا فى قلوب الريفيين وكانت كل الأسلحة التى حارب بها الأمير عبد الكريم هى مما غنمه من اسبانيا نفسها وفى « منشن » بالذات .

كيف عرفت هتلر ؟

حدث أن رأيت لأول مرة « أدولف هتلر » بينمـا كنت أجالس ابن الجنرال لدوندورف والماجور ماكس والكابتن فايس فمر علينا رجل فى زى بافارى وعلى رأسه قبعة عليها ريشة يمشى بخطوة عسكرية رافعا رأسه الى أعلا لا يلتفت يمنة أو يسرة فسألت عمن يكون هذا فقيل لى انه أحد المجانين ويدعى « أدولف هتلر » يعيش فى خيال لتحقيق أحلام النهار فطلبت التعرف اليه فقص على واقفا لمحة عن كل ما عمـله فيما سبق فأعجبت به ، ثم سـار وضحك أصدقائى مستهزئين ولكنى هززت رأسى وأخذت كلامه مأخذ المعقولية والجد ولم أدر انه سيصبح سيد المانيا المطاع ، والمانيا فوق الجميع ، ثم سافرت الى برلين وهناك قابلت لأول مرة الأمير شكيب ارسـلان وعرفته ثم تعرفت بالسادة عبد الجبار خيرى وشتو بداياً من رجال حركة التحرير فى الهند ويحى الهاشمى رئيس الطلبة السوريين فى برلين وكمال الدين جـلال من مصر وقد كان معنا هنا فى السودان وهو نجل البكباشى جلال .

كما تعرفت الى « جراف رفنتلو » فى بوتـسدام من أحياء برلين العظيمة وقـد رأيت لأول مرة الصليب المعقوف فى مدخل المنزل محفورا على بلاط السلم وقال لى « الجراف » عندما دهشت لهذا المنظر « هذا شعارنا » ولكنى لم أعلق أهميـة على هذه الكلمة ولا على هذا الشعار ولم يدر بخلدى انه سوف يكون له شأن يوما ما فى

حياة تلك الأمة العظيمة وان تتخذه شعارها على أيام النازية ــ ومجمل القول كانت كل تلك الجهات تردنى بكلمتين Kein Geld أى « مافيش فلوس » كانوا يقولون ذلك والحزن والأسى يبدوان على وجوههم وعيونهم تغرورق بالدموع •

وأخيرا فى برلين وفقت مصادفة بالتعرف الى جماعة وجدت فى أغراضهم ضالتى التى أنشدها بعد أن بدأت العمل مع جماعة اعانة العمال الدولية فاشتركت معهم فى تنظيم جمعية محاربة التوسع الاستعمارى والتى اشتقت منها جمعيـــة تحرير الأمم المضطهدة •

وقد وضح لى ان هذه الجماعات كانت تستمد قوتها المادية والتوجيهــات من موسكو تحت ستار الكومنترن وكان من بين الأعضاء المؤسسين البروفسور ألبرت انشتين العالم الكيمائى والبروفسور هنرى باربوس العالم الفرنسي وجواهر لال نهرو المناضل الشرقى والهر الفونس جولد شمدت والهر ولى منزنبرج عضو الريخستاج والهر جبارتى وقد كنت أتبع الشعبة التى يرأسها الأول من الأخيرين وســكرتارية الأخير وقد عهدا الى بالقسم الشرقى • وبالرغم عن نشاطى المتعدد النواحى فقد كنت مواظبا على مراسلة صحيفتى « الجورنال » فى البرازيل •

مكافحــة الاســتعمار فى برلين عام ١٩٢٦

طالعتنا السنة الجديدة وأنا غارق لأذنى فى تنظيم شئون جمعية مكافحة التوسع الاستعمارى فى طبع المنشورات بجميع اللغات الحية ومنها العربية واصدار الكتيبات الصغيرة عن أغراض الجمعية وكان استعدادا ضخمـــا تكلف الألوف من الماركات واستأجرنا طابقا فى احدى العمارات الضخمة فى شـــارع ولهمستراس كمركز عام واستخدم فيها موظفون عديدون من رجال وفتيات للقيام بأعمال السكرتارية وكان ذلك تمهيدا لانعقاد مؤتمر الشعوب المضطهدة فى بروكسل فى ١٩٢٧ ومن هنا بدأت مراسلاتى مع صديقى عبد القادر فى الخرطوم بالسودان لنشر الدعاية اللازمة ولكنه سلمها للحكومة بدوره كما وضح ذلك بنفسه فى الفصل الأول من هذا الكتاب •

وكان على أن أقوم بنفسى بجولة تبتدىء من طنجة وتنتهى فى لاغوس بنيجريا

لعمل الدعاية واختيار مندوبين من قبل هذه الشعوب المشاركة فى المؤتمر فسافرت من برلين الى طنجة ، وقابلت جميع أصدقائى هناك وكذلك أعضاء الجمعية القدامى التى أسسناها فى عام ١٩٢٣ فأنابونى عنهم للتحدث باسم مراكش والريف المغربى كما قابلت صديقى الكابتن مندى وكان قد سمع بمـا قاسيته فى مصر فى حادث السردار كما اتصلت بالوكلاء السريين للامير بخصوص الأسلحة التى لم تصلنى عنها تعليمات ـ وبعد أن انتهت مهمتى فى طنجة توجهت الى « قادس » فى اسبانيا على مسيرة ست ساعات من طنجة بالباخرة ، بعد المرور من جبل طارق غربا فوصلتها ولما نزلت الى البر قبض على البوليس الاسبانى ، واحضرونى الى مدير بوليس المدينة بعد أن فتشـوا متاعى ووجدوا به بعض الصحف العربية ، والذى ظهر لى ان مدير البوليس ، ومن المرجح أن يكون من أصل مغربى قد تعمد أن يظهر عدم الاهتمام بالحادث ، فأخـذ يقول « ومن أين لى أن أجد مترجما عربيا ليترجم هذه الصحف ـ اطلقـوا سراحه وليسافر » ـ فبقيت بالمدينة يومين غادرتها الى باثورشت عاصمة غامبيا الانجليزية فمنعونى من النزول الى البر وقد حدث لى ذلك فى سيراليون وفى أكرا وفى لاغوس أو على الأعم فى كل البلاد التى تقع تحت النفوذ الانجليزى ـ وكان سبب كل هـذا مراسلتى لعبد القادر فضاق بى القبطان ذرعا وضقت به ، لأنه يريد أن يتخلص منى فى أول ميناء وهذا ما كنت أقصده اذ صرت عالة على الباخرة طالما ان الأرض لم تعـد تقبلنى على ظهرها ، ولما عدنا بطريقنـا ذاته من لاغوس مررنا بمنروفيا عاصمـة ليبريا فتذكرت أحد معارف وهو الحاج « أحمد كارو » مدير الجمـارك الذى مر بطنجة فى عام ١٩٢٤ فى طريقه الى الحجاز ونشرت له صورته وصورة رئيس جمهورية ليبريا المستر تشارلز كنج فى ذاك الوقت فى جريدتى النظام ، واتفقت مع قبطان الباخرة أن يسهل مهمة النزول أيضا وأن لا يذكر أى شيء عن رفض نزولى فى البلدان السابقة وصدف أن كانت معى نسخة من تلك الجريدة فسألت عنه فأخذنى ضابط الجوازات والجمارك اليه فاستقبلنى الرجل استقبالا حارا وأنزلوا لى متاعى وأقمت فى ضيافة الحكومة رسميا ، سبعة أيام قابلت خلالها الرئيس تشارلز كنج فى صحبة الحاج أحمد كارو الذى أطلعته على الصورة فلقيت منه كل ترحاب ودفعت لى الحـكومة ثمن

التذكرة على الباخرة من داكار الى ريودى جانيرو فسافرت الى داكار وهناك قابلت السيد الأمين سنجور أحد أعضاء جمعيتنا فى داكار ثم أخذت الباخرة الى ريو .

بقيت فى البرازيل شهرين طفت فيها بعض المدن منها سـان باولو وبدأت فى الدعاية للمؤتمر واهتمت الجرائد ووجدت عطفا على قضية المغرب ، وكانت انقطعت عنى أخبار السودان وشعرت بمكر عبد القادر فقطعت عنه مراسلاتى وقطعت صلتى بجريدة الجورنال ولكنى تعاقدت مع ثلاث صحف أخرى كمكاتب لها من أوربا وهى Diario Carioca أو معناها « يوميـة ريو » و Diariode Nort- ومعنـاها الشمال و A BATACHA ومعناها « المعركة » والأخيرتين يمتلكهما السيد جوان بلوط الذى سبق ذكره .

ثم عدت الى برمن فى المانيا فى أواخر عام ١٩٢٦ ومنها الى برلين لأواصل عملى فى الاعداد للمؤتمر الذى سيعقد فى بروكسل ببلجيكا .

مؤتمر مكافحة التوسع الاستعمارى
فى بروكسل ١٩٢٧

عدت الى برلين ووجدت ان حملة الدعاية المنظمة الشاملة التى قامت بها الجمعية قد أتت ثمارها فاستجاب الكثير لها من منظمات التحرير فى البلاد التى كانت ترزح تحت نير الاستعمار أو الرأسمالية العالمية ومنظمات العمـال فى أوروبا وأمريكا والاشتراكيون وحضرها من الشرق منـدوبون عن حـزب الكومنتانج الصينى ومندوبون من الصين منهم مدام سن يات سن وسـان كاتاياما من اليابان وحـزب الدستور التونسى وشخصيات منهم جواهر لال نهرو والأمير شكيب ارسـلان والأستاذ محمد حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى بمصر والسيد الأمين سنجور من السنغال ومن انجلترا المستر جورج لانسبرى والسيدة هيلين ولكنسون من أعضاء مجلس العموم عن حزب العمال البريطانى ، كما ظهر عدد كبـير من الشيوعيين الأوروبيين .

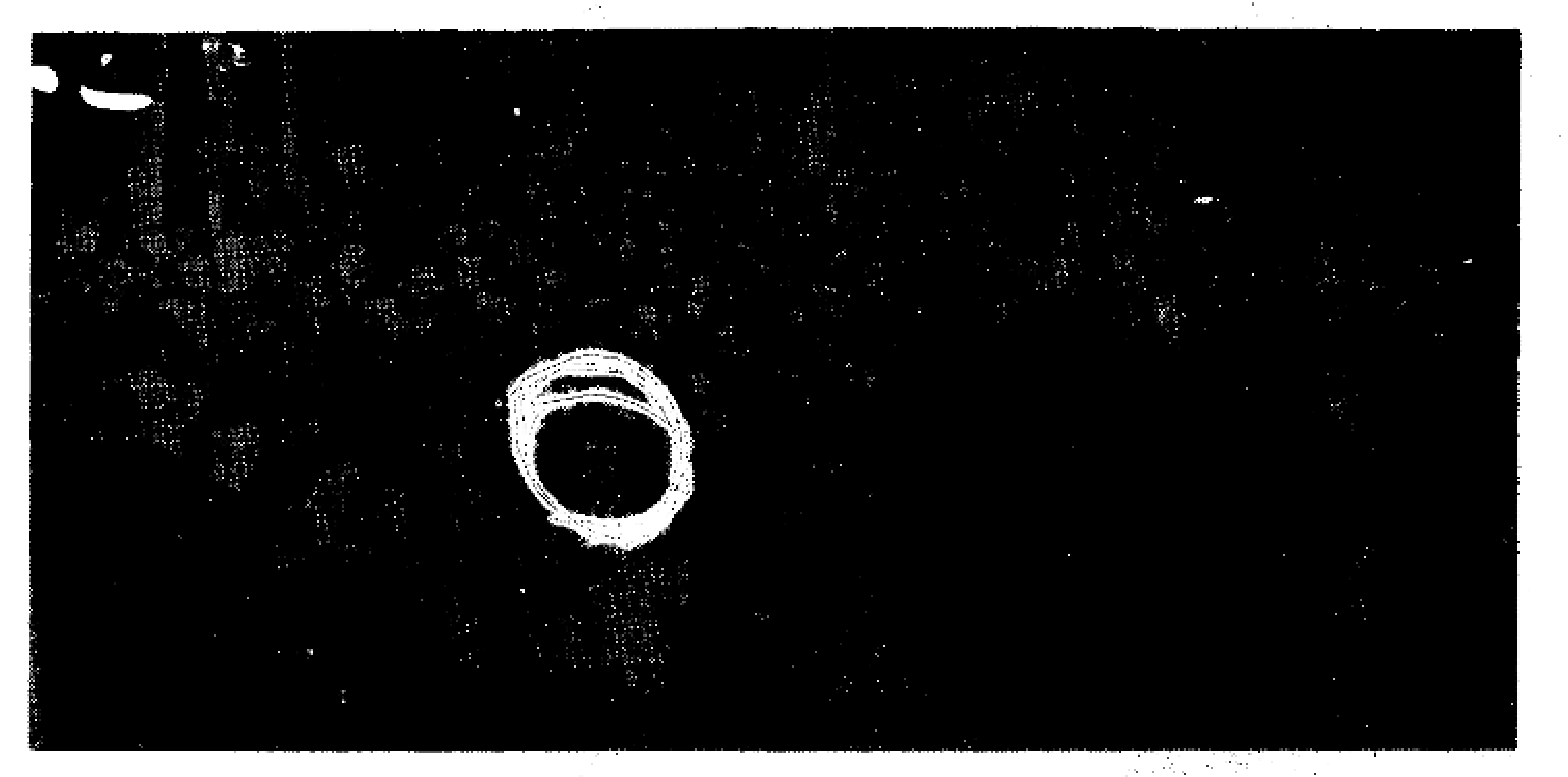
وقد أقيم المؤتمر فى مدينة بروكسل بقاعات قصر اجموند وافتتح يوم ١٠فبراير ١٩٢٧ وظل الى اليوم السابع عشر من الشهر نفسه ، وقد قامت بالدعوة له جمعية اعانة العمال الدولية ، فى شخص ولى مونزمبرج عضو الريخستاج الألمانى واذكر ان السيد محمد حافظ رمضان اختفى فجأة بعد اليوم الثالث من انعقاد المؤتمر وفر الى باريس ، وفيما عدا هذا الحادث فقد كان المؤتمر ناجحا ، وألقيت فيه الخطب الكثيرة التى طبعت أخيرا فى كتاب ، وقد قرر المؤتمر مقاومة الاستعمار والرأسمالية بهمة لا تعرف الكلل وبكل الوسائل وان يعقد مؤتمر آخر بعد سنتين وقد كتبت الجرائد عنه وأولته الكثير من الاهتمام .

وهكذا راقت لى فكرة المؤتمر فى حد ذاتها بلا شيوعية فاعتنقتها كرها فى الاستعمار وصرت أخطب فى المجتمعات والأندية بلغتى الألمانية الركيكة وكنت كثيرا ما ألتقى بنهرو يخطب أيضا ولما زار السودان عام١٩٥٧ استقبلته بصفتى نائب مدير المراسيم فى وزارة الخارجية السودانية وتذاكرنا أيام الكفاح ، وعند سفره قال لى فى المطار أمام القائم بالأعمال الهندى السيد كدواى أتعشم أن أراك يا مطر مرة أخرى ولكن ليس بعد ٣٠ سنة » وعندما عدنا لبرلين من المؤتمر وصلتنى دعوات من هيئات مماثلة وكانت تصلنا من البلاد المختلفة فى العالم تقارير عما يرتكبه الاستعمار ، فكنا بدورنا نحولها الى دعاية بالمطبوعات وعن طريق الصحافة والراديو والخطب فى الجماهير ، وكانت المانيا فى حالة عدم استقرار مما خلفته الحرب الأولى من آثار ، وكذلك الحال فى بلجيكا وهولاندا وفرنسا وبلغ عدد الخطب التى ألقيتها ١٤٠ ،وقد أرسلت كثيرا من الخطابات والبلاكارت الى صديقى عبد القادر الأمين وحسن رشدى ، وهكذا قضيت عامى ١٩٢٧ ــ ١٩٢٨ فى برلين أعمل بنشاط فى داخل الجمعية وخارجها وقد بلغ عدد المدن التى زرتها لالقاء الخطب مالا يقل عن المائة مدينة كان لقضية المغرب والأمير عبد الكريم وفرنسا واسبانيا منها النصيب الأوفر ثم السودان نظرا لظهوره على المسرح .

الدعوة الى روسيا

كما توفرت فى الوقت نفسه على مكاتبة صحف البرازيل الثلاث التى أمثلها فى

أوروبا فى حوالى أواخر اكتوبر ١٩٢٨ وبعد أن انتهيت من سلسلة المحاضرات الطويلة التى ألقيتها عن الريف والسودان والبلدان المغـلوبة على أمرها حضر الى مكتبى فى ولهيمستراس شخص طويل القامة له لحية مهيبـــة وانحنى أمامى وقال أدعوك باسم السفير أن تكون ضمن المدعوين للسفر الى موسكو لحضور الاحتفال بمرور عشر سنوات على قيام الحكم الشيوعى وانى أتكفل بجميع نفقـــات سفرك فى الذهاب والاياب والاقامة فى ضيافة الحكومة لمدة ستة أسابيع وما يوازى مائةدولار كمصروف خاص فقبلت الدعوة بعد شوية تفكير واندهاش • وسألته عن ميعاد القيـام فعرفنى بأن أجهز نفسى وأقابله فى بوفيه محطة السكة الحديد فى «فردريك ستراس» فى الساعة السادسة مساء بعد يومين حيث يوافينى هناك بجميع التعليمات وبرنامج الرحلة فسألته عما اذا كانت الرحلة تحتاج لتأشيرة على جوازى فعرفنى ان لا حاجة لذلك وانما سأستعمل تصريحا لدخولى الأراضى الروسية من بولونيا ويستلمه منى فى العودة ثم ودعنى وانصرف ، وذلك لكيلا تظهر تأشيرة سوفيتية على الجواز ، وقـد علمت فيما بعد ان الجمعية التى انتمى اليها وأعمل فيها هى التى أوصت بهذه الدعـوة أو بالأحرى ان منزنبرج رئيسنا الأعلى هو الذى رتبها وانه سيكون أحد الأعضـاء المنظمين فى موسكو وفى اليوم والميعاد المحدد كنت فى بوفيه المحطة وما أن وصـل القطار على الرصيف حتى رأيت صاحبى بنفسه فأدخلت متاعى الى غرفة نوم خاصة محجوزة ثم أعطانى تصريح الدخول الى الأراضى الروسية كما عرفنى أن جميع من بالقطار مدعوون أمثالى الى هناك ثم ودعنى وانصرف ولما وصلنا الحدود البولونية الروسية حضر موظف الجوازات وأطلع على التصريح وانصرف بلبـاقة واستمرت رحلتنا فى الأراضى الروسية وكلما وصل القطار الى مدينة رأينا جموعا حاشـدة من العمال تحيينا وتنادى بسقوط الاستعمار والرأسمالية مادين أيديهم بالتحية الشيوعية وهى رفع اليد اليمنى الى مستوى الكتف وقبضة اليد مضمومة الأصابع الى الأمام، وقبل أن يصل القطار الى موسكو امتلأ الجو بأسراب الطـائرات التى كانت ترافق القطار وهكذا عندما وصلنا المحطة وجدنا حشودا كبيرة تنادى هاتفـة والموسيقى تعزف نشيد الدولية الثالثة والحناجر البشرية تردد النشيد على توقيع الموسيقى •



Eine Pleuumsitzung des Kongresses im großen Saal des Palais Egmont

يرى المؤلف فى الصف الاول فى اول جلسة تأسيس الجبهة المعادية للاستعمار فى سراى اجموند ببروكسل .

Como se vive na nov[a] Russia -- O trabalho mal pago das mulher[es] russas -- O ordenado em relação [a]o [cu]sto da vida -- As diversões, o cinema e o club operar[io]

(Por R. L. de Barros, director de "La Presse Brésilienne")

II

TRABALHAR! TRABALHAR!

[illegible]

OS ORDENADOS

[illegible]

OS DIVERTIMENTOS

[illegible]



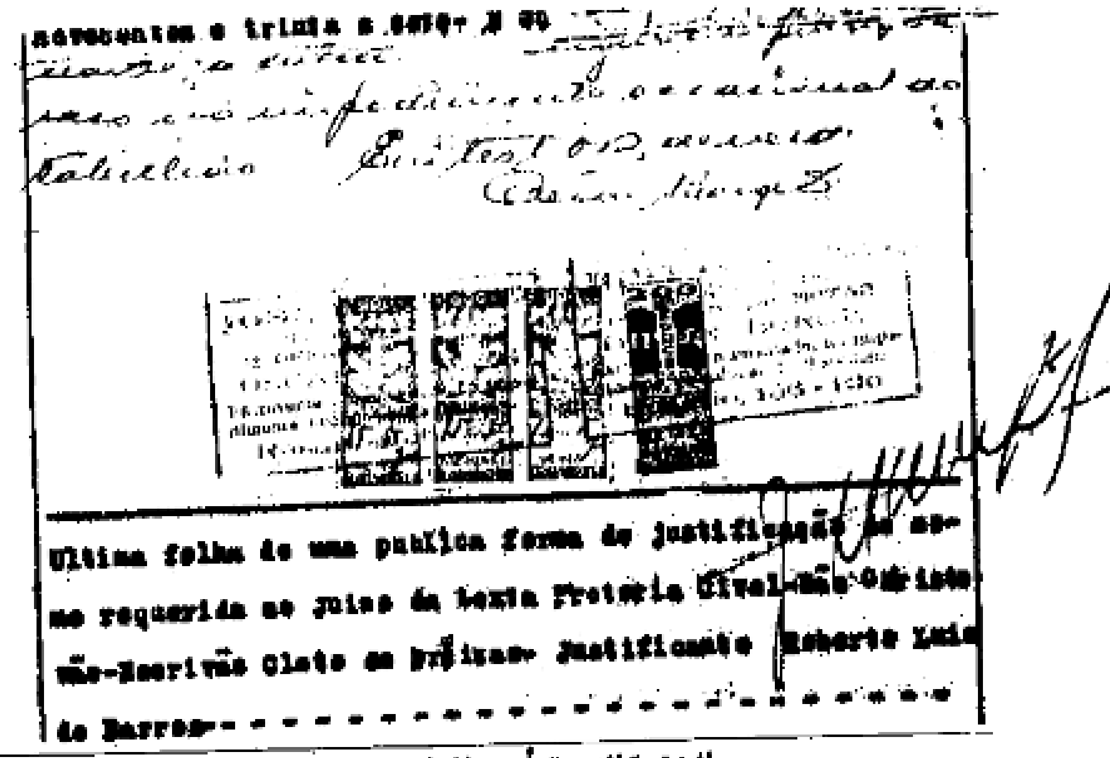
Os delegados estrangeiros, [illegible] pequena visita a uma região dos suburbios de Moscou [illegible] cobertas por um barrete de pelle. [illegible] branco, o sr. R. L. de Barros

[illegible]

15/5/1937

Publica Fórma

sobre o allegado na petição inicial disse. Que conhece o justificante Roberto Luiz de Barros, desde alguns annos, mantendo assim com elle até a presente data estreitas relações de amizade: que pode affirmar que o justificante é natural do Egypto, sendo Ahmad Hassan Mattar o seu nome de origem, e é filho de Hassan Mattar e de Amina Mattar que o justificante, naturalisou-se brasileiro e tem usado o nome de Roberto Luiz de Barros, para fins jornalisticos, que assim Roberto Luiz de Barros e Ahmad Hassan Mattar, são a mesma e unica pessoa, podendo affirmar mais que a presente justificação é para attender a uma exigencia da Policia Civil do Districto Federal. Nada mais disse nem lhe foi perguntado pelo que encerrou-se o depoimento que vae assignado pelo Doutor Juiz, a testemunha e o justificante, depois de lido e achado conforme. Eu José Faria, escrevente



novecentos e trinta e sete. [illegible]

Ultima folha de uma publica forma de justificação de nome requerida ao Juizo da Sexta Pretoria Civel. [illegible] Escrivão Cleto de [illegible]. Justificante Roberto Luiz de Barros -

الشقة الثرية أستعمال احمد حسن مطر للاسم روبرتو لويس دي باروس .

ارسال اعلانات للجرائد نطلب فيه سكرتيرة للعمل على الآلة الكاتبة ثم أعقبناه باعلانات عن تأسيس المكتب لكافة أعمال الصحافة والاستعلامات ، وجعلنا الاشتراك فيه للخدمة الصحفية ثلاث جنيهات فى الشهر ، وفى اليوم التالى وصلنا فوج من الفتيات الجميلات الرشيقات للعمل على الآلة الكاتبة فتركت لنزيه الاختيار فاستخدام اثنتين بدلا عن واحدة ـ وبدأت اشتراكات الصحف تتوالى على المكتب وقد واتتنا فرصة انعقاد المعرض الصناعى للمستعمرات فى تلك السنة فسعيت الى ادارته واتفقت معهم على عمل الدعاية اللازمة بطرقنا المبتكرة الخاصة فقبضت منهم أول دفعة ٣٠٫٠٠٠ فرنك أى ما يوازى مائة وعشرين جنيها وبذلك دفعنا ما علينا من قروض ، وسار المكتب بنجاح عظيم ويرجع الفضل فيه الى صديقى نزيه الذى كان يقع عليه عبء العمل التحريرى لعدم المامى باللغة الفرنسية كتابة فى مستوى مقدرته هو فيها وتمكنه منها ، وكنت أقوم بالأعمال الخارجية زيادة على عملى فى الناحية الخاصة بالصحف البرازيلية خاصة والصحف الأخرى فى امريكا اللاتينية عامة ولما قضينا نحو العشرة الأشهر سافر صديقى نزيه الى مصر ، وقررت من ناحيتى أن أنقل المكتب الى البرازيل وهكذا قوضناه فى أسرع من الوقت الذى استغرقه تأسيسه واتجه كل منا وجهته فى هذه الحياة التى تأبى نزواتى على أن أستقر على حال فيها وهناك أسسته من جديد وسجلته باسم الصحافة البرازيلية . ثم بعته لسفير برازيلى سابق فى باريس بما يعادل ألفا من الجنيهات !!

نزيه مسعد

سبق أن ذكرت فى موضع سابق أن مكتب الصحافة البرازيلية الذى أسسته ونزيه مسعد فى باريس عام ١٩٣٠ قد نقلته الى ريودى جانيرو وان كلا منا اتجه وجهته فى هذه الحياة فسافرت أنا للبرازيل وتركت نزيها فى باريس وانقطعت أخباره عنى ولكن بعد خمس سنوات قبل قيامى من القاهرة الى الحبشة فى عام ١٩٣٥ وبينما كنت فى دار جريدة المقطم فى عملى معها كمراسل لها فى الحبشة فتقابلت صدفة مع نزيه بينما كان يتسلم أيضا أوراق اعتماده من الجريدة ذاتها لموافاتها بالأخبار فى أثناء رحلة حول العالم يعتزم القيام بها فتمنيت له النجاح فى مهمته وافترقنا ومرة أخرى انقطعت أخباره عنى .

وفى عام ١٩٤٦ بينما كنت فى جولتى الأخيرة حول العالم نزلت فى مدينة هوليود وأثناء مقابلة لى مع زعيم الجالية اللبنانية فى مدينة السينما السيد جورج بجنسى فى منزله عرض على أن يقــدم لى صهره وهو مصرى الجنسية للتعـــارف فوافقت فصاح من مكانه : يا نزيه فلم يدر بخلدى أن يكون هذا الاسم هو نزيه مسعد بعينه اذ استبعدت ذلك ولكن ما أشد دهشتى لتلك المفاجأة الطارئة فاذا بنزيه مسعد بدمه ولحمه يقف أمامى وأنا مأخوذ بهذه المصادفة فتعانقنا طويلا أمام صهره الذى عقدت الدهشة لسانه فقضينا وقتا جميلا استعرضنا فيه حوادث الماضى ومنه علمت ان السيد بجنسى هو شقيق والدته اللبنانية واما والده فمصرى وانه عندما سافر حول العالم حط رحاله فى مدينة هوليود وعند خاله الذى كان يملك متجرا يقدم فيه لمدينـــة السينما الطرف الشرقية والملبوسات والأوانى التى تلائم العصور التاريخية القديمة وجمع ثروة لا بأس بها كما أن نزيها عمل كمستشار فنى فى الأفلام التاريخية الشرقية نظرا لثقافته وهكذا اتصل عيشه فى مدينة السينما وتزوج من كريمة خالهواستقر به المقام وقد أفاد من صلات صهره بشركات السينما وصلات زوجه بنجوم السينما من الرجال والسيدات لأنها نشأت فى مدينة السينما وكان متجر والدها ملتقى أعظم نجوم السينما فقامت صداقة بينهم وبين العائلة مهدت لنزيه أن يشق طريقه فى عمل السينما المختلف النواحى وقد أنشأ أخيرا مجلة مصورة تصدر باللغة العربية فى هوليود .

وهكذا وبهذه الطريقة الفذة فى كلتا المرتين أتقابل مع صديقى نزيه فى القاهرة فى عام ١٩٣٥ وفى هوليود عام ١٩٤٦ لنستعيد أيام البؤس والحرمان التى قضيناها فى باريس نجوب الطرقات فى سبيل لقمة العيش الى أن تفتق ذهنى عن تلك الحيلة الطريفة التى ذكرناها سابقا والتى أقمنا فيها مكتبا للصحافة من الهواء •

من أجــل البرازيل

وقد قمت بدعاية واسعة النطاق لوطنى «البرازيل» اذ لم يكن جهل أوروبا فى عام ١٩٣٠ قاصرا على البرازيل وامكانياتها وتقدمها وثقافتهـــا فحسب بل كل بلاد امريكا الجنوبية لم تكن معروفة تمام المعرفة فى ذلك الوقت كما ان الجزء اليسير الذى يعرف كان خطأ •

ولما كنت فى أوروبا وقت قيام ثورة ١٩٣٠ فى البرازيل كانت الجرائد تنشر القليل من الأنباء التلغرافية عنها كما ان التعليقات التى كان يقوم بها بعض الكتاب كانت خيالية وعلى غير أساس من معرفة وقد برهنوا على أنهم لا يفهمون معنى كلمة « ثورة » لعدم معرفتهم بعقلية تلك الشعوب الجديدة المجددة المبتكرة كما يجهلون ان قيام ثورة فى البرازيل أو فى أى من بلاد امريكا الجنوبية لها فوائد عظيمة جدا فى ذاتها وتعد خطوة جديدة هامة فى سبيل التقدم المادى والأدبى والاجتماعى لحفظ التوازن مع امريكا الوسطى وان الثورة هناك بمثابة الشيء الطبيعى الذى لا بد منه وان الطبقة أو الحزب الذى يقوم بثورة انما يرمى من وراء ذلك الى تغيير اداة الحكم القائمة وتطوير العقلية الشعبية نحو التهذيب السياسى والاجتماعى لسنين مقبلة .

كما وان من فوائدها تنبيه الشعوب الأوروبية والفات نظرها الى أن فى البرازيل أو غيرها شعبا حيا يثور ويبذل النفس والجهد فى سبيل الاصلاح لتحذو حذوها لتحقق عدالة اجتماعية تنتفى معها تلك النظريات المتطرفة التى تجعل من الفوارق الطبقية وانخفاض مستوى المعيشة أسبابا للفوضى والاضطراب .

ولكن أوروبا كانت غارقة فى لجة من مشاكل داخلية فيما بين بعض دولها وبين هذا البعض والمستعمرات التى ترزح تحت طغيانها غير عابئة بما يجرى حولها فى العالم الحر من نهضات تقدمية فى شتى النواحى .

فلهذه الأسباب مجتمعة أخذ مكتب الصحافة البرازيلية على عاتقه القيام بالدعاية للبرازيل خاصة وبلاد امريكا الجنوبية عامة لتبصير شعوب أوروبا بما يجرى فى العالم الجديد فصرنا نعقد الفصول الطوال فى الصحف الباريسية والاقليمية منها وغيرها كما صرنا نصدر نشرات فى أوروبا باسم البرازيل للدعاية للمدن الشهيرة كريودى جانيرو وجمال طبيعتها من أنهار وجبال وما أصابته من تقدم وعمران واز دهار الى غير ذلك مما لا يقع تحت حصر ، وهكذا نجح المكتب الجديد الى أن أشترته الحكومة منى .

لما غيرت جنسيتى ثم اسمى عام ١٩٣١

سبق أن قدمنا فى فصل سابق ان البرازيل كانت الى زمن هجرتى الأولى عام ١٩٢٥ تفتح أبوابها على مصاريعها لكل مهاجر من أنحاء المعمورة وان المهاجر قد يغير

اسمه الى اسم لاتينى بواسطة موظف الهجرة قبل أن تطأ قدمه أرض البلاد اذا كان يحمل اسما معقدا فى النطق أو الكتابة ، كما قلنا ان هذه الطريقة وهى طريقة تغيير الاسم عند القدوم الأول كانت تستعمل مع أولئك الذين يصلون وليس معهم الا اسمهم وحتى ذلك الاسم قد يراه موظف الهجرة لا يتفق ومزاجه فى الكتابة أو النطق فيعمد الى تغييره بآخر لاتينى هزءا وسخرية .. ثم يسلمه ورقة تحمل اسمه الجديد موقع عليه من الموظف المسئول عن الهجرة فيصبح كأنه اسمه الذى دخل البلاد به شرعا وقانونا فالمسألة نفسية ولا بد للقادم من قبوله هذا الوضع الذى ارتآه له أصحاب البلاد وما كان له أن يتخير أو أن يعارض فى هذه التسمية لأنه لا يملك حق نفسه حتى ولو اختير له رقم يحمله بدلا عن اسمه كأن يدعى مائة وثلاثة وسبعين — — على سبيل المثال — فليس أمامه الا القبول شاكرا أو أن يعود أدراجه من حيث أتى. وقد كان فى الامكان أن يحدث لى مثل ذلك الذى حدث لغيرى من جراء الظروف التى حضرت فيها من حيث العوز المادى وعدم وجود موطن لى ، ولكن معرفتى باللغات الأجنبية الأخرى كالانجليزية والفرنسية والايطالية كانت السبب فى عدم تطبيق القاعدة المتبعة على ، ولا سيما وان اسمى بالذات يحمل فى طياته معان لا تخطر ببال أحد ممن لا يعرفون لغة البلاد « البرتغالية » ولتوضيح ذلك أقول ان اسم « أحمد » لا يعنى شيئا ولكن حسن مطر تعنى الكثير من غير المألوف فى الأسماء فحسن Hassan عندما تقرأ بالبرتغالية تصبح Assan لأن حرف H صامت فى لغتهم وبتغيير الحرف الأخير الى R فقط تصبح Assar معناها « يشوى » اما مطر جميعها تعنى « يقتل » فاذا جمعت الاسم جميعه لأصبح «أحمد يشوى يقتل» أفليس فى كل هذا التخريج ما يحمل موظف الهجرة لاتباع طريقته المألوفة ولكن الله سلم .

ولكن وبعد أن أمضيت خمس سنوات فى البرازيل وامتهنت الصحافة وبعد أن ألقيت سلاح الكفاح والجهاد وطلقت السياسة الشرقية ثلاثا ، ورغم كثرة معارف وأصدقائى ومكانتى فى دوائر الصحافة منها أن أى رأى أبديه فى صحيفة سيارة مهما كانت أهميته ووجاهته لا يلقى القبول لعلمهم ان الكاتب أجنبى ولا يعتبر قوله ،

وهذا من أهم الأسباب التي حدت ببعض أصـــــدقائى السياسيين من الصحفيين البرازيلين الأصليين ان يختاروا لى هذا الاسم الذى حملته سنين عدة ، فقــد كنت يوما أجلس فى دائرة من الأصدقاء الصحفيين فقال أحدهم لماذا يا اخــوانى لا يغير « مطرا » اسمهليصبح برازيليا ؟ فأمن الجميع على قوله ثم بدأوا فى تخير الأســماء فقال أحدهم أنا أقترح أن يكون اسمه الأول « روبرتو » فصاحوا جميعهم هــذا جميل ، وقال آخر والاسم الثانى ؟ قال آخر « لويز » « روبرتو لويس » هذا ظريف وجرسه ألطف ، فلم يبق الا اسم العائلة ليلحقوه بى ، وهنا كثر اللغط بينهم وهم فى نشوة تخير الاسم وتعددت الأسماء فلم تلق القبول الاجماعى ، ثم طرأت لأحــدهم فكرة فوقف منتصبا وقال لماذا لا نلحقه باسم « باروس » الشـهير الذى كان يلقب « خطر على الحدود » فصاح الجميع هذا هو ــ أحسنت ــ هياج وهكذا أصبحت من تلك الساعة روبرتو لويس دى باروس ، وباروس هــذا الذى ألحقونى به كان ضابطا ثوريا جسورا اشتهر اسمه فى عهد حروب التحرير الأولى فى البرازيل وأصبح اسمه يلقى الهلع والذعر بين الأعداء فلقبوه « خطر على الحدود »

واحتفلنا بالاسم وشربنا الأنخاب بين كؤوس الشمبانيا ، وفى اليوم الثانىذهبنا الى المحكمة وقررت استعمال الاسم كاسم مستعار للتوقيع فى الميدانالصحفى وانى مسئول عن أعمال « باروس » كما عن أعمال « مطر » وقبيل ذلك كنت قد قدمت طلبا للتجنس بالجنسية البرازيلية فمنحت لى دون كبير مشقة وبأقصر اجراءاتوهكذا أصبحت برازيليا شكلا وموضوعا وفى كلتا الحـــادثتين أفتن الزملاء فى نشر اسمى الجديد فى جميع الصحف البرازيلية وازجاء التهانى الرقيقة لاكتسابى الجنسية وقد كان سرورى لهذين الحدثين لا يعــادله سرور الا يوم أن وطئت قدمى أرض بلادي السودان فى عام ١٩٤٩ أى بعد أكثر من ربع القرن .

نهاية كفاحى السياسى

بارحت باريس وأخذت الباخرة من ميناء شربورج الى ريودى جانيرة وقــد استعرضت فى تلك الرحلة صحيفة أعمالى منذ تركت بلادي وما جره على انغماسى فى المسائل السياسية عن غير وعى وفهم صحيح لهذا العالم وكان كل ما نلته فى الخطب

والمحاضرات التى كنت ألقيها سواء فى قضية المغرب والأمين عبد الكريم أو فى أغراض الجمعية الشيوعية التى استخدمتنى لم يتعد التصفيق اينما حللت هـــذا زيادة على ما لاقيت من سجن وتشريد فى حادث السردار وما تلاه من حوادث فى تعقب الانجليز لى فى رحلتى الى غرب افريقيا وحيث بقيت بالباخرة أياما لا تقبلنى أى بلد للنزول فيــه فعولت أن اختط لنفسى خطة جديدة وان أستمتع من الحياة بتلك الناحية التى حرمت منها ••• ناحية الحب والمرح والجمال •

فلما ان وصلت ريودى جانيرو بدأت فى كتابة مذكراتى بعد أن أسست مكتب الصحافة البرازيلى وتقدمت بطلبى للتجنس بالنسية البرازيلية فأجيب طلبى وأخذت أنشر مذكراتى وقد كتبت أربعين مقالا تحت عنوان «البرازيلى الجديد» وكان مقالى الأول « لماذا تركت السياسة » هو فاتحة تلك المذكرات التى استعرضت فيها تاريخ حياتى منذ الصغر وقد لقيت اقبالا عظيما من الجمهور •

وفى أثناء ذلك صرت أغشى الأندية الليليـــة مع زملائى من الصحفيين وعرفت طريقى الى المجتمعات الراقية فى المدينة فلا يقام حفل أو اجتماع الا وأكون من أبرز المدعوين اليه وهكذا نفضت عن نفسى مخلفات السنين الماضية من تلك الحياة العلمية التى أخذت نفسى بها من تزمت وجدية تكشفت عن لا طائل تحتها غير الشقاء والحرمان مما ينعم به الغير وخصوصا لمن كان فى سنى وشبابى •

حياة المرح ـ التحول من القيام بالمهمات السياسية الى التحكيم فى مسابقات الجمال

وكان من اثر تلك الحياة المرحة التى كنت أحيـــاها فى تلك الفترة ومكانتى الاجتماعية بين القوم أن عرضت على صحيفة « أنويتى Anoite » ومعناها «المساء» أن أمثلها فى أوروبا ولأشرف على انتخاب أكبر حسناوات البـــلاد الأخرى ودعوتهن للبرازيل فى مسابقة جمال لانتخاب « ملكة جمال العالم » تنظمها تلك الصحيفة التى أفردت لها مبلغا ضخما من المال ، وكان على أن أســافر أولا الى باريس للاجتمـاع بالشخص الذى أوكلت اليه الصحيفة أن يقوم بهذا الاختيار وأرقب عمله نيابة عنها

وعند النهاية أعمل على سفر ملكات الجمال الى البرازيل فى رفقة أشخاص من ذويهن ثم أتبعهن الى هناك .

وقد راقت لى هذه المهنة فحزمت متاعى واخذت الباخرة الى باريس وهناك بدأت والعميل الفرنسي وهو الصحفى الشهير موريس ديفالف فى مزاولة عملنا فكان عليه أن يعلن فى الصحف عن هذه المسابقة ويحدد موعدا ومكانا فى احد الاماكن التى تختارها ليتقدمن المتباريات للوقوف امام لجنة من المحكمين لاختيار الفتاة التى تمثل بلدها وكانت تشكل تلك اللجنة من بين الكتاب والمصورين والمثالين والممثلين والصحفيين ومن على شاكلتهم من رجال الفن وبهذه الطريقة انتخبت «ملكة جمال فرنسا» من بنات باريس كما انتخبت من بين بنات الجالية اللبنانية فى باريس «ملكة جمال لبنان» وكانت الآنسه ليلى الزغبى كريمة السيد حبيب الزغبى التاجر فى باريس وهكذا تجولت فى تأدية المهمة بين بروكسل وامستردام ـ جنيف ـ مدريد ـ لسبون ، ورفضت انجلترا وايطاليا ، ولم أتمكن من السفر الى آتينا فى اليونان فعولنا ان تتخذ معها نفس الطريقة «مس لبنان» اى من بين فتيات الجالية اليونانية فى باريس وعندما تم اختيار المتباريات عملت على سفرهن ومرافقتهن على احدى البواخر الى ريو على حساب الصحيفة وبقيت خلفهن أياما لتصفية الأعمال مع العميل ثم لحقت بهن الى هناك لحضور المسابقة وقد حضرت ممثلات عن جميع ولايات أمريكا الجنوبية الاثنين والعشرين بما فيها البرازيل نفسها وبعض ولايات امريكا الشمالية .

هكذا شربت من كأس «الجمال» حتى الثماله ، وقد فاتنى أن أذكر أن من بين الأعمال التى كنت أقوم بها من نفسى لأشبع رغبة « الفن » هو تقديم المتباريات واحدة واحدة أمام المحكمين فى القاعة الكبرى بينما تجلس باقى المتقدمات فى غرفة أخرى وكلهن فى أبهى ثيابهن فأخذ بيد الواحدة منهن فى تمهل وخطو رفيق من الغرفة التى كن بها حتى مائدة المحكمين فأمر بها عليهم مقبلة مديرة ثم أرفع عن الساق ثم أعود بها للغرفة لآخذ غيرها وهكذا دواليك الى ينتهى العرض ، وهكذا أيضا أبدلت خطاباتى على المنابر ومحاضرتى عن الاستعمار ومآسيه بهذه المسرحية الخفيفة من الفن الرفيع .

وعندما التأم عدد المتباريات من كل البلاد أقيم الحفل النهائى للمسابقة وكان عدد المحكمين كبيرا بينهم الكثيرات من السيدات وكان على كل من مندوبى الصحيفة فى الجهات المختلفة أن يقدم محصوله أمام الجماهير الغفيرة التى أكتظ بها المكان فكنت أمثل اروبا بأن أعلن أسم الفتاة والبلد التى تمثلها وهكذا بمثابة أستعراض عام لاستمتاع الجماهير ، ثم يبدأ المحكمون فى استبعاد أسماء الفاشلات واحدة واحدة الى أن يصلوا التصفية النهائية ويتفقوا على « ملكة جمال العالم » من بين الاثنتين الاخرتين فتحمل اللقب وتلبس التاج على رأسها وقد يشوق القارىء طبعا أن يعرف النتيجة لهذه المسابقة ولكنه لو أمعن الفكر قليلا وسأل نفسه لماذا تقيم تلك الصحيفة البرازيلية هذه المسابقة وما الدافع اليها وما هو الكسب الذى يعود عليها خاصة والقطر البرازيلى عامة وقد صرفت من مواردها مبالغ ضخمة فى أنجاح الفكرة لبرزت اليه الاجابة واضحة أن الغــــرض « الدعاية » والدعاية ليس الا ••• ولاستكمال الصورة تقول أن الدعاية قصد بها أسم البلاد أولا وثانيا أسم المدينة البرازيلية التى كانت هى الهدف المقصود من أقامة المسابقة لاسباب داخلية بحته وكانت النتيجة أن أعلن المحكمون فوز « ملكة جمال بورتو اليجرى » بلقب ملكة جمال العالم وبورتو اليجرى هى عاصمة احدى ولايات البرازيل الجنوبية وبلد رئيس الجمهورية السابق جينو ليوفارغاس .

وهكذا أنتهت تلك المؤامرة الصحفية وعادت الحسناوات الى بلادهن يجررن أذيال الخيبة والفشل وفى نفس كل منهن حسرة ولكن ما لقينه من حفاوة واستقبالات رائعة وما شاهدنه من معالم تلك البلاد العظيمة وعلى رأسها تلك الرحلة البحرية من والى البرازيل فى ذلك الوقت وكانت تعد من أمتع الرحلات بالبواخر وقد تستغرق من ١٢ ـــ١٤ يوما قد يخفف عليهن وقع صدمة الفشل فى المسابقة كما أن الفتيات المتسابقات سيحملن الى بلادهن بروح رياضية ــ دعاية لتلك البلاد لا تقدر بقيمة •

زيارة البرنس أوف ويلز عام ١٩٣١ للبرازيل

وفى اكتوبر عام ١٩٣١ زار سمو برنس أوف ويلز وأخـوه البرنس جـورج (الملك السابق) البرازيل وحلا فى ضيافة الحكومة البرازيلية فى فندق كوباكابلنــا الشهير وقد أشارت وزارة الخارجيــة على الصــحفيين أن لايزعجـوا سموه والح

العمومى للفندق ولكن البوليس السرى حال بينهم ودخول الفندق وقد كنت بينهم فطرأت على فكرة أسرعت فى تنفيذها فى الحال ، عدت الى منزلى وابدلت ملابسى ولبست ثياب السهرة الاسموكنج وعدت ودخلت من الباب الخلفى للفندق ثم الى المطبخ ـ وعادة يوجد بين المطبخ وبين الجناح باب يفضى الى ممر وأمام هـذا باب غرفة الاكل ثم باب الى صالون الجلوس وغرفه النوم ـ فسألت أحد السفرجية أين الباب الى جناح سمو البرنس فأشار بيده وسرعان ما أقتحمته فأذا بى أمام باب آخر وآخر حتى وجدتنى وجها لوجه مع سموه وأخيه وبعض الزوار فما كان منى الا أن أنحنيـت بالتحية ثم توجهت الى موضع جلوسه واسررت اليه أن عـددا كبيرا من الصحفيين ينتظر سموه فقال فليدخلوا ، فأجبته بأن البوليس يمنعهم ما لم تتكرم سموك باصدار الامر ليسمح لهم ، فقال تعال معى نذهب سويا فاخترقنا غرفة الطعام العامة وكانت غاصة بالناس فما أن رأوا البرنس حتى التبس القوم وأحنت الرؤوس ووقف البعض احتراما ونزلنا السلالم الى الشارع وظهرت بجانب البرنس وناديتهم هيا تفضلوا فدخلوا وقضوا معه وقتا ثم أخذنا صورا مع سموه وكان لهذه المغامرة الجريئة صداها فى الصحف ووصفتنى بعضها بأعظم رائد صحفى عرفتـه البرازيل ، وهكذا اسقط فى ايدى وزارة الخارجية وبوليسها السرى .

الراقصة استر الصغيرة

وما أن انتهت عقابيل المسابقة ودعايتها حتى كنت قد فكرت فى استقدام الراقصة الزنجيـة استر الصـغيرة وقد كنت قـد تعرفت عليهـا فى باريس ورأيت اقبال الشعب الباريسى عليها فأخذت فى مفاوضة مدير أعمالها وهـو فى نفس الوقت عمها بعمل استعراضات راقصة وأغانى فى العاصمة والبلاد البرازيلية الشمالية فنجحت المساومة وحضرت استر الصغيرة وقامت باستعراضاتها فى ريو فلاقت نجاحا باهرا وقد كنت أقوم بالدعاية لها فى الصحف وبالنشرات اليومية ثم طفت بهـا مدن البرازيل الشمالية : فكتوريا ـ باهيا ـ برنامبوكو ـ فورتاليزا ـ سنت لويس دى مارانو ـ

بلم ــ ومانوس ، وقد استغرقت تلك الرحلة ستة أشهر كان صافي ايرادي من هــذه المغامرة ٤٠٠ جنيه بعد كل المصروفات من مأكل ومشرب وسكن بالفنــادق وأجور قطارات وسيارات وغير ذلك •

وهكذا قضيت نصف عام ١٩٣١ الأخير في حياة صاخبة ومرح ، أنام بالنهـــار وأعمل بالليل الى الهزيع الأخير منه كما قضيت النصف الأول منه في خدمة مسـابقة الجمال فكان العام وقد انقضى دون أن أحسه حافزا لي على القيام بمغامرة أخرى بعد أن نهلت عبا من حياة الشرب والموسيقى والرقص •

زعيمة القرصان التي اصطادتني عام ١٩٣٢

وبمطلع عام ١٩٣٢ أخذت الباخرة « كامبانا » الى جنوا ومنها الى مرسيليا والى منزل صديقي صادق فمكثت أياما ثم فكرت في رحلة الى الشرق الأقصى فذهبت الى رئاسة شركة المساجيرو ماريتيم وهي شركة الملاحة البحرية المشهورة وعرضت عليهم منحي امتيازا في رحلة احدى بواخر الشركة الى طوكيو مقابل القيام بالدعاية للشركة في رحلتي الصحفية التي اعتزمتهافوافقت الشركة على أن أدفع مايوازي أجر السفر بالدرجة الثالثة على أن يختصوني بغرفة لوكس على يمين القبطان (أي موضع الشرف) وهكذا وفقت في الخطوة الأولى ، أقلعت بنا الباخرة وكانت جيبوتي أول ميناء تقف به ومنها الى كولومبو وسنغافورة فشنغهاي وكانت الباخرة ترسو بضع ساعات في هذه الموانيء فينزل الركاب الى المدينة لمشاهدة معالمها وأسواقها كما يفعل السائح في مثل هذه الحالات وشراء ما يروق له من مصنوعات تلك البلاد الى أن وصلنا الى شنغهاي التي حذرني زملائي الصحفيون من لصوصها ومحتاليها فقد كان لهذا البلد الجميل أسوأ سمعة في هذه الناحية وفيها تجد جميع شعوب العالم لكنها كانت مركزا مهما للتهريب وأعمال القرصنة واللصوص وقطاع الطرق وقد حدث أثناء نزولي من الباخرة أن لمحت فتاة على جانب عظيم من الجمال والأناقة تسير بجانبي وتخالسني النظرات فلم أعرها اهتماما باديء ذي بدء ولما وصلت الى الفندق حيث نزلت وبينما كنت أعطي البيانات عن شخصيتي لرصدها في سجل الفندق رأيتهـــا للمرة الثانية

DIARIO DE S. PAULO — Domingo, 7 — 12 — 1930

A REPERCUSSÃO DO MOVIMENTO REVOLUCIONARIO NO EXTERIOR

O sr. A. H. Mattar, director do "Bureau Bresilien", de Paris, fala sobre o que realizou junto á imprensa franceza em pról da revolução

RIO, 6 (Da succursal do DIARIO DE S. PAULO) — Pelo telephone — Afim de ampliar os serviços do "Bureau Brésilien", com séde em Paris e succursal em Nice, de que é director, acaba de chegar ao Rio, a bordo do "Capana" o jornalista egypcio, naturalizado brasileiro, Ahmed Hassan Mattar. Occupando-se essa empreza de assumptos brasileiros, os ultimos acontecimentos aqui desenrolados mereceram da "Press Bresilien" especial attenção. Extendendo as suas rêdes de ligação até as redacções do "New-York Herald", do "Paris Press", do "L'Echo" e do "L'Eclaireur", de Nice, do "Les Petit Marseilleu", da "Revue du Liban", da "Tribune d'Orient", do "Almanrad" e de outras publicações, essa organização jornalistica póde fornecer á imprensa carioca um serviço de informações tão precisa quanto permittia a confusão lançada no estrangeiro pelos communicados tendenciosos do governo deposto.

A chegada do sr. Mattar permittiu-nos conhecer detalhes interessantes do noticiario, publicado na Europa sobre a Revolução Brasileira. Esse nosso confrade mostrou-nos recórtes constantes de seu dossier, pelos quaes observamos que diversos jornaes estrangeiros, fugindo á regra geral, teceram commentarios [illegible] offerecendo aos seus leitores noticias, nas quaes os nomes dos nossos politicos e das localidades mais remotas do territorio nacional não appareciam truncados. Vimos, por exemplo, referencias aos srs. Getulio Vargas, Julio Prestes, Flores da Cunha, Juarez Tavora, Afranio de Mello Franco, Miguel Costa e outros próceres com as explicações precisas sobre as suas zonas de influencia. Nenhum delles apparecia como paraguayo ou argentino.

DECLARAÇÕES DO SR. MATTAR

— "Aproveitando a opportunidade da minha viagem ao Brasil, procurarei entrar em contacto com os interessados na propaganda do turismo, dando-lhes pequenas suggestões sobre a melhor forma de tornar conhecidas as bellezas naturaes do paiz, as ferrovias e rodovias, os rios navegados, as linhas aereas e tantos outros elementos de attracção para o forasteiro.

Farei vêr a necessidade de dar impulso á vida artistica e esportiva para que o paiz se torne ainda mais interessante. O intercambio com o estrangeiro poderá ser então uma realidade promissora. Sobre esse ponto, aliás, tive occasião de falar com mr. Paul Vallet, director do "Office National de Turisme", da França, ficando combinado ainda uma numerosa delegação composta de jornalistas

جريدة دياريودى سان باولو

تكتب عن الدعاية التى قام بها المؤلف للثورة فى البرازيل

13/12/1930

عدد ١٢٧٨

— وصل هذه العاصمة قادما من باريس حضرة الاديب احمد افندي [illegible] رئيس مكتب المراسلات الصحافية في العاصمة الافرنسية

وقد قرأنا في الصحف الوطنية ما ادلى به من الاقوال عن رأي الصحف الاجنبية في الانقلاب السياسى في هذه البلاد . وما كان له من التأثير في المقالات الرسمية واثنت على الاديب ما نشره وما اذاعه عن البرازيل وقد تفضل بزيارة هذه الجريدة

فنثني الثناء الطيب على عمل الاديب [illegible] الاقامة ينفصح عن فحـــــواه .

LA FETE AU PALAIS DE L'EXPOSITION. — A gauche, une des candidates passe devant les jurys

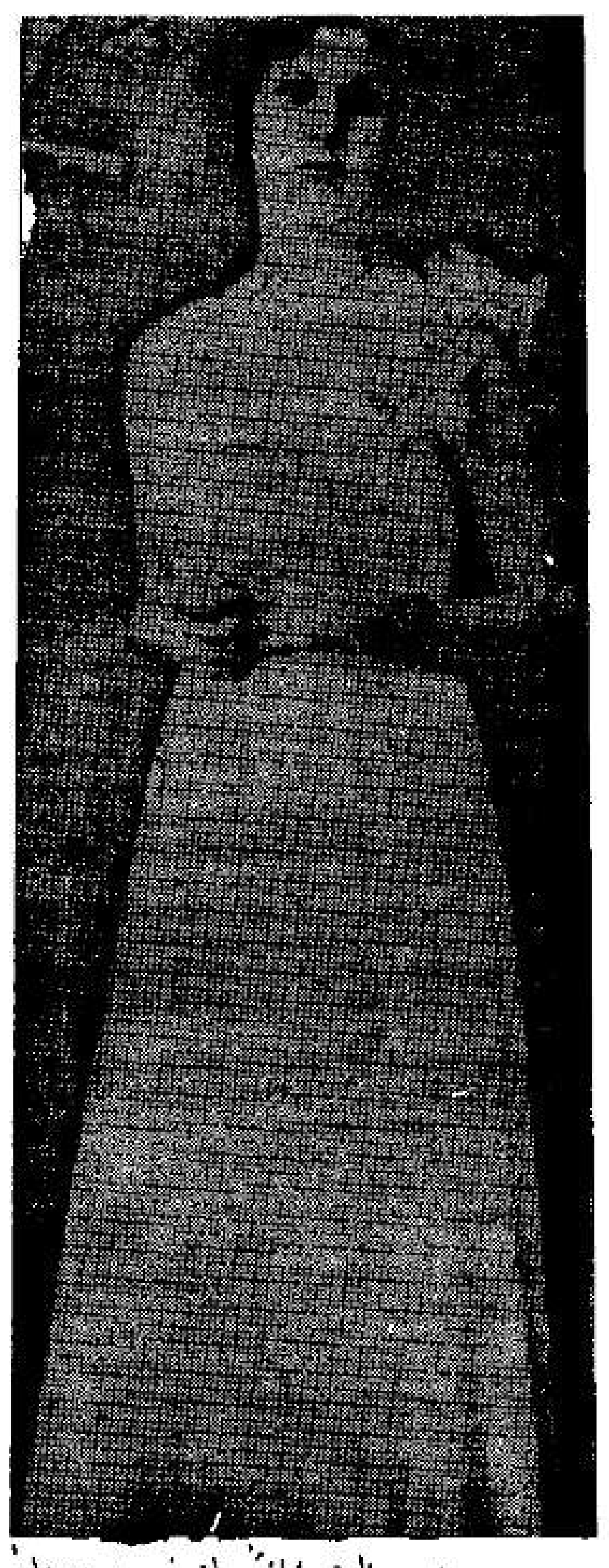
أحدى المرشحات لمس بلجيكا تمر أمام هيئة المحكمين وعلى يمينها المؤلف وقد جلس فى الطرف ليقوم ويتناول يد المرشحات ويسير بها أمام الهيئة ثم يبدى توصياته بصفته المندوب الاول فى أوروبا للجريدة التى قامت بالمسابقة العالمية .

No Casino San Estefano de Alexandria



Um grupo das concorrentes de belleza egypcia, no famoso Casino San Estefano, vendo-se o sr. Roberto Luiz de Barros no extremo esquerdo. Elle foi membro do jury com o sr. Emerico (no meio) e sr. Canoudy (ultimo á direita). A Rainha foi a senhorita Irauvitch; a segunda foi a senhorita Itidal Ahmed e a terceira miss Emmy Salama.

مسابقة جمال في الاسكندرية
[illegible] كان المؤلف حكماً فيها



(١٨٣) ملكات الجمال المشهورات في ربوع الجزيرة

ittle Esther

O EXTRAORDINARIO EXITO, [illegible] ULTIMO, DA SUA EXHIBIÇÃO A' INPRENSA LOCAL. LITTLE ESTHER E' UM PHENOMENO DE PRECOCIDADE.

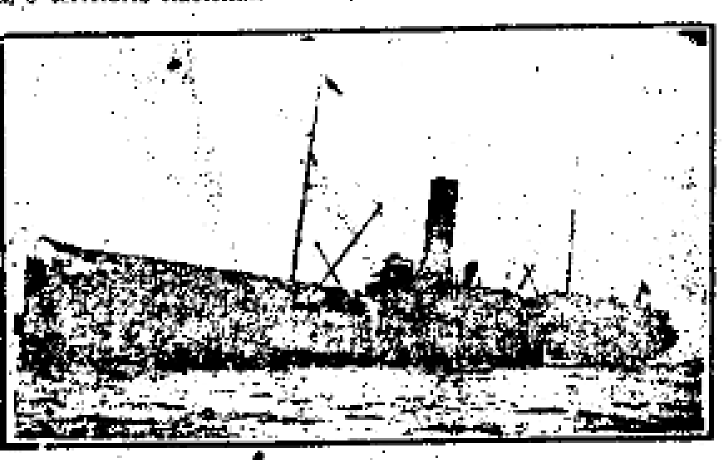


وهذه لتل استر الشهيرة .

O conflicto peruvio-colombiano - Incidente nas fronteira do Brasil -- O bombardei aereo de uma lancha brasileira -- A morte de um pescado amazonense

– Reportagem de Roberto L. de Barros, especial para VANGUARD

Durante aquelles dias tormentosos que passei na zona de guerra do conflicto colombo-peruano, tive a opportunidade de verificar a attitude digna e imparcial das tropas brasileiras, destacadas na fronteira para garantir a nossa neutralidade. Era melindrosissima a situação daquellas tropas: de um momento para outro poderiam ser impellidas pelo dever a fazer respeitar, pela força, o territorio nacional.



O navio colombiano "Mosquera"

Mais de uma vez foi preciso que os officiaes superiores lançassem mão de todos os recursos persuasivos para que os nossos soldados, naturalmente inflamados pela luta que se desenrolava aos seus olhos, não tomassem partido effectivo ao lado de um ou de outro, belligerante. O curioso é que os soldados brasileiros não faziam distincção entre as nações em conflicto; queriam lutar a favor de qualquer dellas, contanto que saissem daquella inactividade tediosa. Gente brava, aquella.

Figura invulgar do soldado e do diplomata, cabem os maiores elogios ao general Almerio de Moura, commandante da 8ª Região Militar e das Forças de Observação do Amazonas, a cujo tacto diplomatico e prestigio pessoal entre os seus commandados se deve não haver incidentes militares a lamentar. S. S. conscio da grande responsabilidade que lhe pesava sobre os hombros, foi incansavel. Por mais de uma vez visitou todos os postos militares espalhados pela fronteira, interessando-se pelo bem estar dos soldados e para que fosse mantida a mais absoluta neutralidade.

Não é demasiado elogiar-se tam-

Polydoro Barbosa, Magalhães Barata, commandantes, respectivamente, dos 25, 21, 27 B. C.; do capitão Eduardo Simeon, official de ligação entre a Marinha e o Exercito; dos capitães tenentes Carvalho Filho e Alvaro Araujo, commandante respectivamente, das 1ªs e 4ªs divisões aereas navaes de observações e bombardeio; do capitão tenente Alvaro do Cabo, commandante do Aviso "Mario Alves", o mais efficiente e celebre policiador das aguas territoriaes do Brasil; e dos capitães tenentes Paraguassu' de Sá e Accyoli Doria, e o 1º tenente Cezar Burlamarqui, commandantes, respectivamente, dos Avisos "Alegria, "São Pedro" e "Jovita Eloy". Empregando as suas melhores actividades e tendo sempre presente os altos interesses do Brasil, esses officiaes se conduziram de forma a merecer não só os elogios dos seus superiores, como a estima e sympathia do povo.

Incidentes

Quem se encontra afastado da zona de operações bellicas, faz um julgamento muito differente da verdade dos factos que alli occorram. A distancia e a imagina dos narradores transformam multas veses invertem as occurr cias, causando, não raras vezes, tubações e desgostos. Quando consegue reduzir os factos ás verdadeiras proporções, vê-se tudo não passou de uma tempe de em um copo de agua.

Nesse conflicto de Leticia, incidentes occorreram que fo motivo das mais differentes raques. O primeiro delles, que jornaes noticiaram como tend do assassinado pelos peruanos nas aguas territoriaes, um cador brasileiro, deve ser con da seguinte fórma: Em uma sem luar, um caboclo brasileiro trahi-se quando pescava e tran as aguas territoriaes do Peru' navio patrulha peruano, perc do o vulto do pescador e tem fosse elle um espião colombiar portador de alguma mensa chamou-o á fala. Em vez de a der, certamente amedrontado pescador não respondeu e dei fugir, remando vigorosament patrulha fez descarga, matan pescador.

Como se percebe da narr acima, não houve crime. As lei guerra são claras nesse ponto.



General Almerio de Moura, commandante em chefe das forç brasileiras que operaram Colombia

Falleceu a nadadora Litzig, quando tentava bater um record mundial

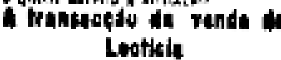
إحدى مقالات ... عن الحرب بين كولومبيا وبيرو نشرت فيه صورة الجنرال البيرودي مورا وقد كان اميرا (امير الاي) في الجيش البرازيلي

O conflicto peruvio-Colombiano — A guerra de Leticia nasceu de um caso pessoal?

...mo foi este territorio vendido á Colombia -- Por que o governo Sanchez ...rro apoiou as reivindicações das populações peruanas de Leticia

Reportagem de ROBERTO L. DE BARROS, especial para VANGUARDA





A transacção da venda de Leticia



Soldados brasileiros prestam homenagem a um collega colombiano, morto em combate

VANGUARDA

Rio: 16—4—1933

O CONFLICTO PERUVIO-COLOMBIANO

(Continuação da 1ª pag.)

بالقرب مني وكأنها تهتم بي فبدت المخاوف تساورني من جهتها فلمـــا صعدت الى غرفتي أبدلت ملابسي وعدت لأتناول طعامي انفردت فى جانب الصـالون على مائدة صغيرة وبعد فترة قصيرة حانت مني التفاتة لأتصفح وجوه الرواد فى غرفة المائدةفوقع بصرى عليها للمرة الثالثة فى يوم واحد وهي على مقربة مني فأخذتني رعدة سرت فى أوصالي وأيقنت أن ذلك لم يحدث بمحض المصادفة وبينما كنت فى دخيـلة نفسي أتساءل عمن تكون هذه الفتاة وما غرضها مني أعود فأطمئن نفسي على انها المصادفة فقط وأن الفكرة السيئة التي سيطرت على عقلي عن المدينة هي التي جعلتني فريسة لهذه الهواجس أو أن الفتاة تريد بي شرا فنظرت اليها فبادلتها النظـرة كمن يرمي بالقفاز فى وجه الخصم وانفرجت أساريرى لها فما عتمت أن نهضت من مائدتهـا ومشت صوبي وسلمت فرددت التحية • وأشرت لها على المقعـد فجلست أمامي ، فناديت الخادم ليقدم لها مشروبا ــ شمبانيا ــ ويسكي الخ ••• فقـالت لا ، قهوة فقط ، فحمدت الله على هذه الخطوة وقد كان بودي أن أعرف عنها شيئا مهمـا كان الثمن الذي أدفعه فىسبيل ذلك ، فقالت انت صحفي قلت نعم ، ومن أين عرفت ذلك ؟ قالت من قائمة ركاب الباخرة التي وصلتُ فيها اليوم وقد كنت هنـاك ، ألم ترني ؟ قلت رأيتك • ثم قالت أين تريد أن تقضي السهرة اليـوم ؟ قلت فى السينما • قالت أتأخذني معك ؟ وأنا أدفع عن مقعدي ؟ قلت لا مانع ، ذهبنا الى السينما وقضينا وقتا ممتعا وبعد أن خرجنا من السينما وعدنا الى الفندق صارحتها بأنني صحفي فقير وقد تظنني غنيا أوفر لها بعض أنواع المتعة ، اما وجودي فى الباخرة فى الغرفة الفاخرة فلها قصة يعرفها القبطان ، وان ما بجيبي لا يتعدى ما قيمته مائة جنيه ، وسرعان ما وضح تأثير كلماتي سريعا فى وجهها ولكنها تمالكت نفسها وقالت فى مرارة ، عرفت ذلك انه حظي ، ومع ذلك فلن أتركك ، وهكذا اقتسمنا الغرفة تلك الليلة وتركت لي الأجرة على المائدة فى الصباح ثم عادت فى الظهر وعرفتني انها بكرت فى الخـروج لتزور شقيقتها ثم قضت بقية اليوم فى صحبتي واختفت فى المساء ونامت خارج الفنـدق ثم عادت لتقول انها كانت عند اختها أيضا •

وهكذا استمرت صداقتنا نحو الأسبوع وفى آخر يوم وكانت قد قامت عنى فى الليل خرجت صحف الصباح فى شنغهاى تحمل صورتها فى أعجب وضع وأخلقه بأسباب الاثارة كانت تحمل مسدسين وتدير زورقا بخاريا وأمامها تسعة عشر رجلا من القرصان الأشرار الذين يعيثون فسادا فى مياه النهر الأصفر ، وكتبت الصحف على رأس الصورة عبارات تحمل هذه المعنى : القبض على زعيمة القراصنة •• معركة الساحل •• جرأة منقطعة النظير لامرأة مغامرة •• ودارت بى الأرض ، وكدت أسقط من هول المفاجأة ، ولكنى رغم ذلك كنت قد أنست اليها فاستعنت بمواهبى الصحفية حتى استطعت أن أزورها فى مركز البوليس تحت الحراسة ، فقابلتنى مقابلة جافة كلها ازدراء وغضب وحاولت طردى ، كانت كنمرة مفترسة ، ثم هدأت وبكت بكاء حارا وعادت المرأة ذات قلب ، حدثتنى عن ماضيها فقالت ان أباها كان زعيم القراصنة ، وكانت تصحبه فى أغلب غزواته وتدربت على استعمال مختلف الأسلحة حتى أصبحت تجيد الرماية وهى مغمضة العينين ، وحدث أن مات أبوها واختلف أتباعه ثم انتهوا الى منحها الزعامة •

وتفننت فى أعمالها فكانت توجه صغار الأولاد الى أعمال النشل بعد تدريبهم جيدا والكبار الى أعمال النهب ، كما استعانت هى بجمالها فى سلب كبار ركاب البواخر الذين يصلون الى المدينة ، فهى تعرف عند وصول البواخر ركاب القمرات الفاخرة فتختار من بينهم من تتوسم فيه أن يكون صيدا دسما فتتعرف عليه وتوقعه فى حبائلها ثم تستولى على أمواله طوعا أو كرها •• وانها سقطت فى أيدى البوليس اثر معركة نتيجة لخيانة أحد أتباعها •

وعند سماعى قصتها المؤلمة تأثرت كثيرا لخاتمتها السيئة وودعتها وانصرفت ، وبعد سنوات من تلك الرحلة وأثناء وجودى فى شيلى فى امريكا تعرفت على أمريكى كان فى شنغهاى مدة طويلة وسألته عن المغامرة « سكاى » فقال انها تزوجت من مهرب أسلحة روسى وتركت القرصنة •

أخذت الباخرة الى طوكيو وهناك حاولت جاهدا فى مقابلة الامبراطور ولكن فشلت كل الفشل ثم عدت الى سان فرنسسكو عن طريق هونولولو •• ومنها الى البرازيل •

الفصل الرابع

حرب الشاكو ـ بين بوليفيا وباراجواى

« الشاكو » هى عبارة عن قطعة أرض صحراء جرداء لا ماء فيها ولا شجر تقع بين جمهوريتى بوليفيا وباراجواى تنازعت الدولتان تبعيتها ولما لم تسلم احداهما للأخرى قامت بينهما حرب ضروس أتت على الأخضر واليابس .

تركت مدينة ريو فى شهر ديسمبر ١٩٣٢ مندوبا عن الصحف البرازيلية لموافاتها بأخبار الحرب وكان يرافقنى أحد الزملاء : رايمونده متاليائس جونيور فوصلنا بعد ٧ أيام مدينة اسميسيون عاصمة البراجواى وهى مدينة صغيرة بالنسبة لبقية العواصم التى شاهدتها ورأيت الحركة فيها على أشدها وأغلبية الشعب بالملابس العسكرية فيتراءى للزائر انه فى احدى ثكنات الجيش ، وليس فى العاصمة ..وبها دور الحكومة المهمة وقصر الرئاسة وبعض التماثيل والقليل من شوارعها مرصوفة بالأسفلت ولكن نظرا لوجود الكثير من الأسرى بها فقد استخدمتهم الحكومة للخدمات العامة كالمياه والنور والشوارع وغير ذلك مقابل القوت اليومى وهم طليقو الحرية ،وجدت الحزن والأسى مخيمين على البلد ولكن قبيل عيد الميلاد ظهرت ألعاب الأطفال فى الأسواق وجميعها تحمل الطابع العسكرى فبعضها يمثل انتصار باراجواى والبعض الآخر يمثل اندحار بوليفيا وهناك فوط ومناديل رسمت عليها « الشاكو » وعليها أعلام الباراجواى كما ان هناك كثيرا من الهدايا كتب عليها « الى زوجى الشجاع » أو « الى أخى المقدام » أو «الى أبى البطل فى خنادق الشاكو دفاعا عنى أو عن الوطن» وغير ذلك مما يثير الحماس تقدمت بطلبى لوزارة الحربية للسماح لى بمشاهدة ميدان القتال مدعما «بأوراق اعتماد » جرائدى المختومة من مفوضيتهم فى الريودى جانيرو فحصلت على الاذن وأقلتنى طائرة حربية الى قلعة فورتين وهناك أحسست بوحشة المكان وشعرت بما يلاقيه المحاربون ومنها قطعت سيرا على الأقدام نحو ثلاثة كيلو مترات لمقابلة الجنرال القائد العام للقوات ، وقد أخذ منى التعب مأخذه واتسخت ملابسى من الغبار وكانت ترافقنى سيدة تبلغ من العمر ٢٣ عاما تقريبا هيفاء شاركتنى

هذه الرحلة المضنية فأشفقت عليها وكلمتها بالاسبانية سائلا ماذا حملها على ركوب هذا المركب فأجابت بأنها مراسلة لاحدى الجرائد ولربما أرادت رغم الواقع أن تظهر شجاعتها فقالت « هذا شيء بسيط » وعلمت انها المس ادى وليمز مراسلة احـــدى جرائد نيويورك ولكن ذاع الخبر أخيرا انها بائعة ذخيرة وأسلحة موفدة من احدى الشركات .

وقد قابلت القائد العام فوجدته رجلا رقيقا نابها هادئا للغاية وتحادثت معه مدة ساعة وتغديت غداء كله من العلب المحفوظة ثم قال لى أننا لا نريد الحــــرب ولكنا مجبرون للدفاع عن شرفنا الوطنى فلما استأذنته فى الوصول الى خطــــوط النـــار استكتبونى تعهدا بتحمل المسئولية على عاتقى فى حالة جرحى أو قتلى على أن يرسل ذلك التعهد لجريدتى .

وقد زرت احدى مستشفيات ميدان القتال فلم أتمالك نفسى من البكاء عنـــد مشاهدتى الجنود المشوهين الذين لم يعودوا يصلحون لأى عمـــل ما ، ورأيت كوما من الأيدى والأرجل والأصابع كما رأيت بعينى ضحايا العطش ففى كارمن وحـــدها لقى ١٦٠٠ بوليفى حتفهم من الظمأ لتأخر وصول فناطيظ الماء عنهم ، وقد صرح لى أحد الذين تحادثت معهم من العساكر « ان عدونا الوحيــــد هو العطش » وليس فى الشاكو نهر واحد بل تحفر الآبار وتنقل الميـــاه الى مسافات بعيدة نحو ٦٠ كيلو مترا بالعربات أو على ظهور البغال على أن يخصص للعســـــكرى ٢٠ جراما اذا توفر الماء وكثيرا ما حدث ان المحاربين عندما ينقطع الماء يعمدون الى شرب بولهم ويخلطـــونه بالشاى ووضع السكر عليه وهذا من أغرب ما سمعت ورأيت .

وفى اليوم الثالث وقبل عودتى من الميدان جاء قس الى قلعة « لويس فيلبس » وقام على منصدة من الخشب تحت ظل شجرة كبيرة وصلى بالأسرى وواسى الجرحى وكان عدد الحضور أكثر من ٢٥٠٠ بكوا عند سماعهم أخبار الوطن والســلم الذى ينشدونه وسكت الجميع دقيقة واحدة لذكرى من مات فما نزل القسيس حتى انهالوا عليه سلاما وتوسلا ، وسألتهم قبيل عودتى «ماذا تريدون» فقالوا بصوت واحـــــد جهورى « السلام » فوعدتهم بتبليغ صوتهم الى العالم ، وفعلت .

ثم قفلت راجعا الى العاصمة ومنها الى ريودى جانيرو وأنا مثقل النفس بما شاهدت من « ظلم الانسان لأخيه الانسان » ومن هذه المدينة الغشوم أخذت أسائل نفسى السؤال المؤلم « اذا كنا نحن بنى الانسان نؤسس الجمعيات لحماية الحيوان والرفق به ، أفليس الأجدر بنا آن نؤسس لانفسنا ما يحمينا ويحمى اخواننا فى الانسانية من الحروب والويلات والدمار الذى تخلفه » .

الحرب الثانية بين كولومبيا والبيرو
التنازع على مدينة ليتيسيا

وبعد وصولى الى ريودى جانيرو من « الشاكو » ولما انفض عنى غبار السفر حتى قررت السفر الى الحرب الثانية التى يشتعل أوارها بين جمهوريتى كولومبيا والبيرو وبالمثل فان سبب الحرب كان نزاعا هذه المرة على مدينة صغيرة تقع على الحدود بين الولايتين كما تبعد نحو ٦٠٠ متر فقط من حدود البرازيل التى تتاخم الجمهوريتين أيضا .

ومسألة الحدود بين كولومبيا والبيرو لم تكن حديثة العهد ولكنها كانت قد ظهرت قبل عشر سنوات من ذلك الوقت وانتهت بمعاهدة وقعت فى سنة١٩٢٢وصادق عليها البرلمان البيروانى وحكومتا البلدين وقد بدأت لجنة مشتركة من الجانبين فى مسح الأرض وتخطيط الحدود ثم سجلت هذه المعاهدة لدى عصبة الأمم فى مايو سنة ١٩٢٩ .

وكانت مدينة ليتيسيا التى دار حولها النزاع تتبع البيرو رغم انها كانت تقع على الضفة الشرقية من رافد الامزون المسمى « سليمونس » أى جانب كولومبيا ولكن تخطيط الحدود الذى عمل اتبعها لكولومبيا ، والظاهر ان البيرو رغم الاتفاقية التى تمت وسجلت بعصبة الأمم لا زالت غير مقتنعة ، فلجأت الى قوة السلاح ، خرقا للمعاهدة ، ونظرا لأن البرازيل تتاخم كلتا الولايتين المتحاربتين وان نهر الأمزون الذى يجرى معظمه فى البرازيل ثم تخرج منه الفروع التى تجرى فى كولومبيا والبيرو فقد

كان دورها كدولة محايدة شاقا جدا فعليها تقع تبعة مراقبة مياه الأمزون الاقليمية التى تجتازها بواخر الدولتين المتحاربتين كما أنها وضعت حاميات كبيرة على طول حدودها المشتركة لتمنع التسلل من الناحيتين حفاظا على حيادها التام •

وقد جعلت منطقة ليتيسيا المتنازع عليها منطقة حرام تحرسها لجنة عصبة الأمم تتخذ مقرها فى باخرة حربية على ضفة فرع نهر الأمزون المواجه لها •

فى مجاهل الامازون

بارحت ريودى جانيرو بالباخرة الى مدينة بلم وقطعنا المسافة فى ثمانية أيام وهى تقع على الاطلنطى عند مدخل الأمزون ثم ركبنا باخرة نهرية الى مدينة «مناوس» عاصمة ولاية الأمزون التابعة الى البرازيل ووصلنا بعد سبعة أيام وبعد أن أقمت أياما فيها كان على أن أستقل باخرة حربية كولومبية من مكان معين فاصطحبت معى فى قارب مرشدا ومساعدا ورفيقا لبنانيا اسمه جوزى أى يوسف ويجدر هنا قبل أن أقص قصة الحرب أن أذكر حكاية جوزى الذى أصبح زعيما لجماعة من الهنود الحمر •

مع الهنود الحمر فى مجاهل الامازون

كان ذلك عام ١٩٣٣ وأثناء سفرى فى مجاهل « الأمزون » فى رفقة زميل لبنانى يدعى يوسف أى « جوزى » حينما نزلنا من الزورق لنأكل شيئا فى أطراف الغابة ، واستأذن زميلى ليقضى حاجة له فى الغابة ومرت دقائق وساعة وساعتين وزميلى اللبنانى اللبنانى لم يظهر له أثر ، وقد بح صوتى من المناداة بأسمه وداهمنى الغروب ، وبدأت طلائع الناموس فى الجو •• والناموس فى مجاهل الأمزون يتدفق بالملايين فى الغروب ، ولا تستطيع أن تسير أو تأكل الا وتضع رأسك داخل ناموسية وتركت زميلى وذهبت ومرت الأيام ولا خبر لزميلى •

وفى عام ١٩٤٥ ذهبت فى زيارة أخرى لمجاهل « الأمزون » وجلست فى نفس المكان الذى كنا نجلس فيه عام ١٩٣٣ أنا وزميلى اللبنانى وبعد فترة دخلت الغابة

وفجأة أحاط بي الهنود الحمر من كل صوب والحراب والأقواس فى أيديهم وأخذونى الى رئيسهم الذى طلب منهم اخلاء سبيلى وطلب منى أن أتبعه وسرت وراءه حتى آخر « كوخ » والتى جعل منها رئيس القبيلة حجرة للنوم وطلب منى الجلوس ثم أخرج غطاء رأسه ، فاذا به لعجبى الشديد زميلى اللبنانى الذى اختفى منى فى عام ١٩٣٣ ، وصرخت صرخة شديدة وأنا أندفع نحوه ، ولكنه اسكتنى ، ثم قص على كيف انه ذهب لقضاء حاجة له فى الغابة وكيف قبض عليه الهنود الحمر ثم أخذه الى رئيسهم الذى أمر بقتله لولا ان تشفعت له بنت الرئيس وطلبت من والدها أن يتركه ليعمل وسطهم مادام لم يأت بعمل يستحق عليه القتل .

وبدأ يعمل وسط الهنود الحمر ، وأحب الفتاة فتزوجها وبمرور الزمن مات رئيس القبيلة ، وبحكم قاون القبيلة فأن وراثة الرئيس أسندت اليه وزوجته ،وأصبح رئيسا للقبيلة وعلمت منه إنه قد وجههم لاستخراج المطاط مما عاد على القبيلة بالثراء العريض فأصبح محبوبا بينهم .

تركت «جوزى» وذهبت الى المكان المتفق عليه ولوحت بالبطارية للباخرة فى عرض النهر فهدأت آلاتها ثم وقفت وجاء ضابط فأخبرته باسمى ومهمتى .

الى ميدان القتال

وركبت الباخرة الحربية « مسكيرا » بصفة خاصة كصحفى وهى باخرة تابعة لحكومة كولومبيا كانت تحمل جنودا ومعدات حربية الى بورت آرثر التى تبعد مسافة أيام بالباخرة من « ايبرانجا » البرازيلية التى تقع على الحدود الكولومبية .

وكانت بالباخرة قوة كبيرة على رأسها جنرال كولومبى وبين هذه المجموعة الكبيرة وجدت برازيليين من موظفى الباخرة أحدهما عامل اللاسلكى والآخر «مرشد» للباخرة ، فما ان ابتعدت الباخرة عن « مناوس » حتى هاجمتنا جيوش الناموس بكثرة لا توصف مما عكر علينا صفو الرحلة فى تلك الأصقاع الغنية بغاباتها الجميلة على كلا الجانبين ، كما كان الحر شديدا لا يطاق فى داخل الغرف فنضطر ان نجلس على سطح الباخرة ، وكل منا فى شغل شاغل بهذا العدو المغير ليدرأ لسعاته وتوجد فى تلك البلاد أنواعا كثيرة من الناموس ، منها كارابنا ـ موين ـ بيوم ـ مارويم ـ موتوكا ولكل

نوع اختصاصه ، فمنها ما تترك لسعته جرحا فى الجسم ، ونوع يدخل الشعر ونوع يدخل الفم فى ساعة الأكل أو الكلام ونوع يمتص الدم والأول أشدها ضررا وهو « الكارابنا » وهذا ينقل ميكروب الحمى الصفراء .

وعندما يحل المساء يدخل كل منا فى ناموسيته وهذه من أهم لوازم كل مسافر فى أعلى الأمزون . والغريب ان أهالى تلك البلاد الأصليين وهم الهنود الحمر الأقزام ويسمونهم « الكابوكلو » يقطنون فى مساكن من خشب الغاب تقام على الماء فى الساحل حيث يعيشون على السمك والدقيق ومسحوق الفاكهة التى توجد بكثرة لا حد لها ، أهمها الموز ، وهم سعداء على هذه الحالة فى عالمهم « الميت » فماذا يهمهم من العالم الآخر ما دام السمك فى الماء والفاكهة على الأرض .. ومطر غزير ورعد وبرق ترتعد منه الفرائص ، ولا غرابة فالمنطقة تقع جنوبى خط الاستواء بدرجة أو اثنتين ، وهناك أنواع من التعابين الكبيرة التى يبالغ كبر حجمها لدرجة أنها تبتلع العجل أو الثور فلا يبقى خارجا الا قرونه فلا تقدر على ازدرادها وتبقى كذلك فى خنقها الى أن تموت .

سارت بنا الباخرة فى هذا العالم الغريب ونحن على الحالة التى وصفت فى مكافحة الناموس طيلة النهار وجزءا من الليل حتى ننام فما وقفت الباخرة فى أول محطة وهى « توناتينس » تمنينا لو لم تقف وأن تسير الى الأبد لأن جميع من بالباخرة تراه يرقص من هجوم الناموس الذى كان على الرؤوس كالضباب ولأن فى سير الباخرة وتجدد الهواء ما يخفف من حدته ، أما وقد وقفت فأصبح لا يطاق ، وهكذا فررنا الى المدينة نفسها التى ترابط فيها كتيبة برازيلية وسط هذه الغابات وقضينا أمسية ممتعة داخل الثكنات مع الضباط وقد اتخذوا جميع الوسائل لدرء خطر الناموس باحاطة مساكنهم بالسلك الناعم ، ثم عدنا للباخرة لتستأنف سيرها فى هذا العالم المجهول .

ومرت بنا باخرة حربية برازيلية تدعى « ماريو الفارس » عرفت أنها تقوم بدور المراقبة للبواخر الأجنبية التى تمر بمياه الأمزون الاقليمية ثم غابت عنا ثم ما لبثت أن شاهدناها مرة أخرى وكأنها تتبعنا الى أن وصلنا « سنت انطويودى اسا » وهى محطة عسكرية أخرى أقيمت لنا فيها حفلة راقصة من الضباط فقط وليست هناك

أيةسيدة وكانت ممتعة أيضا وبينما كانت الباخرة تسير بنا مررنا على باخرة حربية برازيلية فلم تستوقفنا ولكن حدث أن كانت باخرة اخرى بروانية مارة ايضا ولكنا لم نرها فسمعنا صفارات صادرة من الباخرة الحربية المرابطة ثم تلتها اخرى من اتجاه اخر ثم لم نلبث أن سمعنا صوت قذيفة من مدفع أصابنا من أثرها ذعر شديد وارتباك ولكن تبين أن الباخرة المرابطة طلبت من الباخرة « البروانية » التوقف لمعرفة شأنها ولكنها ردت بثلاث صفارات تقول « انها مستعجلة مع السلامة » فما كان من الأولى الا وأرسلت القذيفة انذارا لها بضرورة التوقف ، ثم وصلنا محطـة « سنت فنسنت » وزرنا الحامية وذبح لنا ثور . لقد صدق المثل القـائل « الصحفى كالمرأة لا يحفظ السر » وقد انطبق على المثل ، فقد رافقت هذه الحملة العسكرية بصفة خاصة وكنت فى أثنائها موضع حفاوة الجنرال وضباطه وارتفعت الكلفة بينى وبين بعض الضباط وكان حديثنا يتصل عن الحرب القائمة بينهم وبين البيروان ، فوثقوا بى الى حد بعيد خاصة لأنى برازيلى لا ناقة لى فيها ولا جمل ، ولكنى أراسل صحفى بما أشاهده فى رحلتى ولولا الحادث الذى حدث لكنت أتممت الرحلة فى رفقتهم الى داخل الحدود الكولومبية وعدت قافلا بالباخرة ذاتها ولكن ، تدخلت يد القدر وعرفت من بعض الضباط أنهم بعد أن يعبروا حدود البرازيل يقومون بأعمال عسكرية خاصة ضـد العدو ثم يعودون ويلجأون الى مياه البرازيل عبر الحدود ثم يعيدون الكـرة وكأنهم بعملهم هذا يفيدون من حياد البرازيل بطريقة غير شريفة . وقد حدث أن كنت أرسل رسالتى العادية بلاسلكى الباخرة فحشرت هذا الخبر فى الرسالة فلمـا قرأه الموظف عامل اللاسلكى وهو كما قلت برازيلى تردد بعض الشىء ولكنى أقنعتـه أن لا ضرر منها فأرسل الرسالة وكانت تحتوى النقد الذى وجهته الى الجيش الكولومبى من اللجوء ــ لهذه الحيلة الماكرة .

فى سبيل المهنـــة

وكم كانت مفاجأة مؤسفة ومؤلمة فى وقت واحد ان أرســل فى طلبى الجنرال ووجدته مع أركان حربه ينتظـرونى فى حزم شـديد ــ ماهــذا الذى فعلت يا «سنيور باروس » ولما كنت خالى الذهن حتى عن الاشارة التى أرسلتها قلت ماذا

حدث ؟ قال : « اننا سمعنا بالراديو فحوى رسالتك الأخيرة وقد خرجت فيهـا عن المسلك اللائق وذكرت أشياء لا وجـــود لها بالمرة فمن أين لك ماذكرت انه حادث بالفعل ؟ فقلت : لم أعرف من أحد ولكنى تخيلت أن ذلك قد يحدث مادامت الباخرة تسير فى مياه اقليمية لدولة محايدة دون رقابة فى ما بعد الحدود ، وهذا رأيى كصحفى فى حدود النقد النزيه ، ولكن الجنرال وهو يعرف سر المسألة كما أعرفه نفسى لم يزد على ان قال من الآن ستبقى فى غرفتك لا تخرج منها الى أن نرى فى شأنك . وهكذا خرجت من عنده خجلا من نفسى تكاد لا تحملنى ركبتاى ، وقد كبر على أن تختتم رحلتى على هذه الصورة بعد كل الكرم والعطف الذى لقيته من هؤلاء الكولومبيين الظرفاء وأن أرميهم طوعا بهذه التهمة الشنعاء وأفسد عليهم تدبيرهم لأرضى نزعتى الصحفية فى افشاء كل ما يقال وما لا يقال ...

حدث كل ذلك وأنا لا أعرف ما يخبئه القدر ، وبعد أربع ساعات منذ أن لزمت غرفتى لا أدرى ما يجرى فى الخارج حضر أحد الضباط وأشار الى أن أجهز متـاعى فلما زايلت الغرفة وجدت عامل اللاسلكى البرازيلى الذى كان شريكى فى الحـرج يقول « الكابتن الفاروكابو هنا على ظهر الباخرة الحربية ماريو الفارس سيأخذونك» وهو فرح للغاية ، فكانت صدمة فرح لم أقو على احتمالها أيضا ، وما هى الا دقائق حتى كنت أصافح الكابتن الفاروكابو الذى أمر بنقلى ومتاعى الى باخرته الحربيـة الخاصة برقابة الملاحة فى الأمزون ومنه عرفت انه وصلت للباخرة اشارة لا سلكية من باخرة الكولومبيين « مسكيرا » بأن هناك صحفيا برازيليا فى الباخـرة يريدون أن يتخلصوا منه ، وهكذا حضرنا لاسعافك ، فلم أتمالك أن غلب على البكاء من الفرح لهذه الروح الوطنية الفذة وهذه العناية التى لقيتها والحماية التى أظلتنى بها بلادى البرازيل تحت علمها الخفاق وعرفت قيمة الوطن فى هذه البلاد التى تسير على النهج الدمقراطى الصحيح حيث يحق للمرء فيها أن يعتز بأن كرامته هى كرامة الأمة جمعاء ، والا لما فعل الكولومبيان معى ما فعلا الا خوفا ورهبة مما قد يسببه حبسى عندهم من مشاكل لا يقدرون على مواجهتها ، ومثلهم فى ذلك كالهر يخشى صولة الأسد .

دخولي ليتيسيا خلسة

قضيت يومي ذاك بين مواطني البرازيليين من ضباط الباخرة فى مرح وسرور ثم سألني الكابتن « الفاروكابو » ماهي خطتك بعد الآن ؟ فقلت سأمضي الى «ليتيسيا» ذاتها موضوع النزاع ــ فقال هذا لا يمكن ولا يسمح لنا بأن نقترب منها وجماعة عصبة الأمم رابضون فيها بباخرتهم الحربية لأنها اعتبرت منطقة حرام لا يمكن للمتحاربين أن يجتازوها وكذلك نحن ، فقلت اذن اتركني فى آخر مدينة برازيلية قبل الحدود وأنا أدبر أخذ طريقي اليها بوسائلي الخاصة وكأن العناية رمتني بحادث الباخرة « مسكيرا » تمهيدا لذلك السبق الصحفي الذي لم يكن فى حسباني وتركت الظروف لتحيك بقية الفصل ، فقال الكابتن لا مانع وهكذا سارت بنا الباخرة الى أن أوصلتني مدينة « بنجامين كونستانتي » وهي تبعد نحو كيلو مترين من ليتيسيا على الحدود .

فنزلت من الباخرة « ماربوالفارس » بعد أن ودعت صديقي الكابتن «الفاروكابو» شاكرا له جميله وضباط الباخرة وقضيت الليلة فى المدينة الصغيرة فى نزل البلد الوحيد وهو عبارة عن مقهى وبار ومنامة ، وفى الصباح توصلت الى استئجار زورق بخاري بعد أن دفعت مبلغا كبيرا من المال نظير هذه المغامرة التي حددنا لها موعدا بعد غروب الشمس ، فلما حان الموعد رفعت علما برازيليا على سارية الزورق وقطعنا المسافة فى أقل من عشر دقائق وكنا نسير بقرب الساحل الى أن وصلنا مدينة « ليتيسيا » بعد مغيب الشمس بقليل دون أن تشعر بنا لجنة الرقابة الدولية التابعة لعصبة الأمم فنزلت الى المدينة الصغيرة وأخذت أتمشى بالشارع الرئيسي فيها وقابلت بعض السكان وتحادثت معهم فكان جميعهم يؤيدون الكولمبيين فى طلب تبعيتهم ولم يشذ الا القليل الذين هم من أصل بيرواني وعدت أدراجي الى زورقي ولما تحرك الموتور لم تشعر الا وغمرنا ضوء قوي صادر من الباخرة الراسية بالشاطىء الآخر ثم أعقب ذلك صفارتان، فقال صاحب الزورق انهم يطلبوننا فيممنا شطر الباخرة وسألوني عن غرضي فقلت لهم أنني صحفي برازيلي أردت الوقوف على الحالة على الحدود البرازيلية ولم أعرفهم

بأنني كنت بداخل « ليتيسيا » التي يقومون بحراستها من كل تدخل أجنبي ، فقضيت معهم فترة من الوقت أخذت بعدها زورقي الى « بنجامين كونستانتي » وأكاد أطير فرحا من الفرصة التي عنت لي بالوصول الى « ليتيسيا » وكنت أول صحفي فاز بهذا النجاح تحت تلك الظروف الشاذة .

ولقد كان لهذه المغامرة أثرها في حياتي الصحفية اذ أصبحت أتخصص في ارتياد ميادين القتال ولما نشبت الحرب الايطالية الحبشية في عام ألف وتسعمائة خمسة وثلاثين أصبحت مراسلا حربيا لمختلف الصحف البرازيلية والصحافة المصرية (دار الهلال والمقطم) كما سيأتي فيما بعد .

وهكذا سجلت لنفسي كسبا صحفيا أشادت به الصحف البرازيلية خاصة وصحف العالم عامة ولما وصلت الى مناوس عاصمة الأمزون وضعت مشاهداتي تلك في كتاب نفذت نسخه وأنا بالمدينة الا النذر اليسير منها احتفظت بها للصحافة وبعض أصدقائي ، وهكذا كانت رحلتي ناجحة للغاية من الناحيتين الأدبية والمادية رغم ما شابها من حادث مؤسف كانت نتيجته هذا الكسوف وقد كفرت عن جرمي ذلك بأن أغفلت ذكر تلك الحادثة في كتابي لأتفادى المضاعفات اذ لي بين الكولومبيين عدد كبير من الأصدقاء الأدباء والشعراء ، ولكن ها أنا أسطرها بعد تلك السنين .

اختياري للخدمة في السلك الدبلوماسي البرازيلي وسفري لمصر دخولي مصر رغم وجود اسمي في القائمة السوداء

عدت الى ريودي جانيرو لمواصلة عملي الصحفي وحدث أن دعيت حكومة البرازيل التي كانت بصدد انشاء مفوضية لها في القطر المصري الى مؤتمر البريد العالمي العاشر الذي يعقد في القاهرة في عام ١٩٣٤ وبحكم صلتي بمصر فقد وقع على الاختيار لأصحب الوفد البرازيلي لمؤتمر البريد وأن تنشأ المفوضية في الوقت ذاته وقد عين قائم بالأعمال لافتتاح المفوضية الى أن يعين الوزير المفوض فيما بعد .

بالأعمال انه ربما تعترضني بعض الصعاب فى دخولى مصر لأنني خرجت مبعدا منها فى عام ١٩٢٥ فاتفقنا على أن أتقدمه عند فحص جوازاتنا فى الاسكندرية وكنت أحمل جوازا دبلوماسيا برازيليا كما ان اسمى أحمد حسن مطر قد تغير الى « روبرتو لويس دى باروس » حتى اذا حصل أى اعتراض أن يتدخل القائم بالأعمال ، وعند وصولنا الاسكندرية حدث ما توقعت بالضبط وكان موظفو الجوازات من الكونستبلات الانجليز التابعين لادارة الامن الأوروبى فلما قدمت جوازى للموظف المختص حتى تبين كأنه كان ينتظرنى ثم قال : « مستر باروس (انت مطلوب) أو بمعنى آخر ان لنا معك حديثا » فلكزت القائم بالأعمال الذى كان يقف الى جانبى برجلى ان حان موعدك فتدخل فى الحال وقال للكونستابل المستر باروس هو الآن موظف بالسلك السياسى ، وله الحصانة الدبلوماسية فاذا رغبتم فيه فاتصلوا به عن طريق المفوضية البرازيلية ، فقبل الكونستابل وأتم تأشيرة جوازى بكل صفاقة ثم تناول جواز القائم بالأعمال وأتم اجراءاته وانصرفنا وقد كانت الحكومة المصرية قد أعدت قطارا خاصا لنقل الوفود التى حضرت معنا لمؤتمر البريد للنزول فى ضيافتها ،وهكذا وجدنا قطارا خاصا وأحد الموظفين ينادى باسم القائم بالأعمال وباسمى فأخذنا مكاننا فى القطار ووصلنا القاهرة وأنزلونا فى هليوبوليس بالاس بمصر الجديدة ، وهكذا دخلت مصر بعد عشر سنوات قسرا تحت جنسيتى الجديدة بعد أن أخرجت منها قسرا فى عام ١٩٢٥ والفرق بين الحالتين عظيم جدا ومع أن الحكومة المصرية لم تكن مرتاحة لعملى هناك الا أن المجاملات الدبلوماسية أرغمتها على أن تتغاضى النظر .

الحرب الايطالية الحبشية

بعد أن عدت من مصر وانتهت خدمتى سنة ١٩٣٥ فى السلك التمثيلى البرازيلى هناك رجعت الى عملى الصحفى وصرت أعقد الفصول الطوال فى الصحف البرازيلية عن مصر وحضارتها القديمة والحديثة وتقدمها الاقتصادى والسياسى كما كنت أراسل بعض الصحف المصرية فى الوقت ذاته ــ فلما تحرجت الأحوال بين ايطاليا والحبشة وأصبح نشوب الحرب بينهما متوقعا من وقت لآخر طلبت الى صحف

البرازيل مهمة مراسلتها من ميدان القتال وهكذا وجدت نفسي أبارح ريودي جانيرو فى اليوم السادس عشر من يناير عام ١٩٣٥ بالباخرة (فرموزا) الى مرسينيا . كانت الرحلة بالباخرة هادئة يتخللها السأم وكأنها لا حياة فيها لخلوها مع طول المدة من أى حادث وليس فى عالم الصحفى هدوء حتى تمنيت أن تغرق الباخرة أو تعترضها مركب قرصان أو يهجم عليها حوت البحر أو ترتكب فيها جريمة قتل أو سرقة ليغير من هذا الهدوء الممل والحياة الرتيبة .

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ووصلنا مرسيليا معقلى الأول ـ حيث صديقى صادق ومكثت أياما ثم ذهبت الى باريس لزيارة أصدقائى القدامى وكان الشعب لا حديث له غير الحرب كما ان فرنسا ذاتها كانت تخشى أن تمتد شرارتها الى مستعمرتها جيبوتى ـ وحدث أثناء تجوالى فى أوروبا أن جاءت ثورة اليونان فى مارس ١٩٣٥ فسافرت الى أثينا وحللت ضيفا على وزير البرازيل المفوض السيد جواكيم ايولا يلوى ناسبتتو اسلفا فأكرم وفادتى كما سهل لى مهمة مقابلة الوزراء ورجال الحكومة وساعدتنى فى ذلك كريمته الصغيرة مارجورى التى لم تتجاوز السابعة عشر من عمرها فى ذلك الحين والى مارجورى هذه أهديت كتابى مغامرات صحفى فى اثيوبيا الذى نشرته فى عام ١٩٣٦ بعد عودتى من الحبشة .

ثم تركت أثينا الى مصر وهناك قابلت أصدقائى وكانت معى رسالة ودية من اتحاد الصحافة البرازيلية موجهة الى اتحاد الصحافة المصرية كان لها وقع حسن كما نشرتها جميع الصحف المصرية وحيتنى تحية طيبة على اختلاف نزعاتها وجنسياتها وقد طلبت الى « المصور » من صحف دار الهلال والمقطم والريفورم (الفرنسية) أن أكون مراسلا عسكريا ومصورا معتمدا من قبلهم أيضا فقبلت العرض ـ بارحت مصر الى بورسعيد وركبت الباخرة روتنفلز ثم عبرنا قنال السويس فى اليوم الثامن عشر من يوليو وبلغنا جده فى اليوم العشرين ونزلت الى المدينة فى صحبة الدكتور أكرم شومان وزرت القنصلية المصرية فاستقبلنى الأستاذ عبد السيد منير القنصل المصرى ومنها الى بورتسودان التى وطأتها قدماى بعد اثنى عشر سنة منذ غادرتها فى عام ١٩٢٣ فزرت آل مسلم الذين أعرفهم من سنين وآل البربرى والناديين السواكني والسودانى

فسرني ما رأيته بينهما من مودة ووفاق ــ وكنت قد حملت معي الى المدينة فونوغراف واسطوانات بها النشيد الوطني البرازيلي واتخذت لي مقرا في أحد المقاهي ومن حولي أصدقائي القدماء ومعارفي فصرت أقص عليهم أخبار وطني الجديد البرازيلي كما شاهدوا العلم البرازيلي بألوانه الزاهية الخضراء والذهبية التي ترمز الى خضرة أرضها وثروتها وأسمعتهم النشيد الوطني البرازيلي ــ ولكن ــ سرعان ما سرى الخبر في المدينة ووصل الى رجال البوليس ــ ان مطرا بالمدينة ــ وجاء البوليس وأخذوني معهم الى زورق بخاري أقلني الى باخرتي ووضعوا جنديين مسلحين عند مدخل الباخرة لئلا أعود للخروج وقد كان هذا الحادث مؤلما عندما عدت للباخرة تتبعني شرذمة من رجال البوليس ولكني أوضحت موقفي منهم لمن معي من الركاب ولئن ظلت آثارها عالقة بذهني طيلة أيام الرحلة .

وصلنا جيبوتي في اليوم التاسع والعشرين من يوليو وكانت مليئة بالجواسيس مفعمة بالاشاعات وقد قامت فرنسا بتسليحها تسليحا قويا وعندما قدمت أوراقي فحصت فحصا دقيقا ثم أذن لي بالنزول الى البر ــ وهناك التقيت بأصدقائي القدامى من أهالي جيبوتي وهي نقطة الحياد التام في مسألة الخلاف الايطالي الحبشي وهي عاصمة الصومال الفرنسي ومقر وكلاء الاستعلامات للأمتين المتنازعتين ومنها يمتد الخط الحديدي الوحيد الى داخل الحبشة وبها جالية عربية اسلامية كبيرة ومدرسة أسسها السيد علي كبيش من كبار التجار وبالمدينة ثلاث مساجد أحدها مسجد النور وكنيستين وأخرى يونانية ودار واحدة للسينما .

سافرت الى أديس أبابا بقطار ذلك الوقت وكان أبطأ قطارات العالم قاطبة بعد قطار الترانس انديتو الذي يصل بين مندوسا في الأرجنتين وبين سنتياجو في التشيلي في أمريكا الجنوبية وكان يسير نهارا فقط وعند الساعة الثانية عشر وقف بنا في محطة فنزل الركاب الى فندق المدينة لقضاء الليل ثم استأنفنا السفر في الصباح الى محطة (هواش) حيث وقف بنا القطار وقضينا الليل بداخله ــ وفي صباح اليوم الثالث عاود القطار سيره ووصلنا أديس أبابا عند الغروب وفي طريقنا رأينا الجيوش الحبشية متدفقة ومنتشرة هنا وهناك وطبول الحرب تدق في كل مكان .

الصحفيون ونشاطهم

وكان زملاء الرحلة هم دفعة الصحفيين الثانية التى وصلت جيبوتى فى اليـــوم التاسع والعشرين من يوليو أى قبل أن يطلق الايطاليون قنابل مدفعيتهم على عدوة بشهر وهم كولنز عن شركة رويتر قادما من استنبول وبيتى عن يونايتد برس من برلين وماكلين من تورنتو فى كندا وفرانز من فينا وهارون الرشيد من تركيا وكانت ترافقه زوجته الحسناء جدا وكلبه الكبير الأسود وسيارته وســـائقها وقد ظهر أخيرا بأنه جاسوس فى خدمة ايطاليا وان السائق عامل للاسلكى وجاسوس أيضـــا تحت امرته فقام بينهما نزاع أدى بالسائق لافشاء سره للاثيوبيين فقبض عليه هو وزوجته وأبعدا خارج البلاد ـ ثم وصلت بعثات السينما وكان جنك يرأس حمـــلة باراماونت فرع باريس وشركة فوكس ويرأسها ستولنج كما حضر نكربوكر المخبر الصحفى الشهير شخصيا لينوب عن انترناشيونال نيوز وملز عن اسوشيتد برس ولحق بهذا المدير العام للبرقيات ايكونز وقد تعرفت به شخصيا كما جاء السير فيلبس المراسل الحربى أثناء الحرب الكبرى الأولى عن الديلى تلغراف وستير عن لندن تايمز وجلاجر عن ديلى اكسبريس أفريقيا الجنوبية ـ ومونكس عن احدى صحف سيدنى فى استراليا وجان دازم عن جورنال دى بارى ولافوا عن هافاس التى أصبح اسمها اليوم وكالة الأنباء الفرنسية ـ وموغنتى عن ا.ب.ث من مدريد وغيرهم من يابانيين ومجريين وصينيين الخ .. وكان هناك عدد كبير من الصحفيين الأحرار وأغلبهم من الامـــريكان وبينهم بعض السيدات والآنسات ومن هؤلاء عدد من القبيحات والحســـناوات وأذكر من بينهن باولا لكليم ودولورس بدروزور ـ وقد يستغرب القارىء اذا عرف انه قد اجتمع فى وقت من الأوقات نحو مائة وعشرين صحفيا أجنبيا من أنحاء العالم المختلفة فى أديس أبابا بينما المدينة نفسها لم تكن بها فى ذلك الوقت غير صحيفة واحدة هى « بريد اثيوبيا » .

كيف كنا نحصل على الاخبار

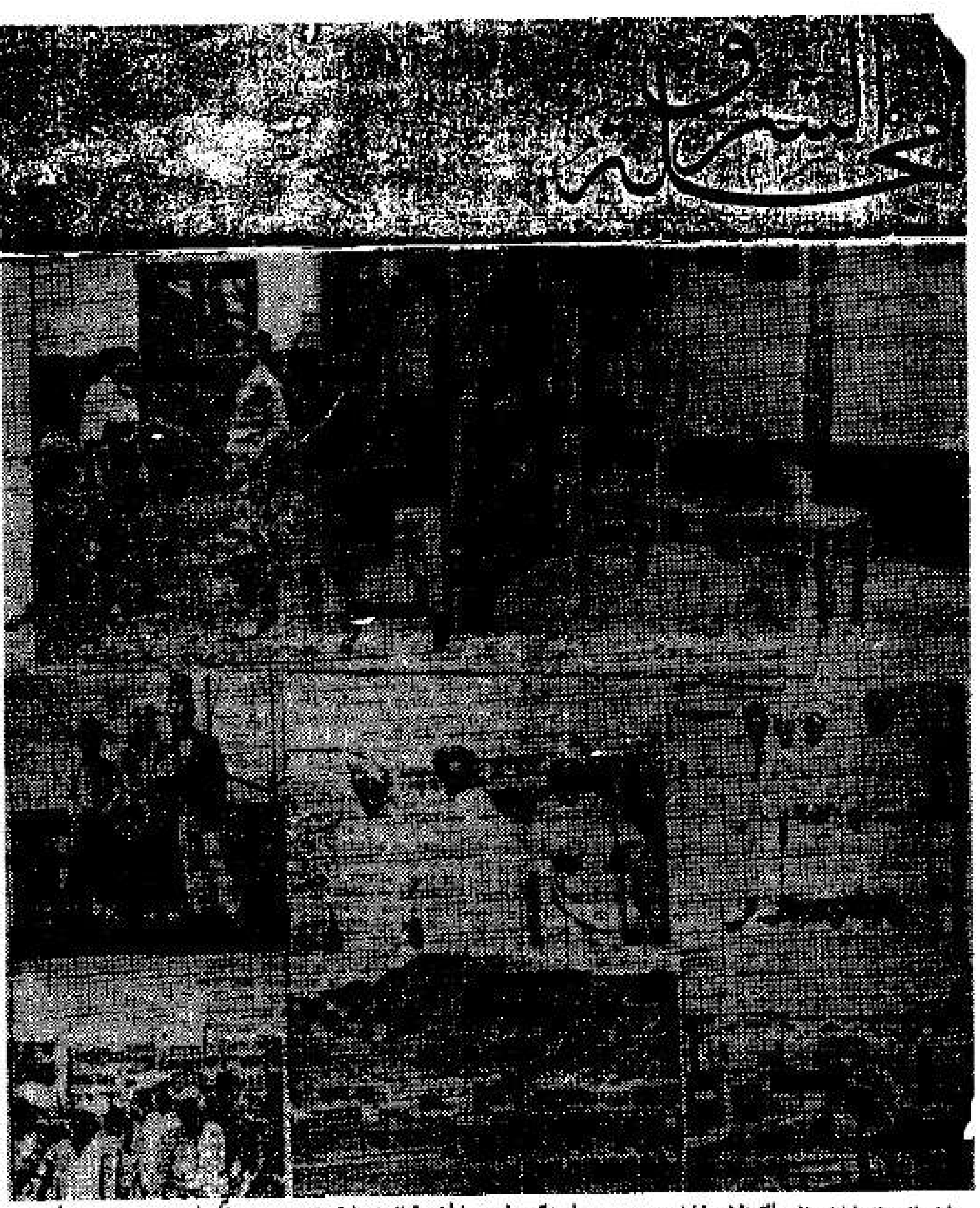
وبالرغم من أن الحياة فى أديس أبابا لم تكن قد تأثرت بما تفرضه حالة الحرب من قيود وبالرغم مما كنا نتوقعه من أخطار اذا اندلعت نيران الحرب فشملت العاصمة

نفسها فان حياتنا فيها كانت مسلية للغاية ــ فقد كان لكل صحفى مترجم أو اثنان قدمتهم وزارة الخارجية من بين طلبة المدارس الذين يحسنون الانجليزية والفرنسية لمساعدة الصحفيين كما أن لكل منا ما بين عشرة وعشرين مبلغا أو ملتقطا للأخبار تلك الأخبار التى كانت تترجم وترسل رأسا الى مكتب التلغراف حيث لكل منا فيه حساب جار ــ ومقابل ما كنا ندفعه من ثمن لهذه الأخبار فقد أقفل عدد كبير من أصحاب المحلات التجارية اليونان والأرمن محالهم ليتفرغوا لهذا العمل المربح وبذلك أصبحوا مخبرين مهرة وكانوا يتفاخرون بما يحصلون عليه من أجر ويتنافسون كما كنا نزودهم بوثائق صحفية لتسهيل مهمتهم ــ وقد ذكرت احدى جرائد لندن أنهم يقومون بمغامرات عظيمة فى سبيل التقاط الأخبار . بينما هم فى الحقيقة لا يخرجون خارج حدود المدينة ويعتمدون فى أخبارهم على الداخلين اليها من خارجها من الأقاليم التى بها نشاط حربى .

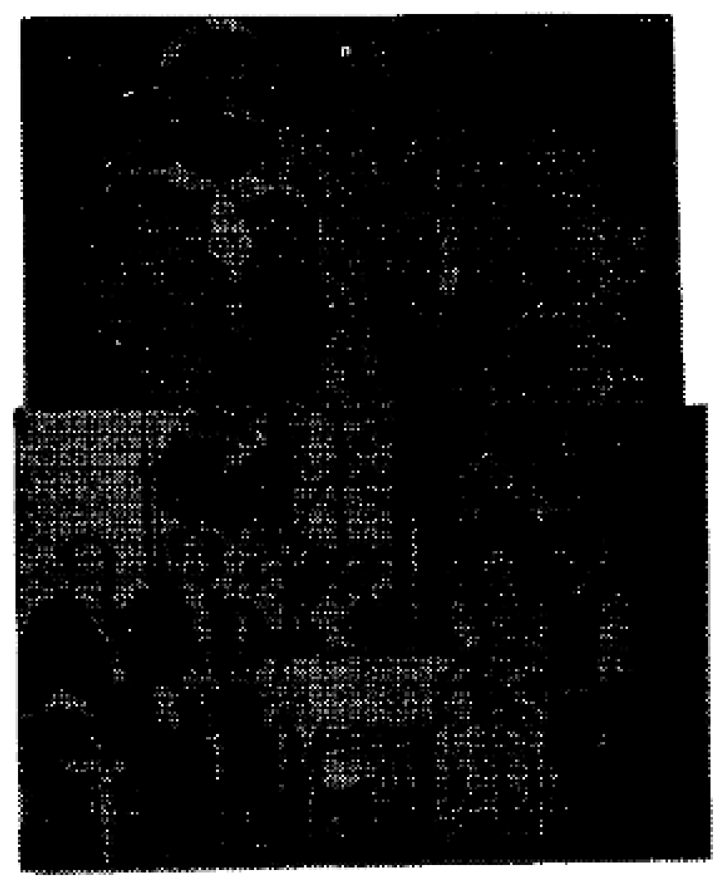
غلاء المعيشة وأجور السكن

لقد كان وجود الصحفيين بهذه الكثرة سببا فى ارتفاع أسعار كل الحاجيات من مأكل وسكن ووسائل نقل ــ أما السكن فى الفنادق وكانت فى ذلك الوقت فندق الامبريال والماجستيك والدولتز هاوس وهوتيل سويس ــ فقد ارتفعت أجورها ارتفاعا باهظا حتى ان بعض الأهالى قاموا ببناء كابينات أمام منازلهم ليؤجروها للصحفيين كما قام بعض الصحفيين ببناء كابينات فى المساحات العامة وأقام بعضهم مخيمات فى حدائق السفارات للسكنى .

كما كان مشوار التاكسى من المحطة الى ارت كيلو (أى ٤ كيلو) وهى المسافة بين المحطة وموضع قوس النصر يكلف جنيها ــ هذا ولما كان عددنا كبيرا أسسنا جمعية الصحافة الأجنبية واتخذنا لها مقرا فى فندق الامبريال وكان يرأسها كالنز مندوب رويتر وسكرتيرها بيتنى مندوب يونيتد برس وأمين خزينتها ستير مندوب التايمس وكان رسم الدخول أربعة وعشرين فرنكا والرسم الشهرى ثمان فرنكات تدفع جميعها لموظفى ادارة البرق الذين يعملون صباح مساء بصفة منحة منا ــ كما أنشأنا سينما



لا نبالغ اذا قلنا ان الرحالة الاستاذ احمد حسن مطر الذي اعتنق الجنسية البرازيلية واصبح معروفاً باسم روبرتو دي باروس
شهر رائد عرفته الصحافة البرازيلية وأنشط صحفي جوّالة وقد صدف ان نشبت الحرب الحبشية وهو في مصر فانتدبته
طائفة من مجلاتها المصورة فأدى رسالته مغامراً وتفح الصحف العالمية بأشهر الرسوم عن وقائع الحبشة . وتراه في الرسم الاعلى
يخاطب جلالة النجاشي . ثم يحادث الآنسة لولا شقيقة الراس سيبو . والرسوم الثلاثة في الوسط تمثل فريقاً من



Ao alto madame Joaquim Eulalio e Sta. Marjorie Eulalio. Em baixo — dr. Carlos Martiniano de Figueiredo, quando foi encarregado dos negocios do Brasil no Cairo. A sua exma. e bondosa esposa d. Violeta de Figueiredo, sr. Julio Sanchez Perez, dos Correios, sr. Roberto Soares representante residente de Chile e outros convidados. No Cairo.

1936
Article
Sudan
published in
Rio de Janeiro

~~...owish Adolfo Gator Kosti Harlal", caso tenho com isso sargento Abdallah~~ e o trem de Kosti já partiu, e o pedido foi cantado "Hoy assayara wa-sullah barou". (O noivo foi levado e os santos o seguiram). Mas, nessa canção ha alguns malandros que dizem em logar de "Sullah", "Suyyeh" quer dizer em logar de Santos, Vagabundos...

A bailarina começa a dançar a sudaneza, isto que anda devagar para frente e atraz, sempre dobrando as costas até tocar o chão com a propria cabeça por traz e algumas exaggeradas levantam uma agulha com os cabellos os olhos. E' uma dança mais difficil de que de Gloria Gilbert, até pensei de trazer uma troppa para o meu amigo Dr. Caio de Freitas do Casino da Urca. Com certeza fará successo. O "tamber" tem a missão de metter as suas observações á bailarina no meio de "coluuu" e se a bailarina erra, elle mette rapidamente as palavras "Hay Khomjatu, Hay Kharabatu" quer dizer estragou, e ella entende e se corrige immediatamente.

Eu, sendo conhecedor destas festas, não pude esconder as minhas gargalhadas. Para elles parecia completamente louco. Alguns lamentaram que zombasse delles. Mas expliquei-lhes que sou brasileiro e canto e danço o samba etc...

"O SHABBAL E O BOTAN"

logar calmamente. E' uma prova de amor. Depois disto a menina anda dançando até os lugares de seus camaradas e dá em cada um uma chicotada com os seus longos cabellos, no hombro ou na cara. Eis um "Shabbal". Se ha dois adversarios no amor da bailarina elles fazem um duello de chicotadas. Um delles tira sua camisa, ficando nu até ás costas recebendo do outro vinte ou trinta chicotadas de um chicote de tres metros de comprimento e de couro de elephante. Depois disto o chicoteador tira a sua camisa e recebe as mesmas chicotadas do adversario. Isso é o "Botan". Levei naquelle dia bastantes "Shabbales" mas não fiz o "Botan"...

O CASAMENTO

O casamento é tambem interessante; os noivos não se conhecem até o dia do casamento. Por exemplo, a mãe de um jovem faz uma visita a outra familia e gosta da filha dessa, pode resolver o casamento com um filho seu. Voltando a casa conta ao filho a belleza que ella descobriu, e combinando com o pae da menina a mão da filha para o seu filho, emquanto as mães já estão tratando o mesmo assumpto. Assentadas as bases principaes, a familia do noivo paga um tanto á familia da noiva, dependendo sempre da posição financeira da familia e marcam a data historica. Para assegurar o noivado a mãe da noi-

...r varias orchestras. Entrando a noiva no quarto do noivo, os paes deste o chamam e indicam-lhe, que a noiva está dentro. "Avance filho"... E' a primeira vez que os noivos se encontram...

O noivo não gostando ou gostando tem sempre o direito de casar quatro vezes legalmente com a religião e com a policia...

Assim os meus paes queriam casar-me, mas não me conformei. Porém, hoje, estes costumes estão modernizados, e os jovens pretos fazem questão de namorar abertamente. As filhas do Sudan, seguindo a moda nas escolas e aprendendo ler e escrever fazem questão tambem de corresponder-se namorando. E' outra vida e outro mundo.

عنوان المكاتبات : ب [illegible] مصر
العنوان التلغرافي : المصور – مصر
دار الهلال : بشارع الأمير قدادار رقم [illegible] بقرب ميدان [illegible]
التليفون : [illegible] (ثلاثة خطوط)

دار الهلال

تأسست سنة ١٨٩٢

الهلال المصور

كل شيء والدنيا . الاثنين

Images - Ciné-Images

29/8/35

القاهرة في ٢٩ أغسطس ١٩٣٥ | نمرة [illegible]

حضرة الفاضل الاستاذ رول . دى باروس الاقسم [illegible] الايطالية [illegible]

تحية وبعد ، ردا على خطابكم المؤرخ ٢٨ [illegible] الجاري [illegible] نذكر انا تلقينا شاكرين الصور التي ارسلتموها الينا ونشرنا بعضها في المصور ، وسنواصل النشر في الأعداد القادمة .

وبناء على طلبكم نشرنا [illegible] خلاصة حديث الامبراطور وأرسلتها [illegible] من العدد لتتمكنوا من تقديمها الى [illegible] . غير انكم لم تذكروا [illegible] ان الحديث المذكور قد ارسل الى غيرنا من الصحف ، [illegible] في المستقبل مثل هذه النقط .

وقد وصلنا خطابكم الثاني يوم [illegible] الجاري فلم نتمكن من ارسال [illegible] في الموعد الذي حددتموه لنا ، ونحن نوافق على استمراركم في مراسلتنا وقد قررنا ان ندفع لكم عن الصورة الواحدة التي تنشر في مجلاتنا مبلغ [illegible] [illegible] اكثر مما ندفعه لسائر مراسلينا ، فالامل ان [illegible] [illegible] الاهتمام وخصوصا [illegible] الحرب ، وعلاوة على ذلك لا [illegible] ان تنشروا لحسابنا الصور الهامة التي لا تستطيعون الحصول عليها الذي [illegible] [illegible] .

[illegible] نرى ضرورة لان توافونا [illegible] من [illegible] ، ولكن في استطاعتكم [illegible] لنا بين حين وآخر [illegible] بشرط ان تكون خاصة بالمصور .

[illegible]

دار الهلال
كل شيء والدنيا . [illegible] . [illegible]
Images Ciné-Images
[illegible] الاستاذ رول . دى باروس
[illegible] دار الهلال
[illegible] مراسل ومصور حربي في الحبشة
[illegible] وقت [illegible] ومساعدته في أداء مهمته
[illegible]
[illegible]

هذه البطاقة صالحة من اول يوليو ١٩٣٥ الى آخر اغسطس ١٩٣٥
Cette carte est valable du 1er . 7 . 35 au 31 août 1935.

دار الهلال [illegible]

Publications Al-Hilal
Carte de Presse
[illegible] à M. R. L. [illegible] Barros
[illegible] Report. photographe
[illegible] Director

[illegible]

ـة الصليبية الاثيوبية التي تخول للفاضل التجول .

وبار وشبه كباريه وكنا نقضي فيها أوقاتنا العادية وهكذا أمكننا بهذه الوسائل التي ابتدعناها أن نكافح موجة الغلاء المصطنعة التي بادرتنا بها العاصمة .

صبحاتو الكذاب

ذكرت فيما تقدم كيف كنا نستقي الأخبار وأهمية المترجمين ومتصيدى الأخبار وكان نصيبي كمترجم تلميذ من المدرسة السويسرية فى السنة الثانية ثانوى اسمه « صبحاتو مسجنة » وصبحاتو رغم انه من عائلة بارزة فى المدينة فهو شقيق زوجة السكرتير الخاص للرأس سيوم • وكل مايعيب صبحاتو انه من أكذب خلق الله وبسبب كذبه استغنيت عنه وأعدته ثانية أكثر من أربع مرات وأخيرا احتفظت به لغرض التسلية لا للترجمة أو لالتقاط الأخبار ــ فهو أكثر خيالا من أعظم روائى وأكذب من مسيلمة ــ ومن نوع الأخبار التى أتانى بها مرة قال لقد سافر النجاشى الى باريس بالطائرة ــ وبالطبع لا يمكن أن يحلم انسان بهذا الخبر فى ذاك الوقت فأجبته بشدة ــ انت مرفوت ــ وفى لحظة ركز نفسه وأجاب آسف لقد سافر بالقطار وليس بالطائرة ــ فضحكت وقلت له طيب خليك ــ ومرة أخرى لما علم بحقيقة أمرى وهو اننى سودانى رغم اسمى باروس وصحفى برازيلى أراد أن يقنعنى انه من أب سودانى ــ وجاءنى يوما يقص على قصة عن الأسود البيض ذات العيون الزرقاء والتى تعيش فى النباتات وجذوع الشجر ثم أكد لى انه أصاب مرة أسدا فى ظهره برصاصة من بندقيته (التى لا وجود لها طبعا) وانه رأى الدم الأزرق يسيل من ظهره فأجبته بجد لربما كان أسدك ذاك هو الملك الحقيقى للحيوانات .

ولا زال صبحاتو حيا فقد قابلته فى أديس أبابا فى ديسمبر ١٩٥١ عندما زرتها وقضيت فيها ثمان أيام فى ضيافة صاحب الجلالة الامبراطور .

مكتب الصحافة الاثيوبى والرقابة

كان يدير مكتب الصحافة الاثيوبى السيد لوزنزو تزاز ويساعده السيد دافيد وقد توفى الأول عندما كان سفيرا فى موسكو أما الثانى وقد أصبح بلاتا دافيد لقيته

فى هيئة الأمم المتحدة ضمن وفد اثيوبيا فى عام ١٩٤٩ ثم كان مرافقى عندما زرت جلالة الامبراطور عام ١٩٥١ ثم قابلته وزيرا مفوضا فى البرازيل فى عام ١٩٥٢ . وقد قامت بينى وبين السيد دافيد صداقة متينة كانت لى أكبر عون فى سبقى الصحفى الأول فى هذا الميدان وقد تفضل صاحب الجلالة الامبراطور بناء على طلب الصحفيين جميعهم وتوصية تزار بمقابلتنا للتحية فقط وليس كمؤتمر صحفى .

وقد قررت الحكومة الحبشية المراقبة على البرقيات الصحفية فعهدت الى ثلاث صباط بلجيكيين للقيام بهذه المهمة وهم لا يحسنون سوى لغتهم البلجيكية بينما نحن نكتب بالانكليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والبرتغاليةواليونانية واليابانية وأنا شخصيا أرسل يوميا مائة كلمة بالعربية للمقطم فى مصر فاحتججنا وتأخرت المراسلات فكان الواحد منا يصله تلغراف أو ثلاثة من صحفه فىالخارجطالبة ملحة فى ارسال الأخبار التى ما زالت بين أيدى الرقابة وبهذه الطريقة تعطلت أعمالنا فنصح الى البعض منا أن يقيموا فى هرر أو دير داوا أو جيبوتى ليخف ضغط رسائل الصحافة على المراقبة وبالتالى على موظفى البرق .

السبق الصحفى الاول ـ مقابلتى للامبراطور

درج الصحفيون منذ وصولهم على السعى الحثيث المتواصل بكل الوسائل للتمكن من مقابلة الامبراطور وبالرغم من المقابلة التى تمت بواسطة مكتب الصحافة فلم يكفوا عن السعى وكنت من ناحيتى أعمل فى الخفاء مستعينا بالصلات الخاصة التى عقدتها مع المسئولين الاثيوبيين لتحقيق هذه الأمنية .

وقد كللت جهودى بالنجاح عن طريق السيد بلاتا دافيد فأبلغت أن جلالة الامبراطور قد وافق على منحى هذا الشرف لمدة وجيزة فأخذت فى الاستعداد فى الخفاء . ووضعت قائمة بالأسئلة التى أتوجه بها لجلالته اذا مكنتنى الفرصة وفروض البروتوكول ، ثم عمدت الى أحد المصورين فى المدينة ليكون على أهبة الاستعداد لرافقتى لأخذ صورة هذه المقابلة فطلب مبلغا ضخما مقابل قفل محله فى تلك الأمسية سواء نجحت فى مسعاى لالتقاط الصورة أو لم أنجح فوافقت وحددت له الميعاد

الذي يوافيني فيه الى الفندق ويذهب معي الى القصر الامبراطوري وقبل حلول موعد المقابلة بربع الساعة كانت تقف أمام الفندق ثلاث سيارات أجرة لتقلني الى ذلك الحدث التاريخي أمام جميع زملائي الصحفيين فنزلت من الفندق ببذلتي « البنجور » والقفازات البيضاء والقبعة العالية والعصا ـ فركب صبحاتو المترجم فى السيارة الثانية والمصوراتي بمعداته فى الثالثة وفى الأولى ركبت وانطلق الركب على هذه الصورة التى أردت أن أحيطها بهذه المظاهر زيادة فى الابتهاج بالمناسبة السعيدة والسبق الصحفي ووصلت القصر الامبراطوري قبيل الوقت المحدد بقليل وتركت صبحاتو فى السيارات خارجا وأخذت المصور معي الى داخل القصر حيث قابلني أحد رجال التشريفات الذى وافق على بقاء المصوراتي خارج قاعة المقابلة الى أن يأذن جلالة الامبراطور ـ كما استلم الحاجب مني قبعتي وعصاي وقفازاتي ـ ولما حانت ساعة الصفر كنت أقف أمام القاعة ففتح التشريفاتي الباب ودخلت وكان جلالته يتوسط القاعة جالسا الى مائدة ومن خلفه سكرتيره الخاص وعلى الشمال السيد دافيد الذى كان الموصي بهذه المقابلة ـ هذا ولما كنت أجيد فن البروتوكول وصلت أمام المائدة بمسافة مترين فسلمت بالانحناءة التقليدية ثم سرت الى يميني الى الوضع الذى يجب أن أكون فيه وقريبا من المائدة فى انتظار المصافحة اذا رغب جلالته أو الاذن بالجلوس بدونها ـ فما عتم جلالته ان مد يده فأخذتها بلهفة وانحناءة كبيرة ثم تقهقرت الى مكاني فأشار بيده أن أجلس فجلست ثم بادرني بالحديث بالفرنسية قائلا نحن نرحب بكم رجال الصحافة وبالأخص فى هذا الوقت وأملنا أن يكون كل شيء قد تم اعداده لكم لتسهيل مهمتكم من رجال حكومتي ـ فرددت ان كل شيء على ما يرام بفضل توجيهه وارشاده ثم أردفت هل يسمح الامبراطور لمصوري بالحضور لتسجيل هذه المقابلة التاريخية فقال لا مانع وما هي الا ثوان حتى كان المصوراتي يؤدي عمله بعد أن وقفت مواجها الامبراطور فى جلسته وبيدي ورقة الأسئلة التى وجهتها لجلالته فيما بعد فأخذت الصورة على هذا الوضع وانسحب المصوراتي وعدت الى جلستي .

ثم استأذنت جلالته فى توجيه بعض الأسئلة فوافق وهــذه هى الأسئلة واجابة جلالة الامبراطور عليها .

س ـ لماذا لم تهاجم اثيوبيا المستعمرات الايطالية عندما ظهر عداء ايطاليا فى السنة الماضية ؟

ج ـ انه لمن أبرز خصائصنا اننا نحترم المعاهدات لا أن نخرقها وطالما وقعنـاها فنحن نقدس هذا التوقيع .

س ـ ما رأى جلالتكم فى عصبة الأمم ؟

ج ـ عصبة الأمم هى المثل الأعلى للسلام اذا حسنت النيات وأخلصت فى العمل من أجله ولكونها توافق مبادئنا فقد انضممنا لعضويتها عام ١٩٢٣ .

س ـ ماذا تنوون جلالتكم القيام به لتقدم امبراطوريتكم لو لم تفاجئكم هذه الحالة القائمة الآن ؟

ج ـ ان هدفنا الأول لتقدم البلاد هو زيادة التعليم وتحسين المواصلات لتنتعش التجارة وعلى هذه الأسس يترتب التقدم الذى ننشده .

س ـ هل لا تزال تجارة الرق تمارس فى اثيوبيا ؟

ج ـ لقد انتهى هذا العهد بعد أن أصدرنا قانون عام ١٩٢٤ الذى نسير فى تطبيقه بحزم وشدة .

س ـ يشاع ان عددا كبيرا من العائلات الايطالية هجرت الحبشة ـ فهل للحكومة دخل فى ذلك ؟

ج ـ وصل علمنا ان عددا منهم ترك البلاد عند قيام هذا الخلاف لا سيما فى الأشهر الأخيرة وان حكومتى لا دخل لها فى ذلك ولكن الظاهر ان ايطاليا ترغب فى ذلك زيادة فى النيل من سمعتنا وكرامتنا أمام الأمم الأخرى .

وانتهزت رد جلالته على السؤال المتقدم فسألته ماهى الخطة التى اتخذتهـــا حكومة جلالته لحماية الأجانب ـ فقــــال ان الأجانب المقيمين أو العابرين ســوف

لا يستهدفون لأى خطر ـ وقد درست الحكومة الاجراءات اللازمة لتنفيذها فى حالة احتمال وجود الخطر فى الجهات المجاورة لمنطقة سكنى الأجانب •

س ـ يقال ان هناك عدم اتفاق بين مواطنى جلالتكم من المسلمين والمسيحيين فهل هذا حقيقى ؟

ج ـ هذا محض افتراء وان الشعب الاثيوبى متحد تمام الاتحاد دون تمييز دينى أو عنصرى تحت لواء هذا الوطن الواحد •

س ـ ماذا ترى جلالتكم اذا اتحدت انجلترا وفرنسا وايطاليا على حماية اثيوبيا اقتصاديا وعمرانيا ؟

ج ـ ستقاوم اثيوبيا أى تدخل حتى ولو كان سلميا •

س ـ يشاع ان انجلترا ستمد لكم المساعدة فى حربكم ضد ايطاليا بالسلاح والرجال ؟

ج ـ لا اجابة .

س ـ ماذا فعلتم جلالتكم خيال مساعى ايطاليا فى أوروبا بمنع شحن الأسلحة لكم؟

ج ـ صحيح ان حكومات أوروبا رفضت أن تصدر مصانع السلاح فى بلادها سلاحا كنا قد طلبناه منها وان لا تقبل أى طلبات جديدة منا وقد سجلنا احتجاجنا لدى هذه الحكومات على فرض هذا القرار الجائر اذ ان الحبشة لا تملك مصنعا واحدا للسلاح أو الذخيرة وما كان هناك ما يبرر انشاؤه فنحن أمة مسالمة نلجأ فى حل خلافاتنا ومشاكلنا مع الأمم الأخرى الى التحكيم الدولى كما حدث ان فعلنا عقب حادث وال وال

س ـ ما رأيكم فى اليابان ـ هل تتوقعون منها مساعدة ؟

ج ـ لليابان أن تقرر ما تريده هى ولكن مصالحها فى الحبشة ضئيلة بدرجة لا تستوجب احتمال تدخلها •

س ـ ماذا ستفعل اثيوبيا اذا لم تتوصلوا لاتفاق مع ايطاليا ؟

ج ــ ان اثيوبيا لا تفقد الأمل فى ايجاد حل سلمى ــ اما اذا هاجمتنـــا ايطاليا فستدافع اثيوبيا عن نفسها •

الى هنا استأذنت جلالته وشكرته وانحنيت على نظام البروتوكول وقد استغرق هذا الاجتماع خمسا وثلاثين دقيقة وقد كان محددا له عشر دقائق فما أن عدت الى الفندق حتي وجدت مظاهرة كبيرة تنتظرنى من الصحفيين وقد حملونى الى داخـل الفندق ــ ثم توالت الأسئلة ــ ماذا قال لك ــ فخطبت فيهم أن يتكرموا ويتركونى لأنجز عملى وان من يرغب فى ابداء أى سؤال والاجابة عليه فستكون الفئة خمســة جنيهات عن كل سؤال وهكذا بعد أن أتممت رسائلى وأودعتها مكتب البرق تفرغت الى الأسئلة والأجوبة بعد قبض الأجر فكان دخلى مائة وثمانون جنيها فى هـــذا الحادث غير ثمن الصورة التى طبعت منها عددا كبيرا وبذلك غطيت كل ما صرفته فى الاستعداد للمقابلة مع فائض كبير •

الفصل الخامس

العودة الى البرازيل

كيف أصبحت عضوا فى سفارة رقصة السامبا

عدت الى القاهرة بعد مقابلتى لصاحب الجلالة الامبراطور هيلا سلاسى والعائلة المالكة فى أورشليم وأنا مثقل بالأسى والحزن لتصاريف الأقدار فى هذه الحياة المليئة بالعبر وما كان يدور بخلدى أن الكتاب الذى أزمعت كتابته عن مغامراتى تلك فى اثيوبيا وكانت أبرزها مقابلتى التاريخية له من بين مائة وعشرين صحفيا أجنبيا سيختتم بهذه النتيجة المؤلمة وأن تنم صحائفه عن مأساة ولما يظهر فى عالم الطباعة بعد ـ فقد هوى العرش وطاح التاج ولم يبق لصاحبه الا أن يعيش بين هذه الذكريات التى تفيض أسىً وحسرة لاجئا سياسيا تحوطه عائلته المنكوبة وحفنة من خلصائه كموعظة حية للأمم الشرقية التى ترزح جميعها تحت طغيان الغرب واستعباده وأساليبه الماكرة فى سبيل استعباد الشعوب .

تركت القاهرة بعد اقامة قصيرة الى ريودى جانيرو فى البرازيل ومنها الى سانت باولو حيث عملت فى صحيفتى « فوليادى منيانا ودى نويتى » أى صحيفتا « الصباح والمساء » وهناك طبعت كتابى « مغامرات مخبر صحفى فى اثيوبيا » وقد لاقى نجاحا فائقا وكان هذا كتابى الثانى .

فى سفارة السامبا

ثم عدت الى ريو ومنها رافقت وفد السامبا المؤلف من أربعين شخصا ما بين ممثل وممثلة كمرافق صحفى ـ والسفارة هذه عبارة عن هيئة تنتخب بواسطة معاهد الموسيقى والتمثيل فى البلاد وتتولى حكومة البلد بعثها الى البلاد الصديقة المجاورة كرمز لحسن الجوار والأخاء كما تتولى تلك الحكومة الصديقة المبعوث اليها باستضافتها طيلة مدة الاقامة وقد كانت هذه المرة موفدة الى جمهورية الأوروجواى فسافرنا الى مونتفيدو العاصمة وبقينا شهرا فى ضيافة الحكومة قضيناه فى حياة صاخبة رقص وموسيقى وتمثيليات وقد اشتركت هيئات المدينة المختلفة فى الاحتفاء بنا بحفلات يقيمونها لتكريمنا كممثلين للدولة الصديقة البرازيل

وبعودتي من الأورجواي اقترحت على احدى الجرائد بموافقة نادي السياحة في ريودي جانيرو مرافقـــة السياح الذين يفدون الى البرازيل كمترجم وعـلى أن أستخلص منهم أي اقتراحات قد يرونها لازمة لتشجيع السياحة على ضوء تجاربهم في البلاد الأخرى وما تقدمه لهم من وسائل الراحة والمتعة للافادة منها واقتباسـها للتنفيذ بالبرازيل ، وقد قضيت في هذه المهمة آكثر من شهرين تحت ستار الترجمـة خرجت منها بتحقيقات صحفية ممتعة نشرتها في مقالات عديدة متتابعة في الصحيفـة التي انتدبتني لهذا العمل •

ذكريات ترجمـــان

وألقيت فيها الضوء على مطالب السائحين وانتقاداتهم واقتراحاتهم في الدوائر المختلفة التي تعتني بهم كان لها صدى حسنا كما عد كسبا للصحيفة لعنايتها بشئون البلد من هذه الناحية وقد كانت تستحق غاية العناية لمالها من اثر في سمعة البـــلاد الخارجية اما الأثر الذي تركته هذه الفترة في نفسي فقد كان عظيما للغاية مكنتني من معاشرة أقوام ولو لفترات قصيرة ـ هم خلاصة الطبقة الناجحة في دنيـا المال ـ في بلادهم المختلفة فكانت لآرائهم قيمتها المعنوية التي أفدت منها كثيرا بالاضـافة الى حقل تجاربي السابقة في هذا العالم وعدت الى عملي الصحفي العادي •

كيف صرت صديقا ليونس البحري

دخل البرازيل بخمسة فرنكات وخرج بـ ١٢٥٠ جنيه في شهر

كنت مارا بشارع الجمرك في ريودي جانيرو وأذا بشخص يهجم عـلى محييا بحرارة شادا على يدي وقائلا كيف حالك يا أستاذ مطر فقلت بسرعة بخير وانت فأجاب وصلت الآن ولا يزال عفشي بالجمرك وليس معي سوى خمس فرنكات افرنسية في جيبي اندهشت وفكرت قليلا وسألته من جنابك ؟ فقال أنا يونس البحري السائح العراقي قلت كويس من أين تعرفني ؟ فقال قرأت مقالاتك ورأيت رسمك في المصور لما كنت مراسلا حربيا في الحبشة . فسألته ماذا تفعل قال صحفي وسياسي وخطيب .

عرفت انه الرجل فى مأزق وتذكرت مأزقى وتذكرت أولئك الذين ساعدونى وقررت أن أساعد هذا السائح العراقي الذي لم أسمع باسمه من قبل ذهبت معه الى الجمرك وخلصت متاعه وأنزلته فى فندق أوروبا وكانت تديره فكتوريا بعد وفاة والدتها وقد تزوجت وصار لها أولاد . سألته هل يمكن أن تلقى محاضرة عن آخر تطورات الشرق العربي فأبدى استعدادا وحددت يوم المحاضرة والساعة .

استأجرت له قاعة وطبعت ٢٠٠٠ تذكرة بسعر ١٠ ميل ريس للتذكرة أى مجموع ما يعادل ٢٠٠٠ جنيها أسترلينيا فى ذلك الوقت ووزعتها على كبار التجار والشركات العربية وكنت أعطى كل محل عددا من التذاكر وأقول لصاحب المحل أو مدير الشركة وحياة أبوك ما ترجع ولا واحدة وبكره نأتى ونستلم القيمة وفعلا كانت حركة تبرير للاعانة لهذا السائح العراقي . وألقى خطابا وطنيا حماسيا ضد الاستعمار والمستعمرين وسافر بالباخرة « مندوسا » عائدا الى بلاده يحمل صافى ١٢٥٠ استرليني . انقضت أشهر والناس يقولون يا مطر صاحبك هذا لا يرسل كلمة شكر على ما قمنا به نحوه ويبدو انه جحود ونصاب ولما كثر عتابهم ولومهم قلت لهم باللبنانى « امسحوها فى دقنى رجل مسكين وساعدناه ايه يعني وانتو عم تعطوا وتخسروا فى القمار أكثر من هيك . »

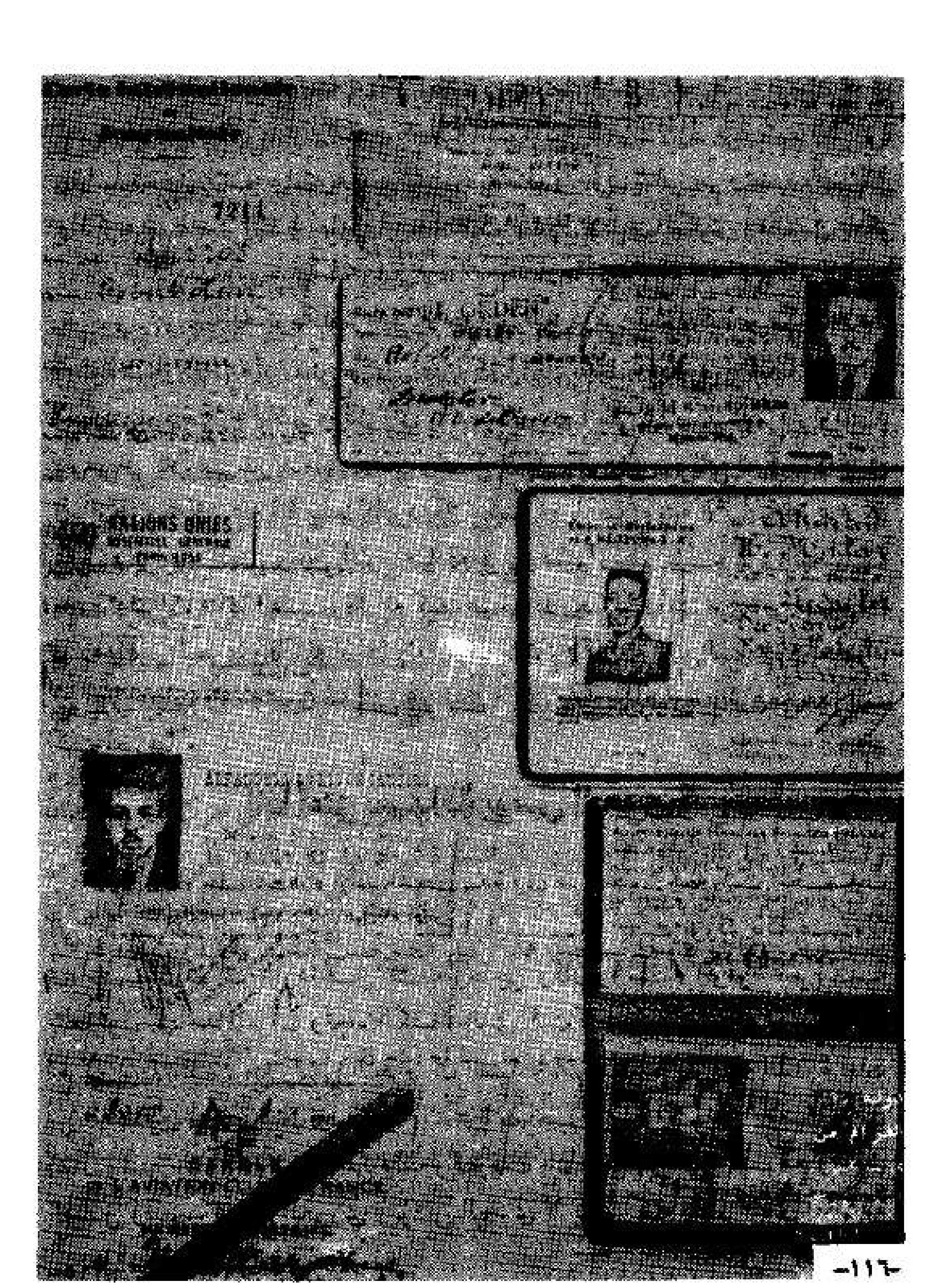
ثم لم تمض أشهر الا وجاءت البرقيات بأن يونس البحرى هرب من بغداد وتسبب فى قتل القنصل الانجليزى فى البصرة ثم هرب مع رشيد على الكيلانى الى برلين ، ولما لبثنا أن سمعنا صوته يجلجل هنا برلين حى العرب وعاد كبار رجال الجالية الي وقالوا يا مطر صديقك هذا رجل عظيم فقلت الحمد لله الذى جعله عند حسن ظنى به .

انقطعت أخبار يونس البحرى عنى طيلة أيام الحرب حتى كانت سنة ١٩٤٨ اذ رمى الى نقولا صاحب مطعم بغداد الشهير فى الشارع الثامن والعشرين فى نيويورك بربطة جرائد وقال خذها لك ، واذا بها جريدة العرب التى تصدر فى باريس وصاحبها يونس البحرى .

ذهبت الى باريس سنة ١٩٤٨ لحضور جلسات الأمم المتحـدة والتقيت به فى قصر شايو فزرت جريدته والتقيت بالطلبة السودانيين آنذاك لأول مرة منهم الدكاترة والأساتذة والفلاسفة والمؤرخين وكانت جامعة السوربون تفخر بهم وتضرب بهم المثل وأذكر منهم أحمد السيد حمد وأحمد الطيب عبدون وبشير البكرى وفضـل بابكر ومحى الدين صابر وعقيل أحمد عقيل وصلاح عثمان هاشم وعباس الدابى وكانوا جميعا يدرسون على نفقة الحكومة المصرية الا الأخير منهم فقد درس لحسابه الخاص وكنت بلا فخر أعطف عليه ولأنه من واد مدنى أهب لمساعدته كلما ألمت به ملمة وعلى غيره أيضا خصوصا زميلى اليوم صلاح هاشم وذلك لأن والده كان متهما معى فى مقتل السردار ولقـد سرنى ان كان لهم خير صديق ومعين ولعـل السبب فى ذلك معرفتى له كسودانى فى البرازيل ويحكى عنه أنه بينما كان داخلا مطعما فى باريس ومعه الأسـاتذة عبد الله عقيل وابراهيم المفتى وأمين التوم صادفه عربى عظيم وسلم عليـه فرد التحيـة بدون اكتراث فتأثر العظيم وقال له كيف تسلم على هكذا وأنت من ناس سـود ! فهب يونس البحرى وقال له ان هؤلاء أشرف منك . وكان اخوانى السودانيين يعجبون بى أيما اعجاب ويندهشون لسكنى فى فندق الكلاريدج والمصاريف الباهظة جدا التى كنت أصرفها .

لماذا أعتز بصداقة يونس البحرى ؟

وفى أثناء جلسـات الأمم المتحـدة وفى فترة الاستراحة كنت أتحـدث الى جـريدة الهـدى التى كنت أراسـلها بنيويورك بالتليفـون فى أحـد الممرات من داخـل كشك زجاجى وكان رؤسـاء الوفود العربيـة يتحدثون فى أحد الممرات وتجاه الكشك الذى كنت أتحدث منه ، وفى أثناء حديثى مع نيويورك علمت من رئيس التحرير ان السيد رياض الصلح قد وجه الدعوة لعدد من الصحفيين لزيارة لبنان ولم يوجه الدعوة لصاحب جريدة الهـدى وطلب الى أن أسأل رئيس الوزارة اللبنانية عن ذلك وكما قلت فان السيد رياض الصـلح والأمير الفيصل والسيد فارس الخورى ويونس البحرى لا يزالوا فى الممـر الذى أمامى .



فطلبت من رئيس التحرير أن ينتظر على التليفون لأسأل له السيد رياض الصلح عن الدعوة وفعلا خرجت واستأذنت السيد رياض وانتحيت به جانبا وفاتحته فى أمر الدعوة . فما كان منه الا أن انفجر غاضبا وأساء لصاحب جريدة الهدى . وهنا تدخل السيد يونس البحرى وقال له ياسيد رياض أتعرف من هذا ؟ هذا السيد مطر وسرد عليه قصة لقاءنا الأول فى البرازيل والأعمال التى قمت بها من أجله ، واعتذر السيد رياض وقرر ارسال دعوة الى جريدة الهدى ، وهذا مثل حى من الأمثلة التى جعلتنى أكن ليونس البحرى كل تقدير .

ومرة أخرى التقينا بيونس البحرى أثناء زيارة السيد رئيس وزراء السودان السابق للبلدان العربية فى غضون عام ١٩٥٧ ، وكان السيد يونس البحرى يرافق الوفد السوداني ويقوم نحوه بواجب المساعدة . وفى عام ١٩٥٨ جاء السيد يونس بحرى وزوجته الى السودان وكان فى نيته ان يستقر فى السودان فقمت نحوه بواجب التكريم الا ان المقام لم يطب له فقفل راجعا . وآخر ما سمعت عنه انه اعتقل فى العراق فى ثورة ١٤ تموز الا انه قد أفرج عنه أخيرا .

الافلات من موتتين
كيف نجوت من الموت المحقق

وصلنى خطاب بعد سفر يونس البحرى من أحد الأصدقاء فى المكسيك يدعونى فيه للحضور للاشتراك معهم فى الثورة التى يعملون لها للاطاحة بالحكم القائم فى البلاد ... وسافرت الى المكسيك وهناك كنا ننسج خيوط المؤامرة فى القهاوى ، حتى اكتملت عناصر الثورة فقمنا بها وكان عددنا ٥٠٠ ثائرا بأسلحتهم والتحمنا مع قوات الجيش فسقط منا ٤٠٠ ثائر وهرب الباقون الى التلال ، وهناك اتفقنا على تسليم أنفسنا الى السلطات المختصة ، وكان علينا أن نقطع التلال حتى نصل مرة أخرى الى القرية التى سنسلم أنفسنا فيها وعندما شارفنا حدود القرية أبصرت قوات السوارى قادمة نحونا وفكرت لو ان طلقة واحدة خرجت من بندقية أحد الثائرين

فانا جميعا قد انتهينا اذ اننا أصبحنا في متناول أسلحتهم والعناية الالهية وحدها هي التي جعلتني أسير في المؤخرة اذ أن الأمور جرت بشكل مدهش وأطلق أحد الثائرين رصاصة استقرت في رأس أحد رجال السواري فاردته قتيلا وفي الحال انصب علينا الرصاص وسريعا دفنت نفسي في التراب وعندما انتهت المعركة وأسرنا « السواري » وجدت ان الأحياء ٢٩ وان الباقين قد لقوا حتفهم • وأخذنا السواري نحن التسعة والعشرين أسيرا الى قشلاقات الجيش واعتقلونا هناك من الساعة العاشرةصباحا حتى الساعة الرابعة بعد الظهر تماما وجاء الجنرال واستعرضنا ثم صاح بأعلى صوته : Fusile Todos أي : اضربوا الجميع بالرصاص •

وجاء ضابط برتبة كولونيل ومعه جنوده وأوقفونا بالقرب من حائط عال ثم أخذوا يعصبون عيوننا ولكننا جميعا رفضنا ذلك وبدأ اطلاق الرصاص •• فسقط الأول والثاني الى التاسع وفجأة من أحد أبواب القشلاق الجانبية دخلن ثلاثةمن النساء موشحات بالسواد وهن يولولن صارخات ثم ارتمين على قدمي الضابط الذي كان يجلس على صندوق من الخشب راجيات منه أن يطلق سراح ابنهم الوحيد الذي لا عائل لهن غيره ووضعن تحت قدميه حليهن وأموالهن وانبهرت عينا الضابطبالحلى والأموال وقال بصوت أبح : Dee Todo أي اطلقوا سراح الجميع وكان ترتيبالابن الذي كان الدور عليه الثالث عشر ثم أنا وخمسة آخرين ، وخرجنا نحن التسعة كان هذا في عام ١٩٣٦ وعدت أدراجي الى البرازيل وطني الجديد .

وفي عام ١٩٤٧ رجعت الى المكسيك في رحلة صحفية لاصدار عدد ممتاز عن المكسيك لجريدة « الهدى » التي تصدر في نيويورك وكان علي أن أجمع لهذا العدد عشرة آلاف دولار .

ودخلت الى مكاتب شركة من الشركات وطلبت مقابلة مديرها واذن الى فلما دخلت اليه ارتفع وجهي كله من الدهشة وأسرعت محتضنا المدير الذي لم يكن سوى « سيمون » زميلنا الثائر الذي بسببه أطلق سراحنا في عام ١٩٣٧ من أجل الأموال التي دفعتها أسرته •

وسألته كيف أصبح مديرا لشركة كبيرة مثل هذه الشركة أجابني بأنه بعد أن أطلق سراحه اقترض مبلغا من المال وسافر به الى امريكا وعمل تاجرا فى«لمبات فلبس» فدرت عليه أرباحا طائلة استثمرها فى شراء مئات الآف الأمتار من الأراضى الواقعة خارج المدينة وبنى فيها أكبر استاد لمصارعة الثيران فى امريكا اللاتينية وبعد حفلة الافتتاح الأولى دخلت الحكومة شريكة معه ، ومدت شوارع الأسفلت وأقيمت الكباريهات ــ والقهاوى وارتفعت قيمة الاستاد وارتفعت أسعار الأراضى ارتفاعا فاحشا وأصبح الرجل مليونيرا •

وقصصت عليه حالى بعد نجاتنا من الموت حتى اليوم والمهمة التى جئت من أجلها ••• والمبلغ الذى يجب أن أجمعه فما كان من سيمون الا أن كتب لى شيكا بمبلغ عشرة آلاف دولار ثم استضافنى أياما رجعت بعدها الى امريكا الشمالية عن طريق ميامى متمما عملى الصحفى فى نفس الطريق •

النجاة من الموت مرة اخرى

وبعد هذا الحادث حصل حادث آخر لم يكن فى الحسبان ، كان الليل قد انتصف حينما خرجت من البار ، وأخذت أوقع لحنا مثيرا بفمى وأنا أسير الهوينا طربا ، وفجأة أحسست بشىء صلب وراء ظهرى ويد تقبض على كتفى فى قوة ثم صوت هامس مشبع بالوعيد يأمرنى بالسير نحو السيارة الواقفة والا فان محتويات المسدس ستفرغ فى ظهرى •

كل هذا والشارع الذى يمتلأ بالناس حتى يفيض فى الأمسيات لا يحوى الا أنا والشخص أو الأشخاص الذين ورائى • وفى طريق منفصل وبالقرب من الغابة وقفت العربة ثم طلب منى الشخصان اللذان اختطفانى أن أنزل ، وقادانى حتى حافة واد ذى هاوية عميقة ثم أخرج أحدهما سيجارة وأشعلها ــ وقدمها لى وتراجعا سريعا ، ثم أطلقا النار على وتدحرجت من حافة الهاوية الى داخلها فى حذر شديد حتى وجدت مكانا استطعت أن أستقر فيه وبدأت الأمطار تهطل فى شدة وكانت الساعة الحادية عشر مساء •

ولم تصبنى طلقات الرصاص .. لأننى اكتشفت الحيلة من وراء السيجارة التى أشعلها أحدهما وقدمها لى فى الظلام الدامس لتهديهم الى مكانى وهذه حركة تفنن فى القتل ولكننى وضعت السيجارة فى يدى ثم مددت يدى بعيدا فأطلقا الرصاص على يدى بزعم ان السيجارة فى فمى •

وبقيت فى مكانى ساكنا خوفا من أن يكتشفوا الخدعة وسمعت أحدهم يقول للآخـــر :

والله يا أخى أنا ضميرى مؤنبنى فى الحكاية دى ••• عملوا فيه كده ليه ؟ •••

ورد الآخر : أهو خلاص مات .

وبعد أن تلاشت الأصوات قمت أتلمس طريقى وبعد ساعة عبرت الوادى من الجانب الآخر فوقع نظرى على ضوء باهت من الوادى فقصدته •

وطرقت باب الكوخ فأتانى رجل يحمل فى يده « فانوســا » قلت له اننى من مدينة بلم ، فأدخلنى فأفرد لى الرجل سريرا حتى الصباح فسرت الى الطريق العـــام فأخذت تاكسيا الى منزلى واختفيت فيه يومين واتصلت بأصدقائى تلفونيا وقصصت عليهم القصة ، فطلبوا منى الخروج •

وذهبت الى مقهى « سنترال » فاذا بالرجلين اللذين اختطفانى يشربان فى هدوء، وطبطبت على ظهر أحدهما فالتفت نحوى وهب هو وزميله مندهشان وصاحا الا تزال حيا يا باروس ؟ وقلت أحمد الله اننى لا زلت حيا فضحكنا وعانقانى وأجلسانى بينهم ثم طلبا لى شرابا •

وأخبرانى ان الذى أمرهم بقتلى قد دفع لكل منهم ثلاثين جنيها وعرفت الشخص الذى دفع المبلغ ، فاذا به أحد أرباب الملايين ولكن بعد أسبوعين أصابه الله بمصيبة كادت تودى بحياته •

والقصة تبدأ فى « هوتيل كونتننتال » فى القــاهرة عام ١٩٣٤ ولا داعى لذكر اسم الرجل لأنه لا زال على قيد الحياة اما الأسباب فهى سياسية بحتة • وأراد الله أن يعود الى ويعتذر كبقية أعدائى فى النهاية .

الى الشـــيلى

كيف قمت باصدار جريدة النظام فى جو مشحون بالتوتر !

وفى ريو فى يوليو عام ١٩٣٨ سافرت الى الأرجواى والأرجنتين ومنهـا عبرت جبال الأندس لأول مرة الى مدينة سنتاياجو فى الشيلى بقطار ترانس أندينو الذى يتسلق هذه الجبال « الأندس » المغطاة دائما بالثلوج كما أنها أغلى سكة حديد فى العالم اذ كانت أجرة السفر نحو عشرين جنيها لرحلة تستغرق ستة عشر ساعة نظـرا لسيره البطىء للغاية القصوى، ومرجع ذلك الى مايقتضيه تسلق تلك الجبال الشاهقة من زمن ـ كما ان القضبان التى يسير عليها القطار من أطرفه ما شاهدت فى حيـاتى فقد كانت ذات أسنان بارزة على الجانبين لتقى القطار من التدحرج فى أثناء تسـلقه اذا حدث هبوط فى قوته أو لأى سبب آخر أو فى نزوله من المرتفعـات الى سهل منخفض بأن تنزل من القاطرة بين تلك الأسنان ـ اداة تؤدى عمل « الفرملة »العادية عند السير ـ كما توجد تعاريج فى الخط يتمهل فيها القطار خطوة خطـوة الى أن يجتازها • وانفاقه ليست كالأنفاق العادية التى تخترق الجبال من الداخل ولكنهـا أنفاق خارجية صناعية تعمل على شكل مظلات فى سفوح الجبال الثلجيةيدخلها القطار طول سفح الجبل لتقى القضبان من تراكم الثلج عليها أو اعاقة سير القطار ـ وقـد عمدوا الى عمل فنادق فى الطريق فى المنخفضات عند المحطات التى يقف بها القطار ـ ومن وسائل الاحتياط ضد خطر الحوادث فى هذه الرحلة ان مد سلك كهربائى على طول الخط الحديدى عبر هذه المناطق الخطرة ما أن يمسه سائق القطار بعصـا فى طرفها سلك حتى تسمع أجراس فى المحطة التى تلى الموقع الذى وقف به القطـار فيسارعون الى نجدته ـ وهناك مدن صغيرة تحتل السهول بها قطعان الماشيةوالمزارع الكبيرة للفواكه وهى من أغنى البلاد بالماشية لتوفر المراعى منها مدينـة لوساندس وسان فرناندو • وكانت نهاية رحلتنا الممتعة تلك مدينة سنتياجو عاصمـة جمهورية شيلى فكأننا قد قطعنا ذلك الجزء من القارة الامريكية الجنوبية من الشرق الى الغرب كما وصلت فى تجوالى الى مضيق ماجلانس الذى يفصـل تلك القارة عن الدائرة



وهذا هو السيد جورج أبو صباح صاحب جريدة « الاصلاح »
يحادث السيد رشاد مراد القائم بأعمال المفوضية المصرية فى
ستياجو تشيلى ومعهما المؤلف .

القطبية المتجمدة الجنوبية وهى أقصى نقطة جنوبية فى العالم .

وصلت مدينة سنتياجو وهى مدينة عظيمة تقع فى السفح الغربى لجبال الأندس وفيها جالية عربية كبيرة من رجال المال والأعمال وبها صحيفة واحدة تصدر باللغة العربية يملكها ويحررها السيد جورج الياس أبو صباح عملت معه فى صحيفته وتوليت ادارتها ولما كان لزاما على أن أتعرف على داخلية البلاد فقد قمت بجولة صحفية للوقوف على الجاليات العربية المنتشرة فى طول البلاد وعرضها فزرت ٥٠٠ قرية ومدينة لموافاة الصحيفة بأخبار نشاطهم الاجتماعى والعلمى وبالتالى تسجيلهم تمهيدا لاصدار أول دليل احصائى اجتماعى تجارى يضمهم ، كنت أزمعت عمله وقد أتممت تلك الجولة وعدت لسنتياجو بمشتركين جدد لجريدة « الاصلاح » كما أصدرت أول دليل احصائى عن الجاليات العربية فى البلاد فى حجم مصغر وواليت عملى فى الصحيفة كمدير للادارة وقد كان السيد أبو صباح يتولى التحرير وتوجيه سياسة الصحيفة وقد كانت ذات ميول محورية متطرفة ولا غرابة فى ذلك فالجمهورية ذاتها

كانت تنزع الى مساعدة المحور وبينها وبين المانيا روابط قوية ومصـــالح سياسية وتجارية حتى أن جيش البلاد كان يتدرب تدريبا المانيا تقوم به بعثات من الضبــاط الألمان وكذلك الأسلحة واللوازم الأخرى حتى ملبوسات الجنــود كانت من الزى الألمانى وكذلك السير باستقامة الركبة .

ابو صباح وجريدة ((الاصلاح))

اندلعت نيران الحرب الأخيرة ولما دخلتها أمريكا طلبت الى شيلى كباقى دول امريكا اللاتينية أن تقطع صلاتها مع دولتى المحور فكانت شيلى من أكثر البلاد تأثرا لهذه الحالة الطارئة التى أرغمت فيها على قطع صلاتها مع دولة صديقةارضاءللولايات المتحدة الامريكية باعتبار روابط القارة الامريكيـــــة ــ وقد صرح بذلك رئيس الجمهورية فى سنت ياجو عندما أعلن عن قطع العلاقات السياسية بأنهانما يفعلذلكمع شديد الأسف ــ وهكذا تبدلت الحالة العامة فى البلاد وفترت تلك النزعة المحورية فى الصحف وغيرها بتغيير سياسة الحكومة المركزية فى البلاد الا صاحب « الاصلاح » السيد أبو صلاح قد ثبت على مبدئه فى الدعاية لألمانيا رغم ما أصابه من عنتالحكومة وأخيرا عطلت صحيفته نهائيا وأقفلت الدار ووضع اسمه فى القائمة السوداء وبالغوا فى التنكيل به بشتى الطرق حتى سلبوه حق بيع ماكينات وأحرفالطباعة لينتفعبثمنها وهكذا ضرب ذلك الجندى الباسل أروع الأمثال فى الثبات على المبدأ الذى اختطه



وقف السيد اسكندر هلس والمؤلف يتحدثان الى يوسف الملاح
عضو البرلمان الشيلانى

لنفسه وأنى بحق أقدره كأعظم صحفى رأيته ـ ونظرا لما نشأ بينى وبين هذا السيد النبيل وأفراد عائلته من ود وهو رجل على جانب عظيم من الكرم ودماثة الخلق كما انه رب عائلة تعتمد على هذه الصحيفة المصادرة فى كسب أودها فقـد سعيت بكل الوسائل لاعادة اصدار الصحيفة تحت اسمى وانتحى بها ناحية مضادة لما كانت عليه أى لخدمة الدمقراطيات والحلفاء فكان ان وفقت مؤخرا عن طريق السفارة الامريكية ذاتها فأذن لى فى اصدارها تحت اسم « النظام » الذى اخترته لها مقـابل دفع ثمن الماكينات والحروف الى دائنى صحيفة « الاصلاح » بالتقسيط .



السيدة اديلا ديب دى هلس التى كانت تعمـــل فى جريدة « النظام »

أصدرت جريدة « النظام » فى جو مشحون بالتوتر فأغلب الناس يسـاندون المانيا ودول المحور فلم تجد رواجا رغم الجهود الذى بذلتهـا فى ابعادها عن محيط السياسة ، وصبغتها بصبغة اخبارية مع العناية بالناحية الاجتماعية والأدب والثقـافة وهكذا سارت متعسرة تصدر نصف شهرية باللغتين العربية والاسبانيولية فمـا ان انقضت السنة الأولى حتى ارتفع عدد المشتركين فيها ارتفاعا محسوسا وصار القسم الاسبانيولى منها ينشر أخبار الحرب وصورها • كان يحرر هـذا القسم السيد اسكندر هالس والآنسة اديلة ديب وكانا طالبين فى الحقـوق ، الأول من أب أردنى والثانية من أب فلسطيني وقد أصبح هالس اليوم وزيرا للزراعة واقترن بأديلا ولهما أولاد وكلهم وعائلاتهم من أعز أصدقائى اليوم • وبجانب ذلك كنت قـد أسست اذاعة « ساعة فاروق » وكذلك « ساعة اذاعة الثقافة العربية » وحصلت منها على حق اذاعة الأخبار العالمية منها والمحلية باللغة العربية كما أصدرت دليـلا جـديدا لسنة



السيد نيقولا جارور من أرباب الملايين ووطنى غيور

١٩٤١ يحتوى على معلومات وافية عن كل المهاجرين العـــرب فى شيلى تحت رعاية النادي الفلسطينى بعد أن قمت بجولة أخرى من شمال البلاد الى جنوبها وقـد لقى اقبالا عظيما كما عاون على رواج الصحيفة « النظام » وبهذا تمكنت من أن أقوم ببعض الواجب على تجاه صديقى النبيل أبو صباح فى محنته ، وفى عام ١٩٤٥ أصدرت دليلى الثانى عن دول امريكا اللاتينية ـ بوليفيا ـ كولومبيـا ـ اكوادور ـ فنزويلا ـ كروساوا ـ أوربا ـ بيرو ـ وقد اقتضانى ذلك السفر والتجوال فى كل هذه الدول مدينة مدينة حيث يوجد المهاجر العربى واستعملت فيها كل وسائل النقل المعـروفة لانجاز هذه المهمة ، وأهم ما رأيت فى تشيلى معامل تصفية سماد نترات الشيلى ويقع فى أقصى الشمال وذبح وسلخ الماشية فى أقصى جنوب الكرة الأرضية وهذا الجـزء من العالم يشبه تماما فى تعرجاته وغاباته وأهله الشمال الأقصى من الكرة الأرضية فى كندا غير ان الشمال اشتهر بمعامل الورق بدلا عن ذبح وتصدير الماشية .

عند ذلك تركت الصحيفة بعد انتهاء الحرب وبعودة المياه الى مجاريهـا تمكن صديقى أبو صباح من اصدار صحيفته من جديد تحت اسم «العالم العربى» وهكذا تحمل ذلك الرجل الشهم صنوف الحرمان والمشقة طيلة سنوات الحرب انتصـارا لمبدئه فسارت سيرته مثلا أعلى للتضحية وانكار الذات .



مع السيد خايم سعيد صديق قديم ومليونير ، عند لقـائنا فى باريس

الفصل السادس

رحلتى الى الجنوب الاقصى من العالم

وبباخرة صغيرة تسير فى تعرجات الجزء الجنوبى من العالم سرت من بورتومونت الى مدينة مغالانس وسميت بهذا الاسم على اسم « ماجلان » البحار البرتغالى الشهير وهى تبعد عن أول مناطق القطب الجنوبى بنحو ٣ ساعات بزورق بخارى وقد مكثت بها ساعة وعدت أدراجى الى المدينة وكنا نقرأ الجرائد عند منتصف الليل فى المقاهى والميادين العامة وهناك أهم مذابح الضأن وقد تأتى بواخر خاصة لتنقل هذا اللحم الى انجلترا فالمواشى تدخل باخرة خاصة كل عنابرها مثلجة ، وأول ما تطأ البهيمة أرض الباخرة تسقط آلة فتقطع رأسها ثم يسير الجسم على ممر ويمر بعدد من العمال والآلات وبعد ٣ دقائق تجد الخروف ملفوفا نظيفا معلقا منمرا فى المكان المعد له فى الثلاجة الواسعة .

رحلتى الى الجنوب الاوسط فى الشيلى
ولاية أيسن

وبعد أن انهيت مهتمى فى الجنوب الأقصى جئت الى الجنوب الأوسط وأقصد بذلك ولاية أيسن ، وليس من خط بحرى مباشر اليها ، فعدت الى بورتومونت ثم رجعت اليها مرة ثانية مع انها تقع فى منتصف الطريق والسبب فى ذلك ان مغالانس تتعامل رأسا مع بورتومونت وهذه بدورها تتعامل رأسا مع أيسن فلا تمر عليها البواخر .

ولعل مدينة أيسن هى المدينة الوحيدة التى تقدمت تقدما سريعا فى ظرف وجيز جدا ، فى كل الشيلى بل فى العالم أجمع ، مستثنيا من ذلك تل أبيب أو تل غفيف التى عمرها اليهود فى فلسطين بسرعة مدهشة . وقد كان موقع مدينة أيسن منذ عشرة سنوات مضت غابات وأحراش كثيفة مخيفة وهى اليوم مدينة عصرية لطيفة تقع عند مصب نهر سمسون الذى يسمى الجزء الأدنى منه نهر أيسن ويبلغ عدد سكانها ١٤٠٠٠ نسمة وينتظر لها مستقبل باهر جدا .

وتمتد الولاية شرقا الى حدود الأرجنتين فيصلها طريق الى كومودور بفادافيا على ساحل الاطلانطيق وآخر الى « شيلى شيكو » أو شيلى الصغيرة على بحيرة بونيس ايرس وأهم المحصولات فيها الماشية وقد علمت ان هناك شركة عربية وهى عامر وأبو علوان تملك عشرات الألوف من الأغنام التى يقص صوفها ويباع سنويا كما ان لهذه الشركة باخرتان لنقل الركاب فى بحيرة بونيس أيرس • وفى ميناء أيسن فندقان من الدرجة الأولى بالنسبة للبلد أحدهما بلاس وهو للسيد خوليو شيلى والآخر السنترال وهو للسيد أنيس الهايب حيث توجد دار النادى العربى •

زيارتى لاكبر منجم نحاس نفقى فى العالم تقوم باستغلاله شركة برادن

قلة الحوادث وتشاؤم العمال

انتاج الشركة من النحاس يصل الى ٢٥٠٠٠٠٠٠ ريالا شهريا

لم يخطر ببالى قط أن أزور أكبر منجم نحاس نفقى فى العالم ، لولا الحاح الآنسة جلاديس الينا اريولا احدى طالبات سنتياغو كولدج ، التى جمعتنى بها الصدف فى اكسبريس الصباح الذاهب الى لؤلؤة الباسفيك «فلباريزو» عندما كانت تنوى قضاء عطلة الأحد بدون عائلتها فاتخذتنى لها رفيقا .

ثم مضى شهران وتعرفت فى كازينو فينيادلمار على المستر اريولا ، والد جلاديس وهو أكبر مهندسى شركة برادن ونصح لى بأن أتخذ الخطط اللازمة لزيارة المنجم فى سنتياجو وقد تم ذلك بعد محادثة تلفونية قصيرة بين المستر اريولا والمدير العام ، على أن يقابلنى المهندس لويز شامى وهو سورى الاصل تلقى علومه فى جامعة نيويورك ، فى محطة كوبا ويرسلنى منها الى المنجم فى سيول وهذه هى محطة القوة الكهربائية وتبلغ قوتها ٢٥٠٠٠ حصان وعدد فولتاتها ٦٩٠٠٠ ، وقد شرح لى لويز شامى بان هذه القوة تضم الى قوة محطة نيجال على مسافة عشرة كيلو متر والبالغة قوتها ٣٥٠٠٠ حصان وعدد فولتاتها ايضا ٦٩٠٠٠ ، حيث تسير القوتان معا الى كل

محطات الشركة وهى سيول ورانكاجوا وكاليتونس وباهونا وبارون لتوزع قوتهـا على الضوء والمياه والفبارك ومعامل صب النحاس الخ ٠٠ ويبلغ خط سير هـــذه القوة ٢٠٠ كيلو متر ، ذكر لى المستر فكرى القائم بادارة بنجال بأن الماء فى محطته ينحدر من ارتفاع ٥٠٠ متر وهو اعلى ارتفاع لمحطة كهربائية فى جنوب امريكا وان قوة اندفاع المياه هى ١٨٠ رطل للبوصة المربعة ، أما سرعتها فتتقدم وتتأخر حسب الفتحات وان المحطة تستخدم ٧٥٠ قدم مكعب من الماء فى كل دقيقة وفى الحقيقة ان هذا المنجم هو من أهم مناجم العالم النقية عموما وثانى منجم نحاس ، يؤخذ منـه يوميا ٢٥٠٠٠ طن من الجير والتراب الممزوج بمختلف المعادن ، يستخرج منها بعد عناء كبير وطحن وتصفية وعملية طويلة عريضة ، ما هو اقل من ٢٪ او اقل من ٥٠٠ طن من النحاس الصافى ، ولعل هذه الكنـــوز هى التى استهوت أوائل المستعمرين الاسان ، الذين استغلوه قبل ١٣٠ سنة بمساعدة العمال الهنود ، ولقد افتتحته شركة برادن كوبر ، وهذه بدورها تكون جزءا من الشركة الامريكية العالمية للنحاس فى سنة ١٩١٦ ومما يسهل عملها اليوم علاوة على الآلات الحديثة هو استخراجها المواد التى تستعمل لتصفيته واستغلاله من التراب والمعادن الاخرى بشـــكل رغوة ، من نفس المنجم ، ولها معامل كيماوية خاصة لتجهيزها ، هذا عدا معامل وورش الشركة التى تصنع كل القطع الميكانيكية التى يحتاج اليها المنجم والمطحن وورشـــة الصب وأدوات البناء والمطابخ والحمامات الخ ٠٠٠ وكم يتصور القارىء كبر الشركة متى ما علم ان القنال الذى تجرى فيه المياه الوسخة لمقرها فى صهاريج عالية بين جبـــال الشيلى ، يبلغ طوله ٣٠٠ كيلو متر ، هذا وان للشركة سكة حديد خاصة يبلغ طولها ٦٥ كيلو متر ، عدا ٨٥ ميل خطوط كهربائية تسير فى أنفاق تتفرع الى عشر أنفـاق أخرى داخل الجبل وان فى سيول وحدها ٨ سرايات لكبار مديرى الشركة و ٥٦فيلا حرف (ا) و ٤٨ فيلا حرف (ب) و ٩٩ فيلا حرف (ج) و ١٥٠٠ منزل للعمـــال المتزوجين البالغة نسبتهم ٣٥ ٪ من مجموع الموظفين ، ثم معســكر خاص للعزاب ومتوسط كسب العامل يوميا ٥ر٢٢ ريال ويرتفع مرتبه الى ١٠٠ ريال فى اليوم وفى

المعسكر مستشفى عام وثمانية مراكز تعادل مراكز الصليب الأحمر فى المعسكرات يديرها ١٤ من أمهر الأطباء • وقد علمت بعد البحث ان مستشفى سيول من أحسن مستشفيات الشيلى وتعالج فيه كل الأمراض بما فى ذلك الزهرى والسرطان وله قسم خاص بأمراض النساء والولادة وكذلك حجر عمليات مجهزة بأحدث الآلات العصرية، ولكن تواضع المستر ترنز منعه عن ذكر تلك التفاصيل الهامة ، والتعليم هناك اجبارى ومجانى لأبناء العمال وعندهم ثلاثة مدارس وأخرى صناعية حكومية ، يتلقى فيها كلها حوالى ٣٠٠٠ تلميذ ، ويبلغ عدد النوادى ٦٠ وعندهم ٦ برك سباحة وميدان للجمباز يتمرن العمال فيه على كرة القدم ، والجولف ، والتنس ، والباسكت بول ، والهوكى وضرب النار الخ •••

هذا وقد زرت منازل العمال بصفة سرية فوجدت حالتها على ما قال المستر ترنز فقد أظهروا ارتياحا عظيما لمساكنهم اذ أنها تعادل مساكن الفئة المتوسطة فى المدن • ولا أريد أن أختتم حديثى هذا دون أن أسجل جزيل الشكر لمدام شامى التى لم يمض على زواجها أكثر من شهرين ، وهى سيدة جميلة الروح والجسم فقد قدمت لى أوتومبيلها مع سائقه تحت تصرفى •

وفى عام ١٩٤٦ سافرت الى نيويورك حيث التحقت بصحيفة « الهدى » العربية لصاحبها سلوم مكرزل وقمت بجولة صحفية لموافاة الصحيفة بأخبار الجاليات العربية من جميع ولايات امريكا المتحدة من الشرق الى الغرب والجنوب الى الشمال والى كندا لأكتب عن نشاطهم الاجتماعى والتجارى وكان من أطرف مشاهداتى ان وجدت فى مدينة فربانكس المشهورة بصيد الثعالب للمتاجرة فى جلودها « الفرو » الشهيرة اثنتى عشر عائلة من الجالية العربية يقومون بشتى الأعمال التجارية وخلافها ماعدا ثلاثة أشخاص منهم ممن قضوا سبعة وعشرين عاما فى البحث عن الذهب أو البترول ولم تساعدهم الظروف بالعثور عليه الى ذلك الوقت الذى رأيتهم فيه فهذا دليل على منتهى المغامرة فى سبيل الثراء العاجل — وفى مدينة ادمنتون من ولاية البرتا وجدت الجالية العربية فيها جميعهم من المسلمين وقد أقامت سيدة سورية محسنة مسجدا من أجمل المساجد التى رأيتها •



السادة الصديق المهدى وعبـد الله خليل ومحمد صالح الشنقيطى يستمعون لقضية السودان فى مجلس الامن عام ١٩٤٧

التحاقى بهيئة الأمم المتحدة

وبعد عودتى من هذه الرحلة الى نيويورك تفرغت لاصدار دليلى الثـالث عن باقى دول امريكا الوسطى وجزر خليج الكاريبيان فشـمل : اتيقوا ـ كوبا ـ كوستاريكا ـ جزيرة دومنيكا ـ غواد الوبى ـ قواتيمالا ـ غيانا البريطانيـة ـ غيانا الفرنسية ـ غيانا الهولندية ـ هندوارس البريطانيـة ـ جمايكا ـ مارتنيك ـ ميكاراغوا ـ بناما ـ سنت دومينيقو ـ بورتوريكو ـ جزيرة سنت كيتس ـ سان سلفادرو ـ ترينداد ـ المكسيك ـ وطبعته فى نيويوك عام ١٩٤٧ فلقى اقبالا عظيما ثم أنشأت مكتب الصحافة العربية الامريكية وأصبحت صحفيا معتمـدا لدى هيئة الأمم المتحدة فى ليك سكسس وفى تلك السنة أصبحت أيضا مراسلا لعدة جرائد فى القارة الامريكية .

الوفد السوداني الاستقلالي

تهاون المصريين ــ فشل التوحيد ــ حزب الامة وقوته والمهدي وسلطته

« بقلم الاستاذ احمد مطر »

المرآة ــ انقطع الاستاذ احمد مطر عن تجواله ونشر اختباراته عن احوال الجوالي على اثر وصول الوفود المصرية والسودانية الى نيويورك لعرض قضيتي مصر والسودان على مجلس الامن لجامعة الامم المتحدة . وبما ان الاستاذ مطر هو احد المجاهدين القدماء من جمعية « اللواء الابيض » وقد كان معتقلا مع صاحب الدولة النقراشي باشا والاستاذين المحاميين الدكتور احمد اسماعيل وتوفيق احمد البكري كما ان الاستاذ اسماعيل الازهري رئيس وفد وحدة وادي النيل كان له رفيقا في الدراسة الابتدائية تحتم على الاستاذ مطر ان يلقي رحلاته ويتكاتف معهم في العمل . وقد قابل الوفد الاستقلالي الذي تربط بعض اعضائه علاقات ودية مع بعض افراد عائلته . واننا ننشر له الان الحديث التالي ــ

وصل في الاسبوع الماضي الى نيويورك وفد سوداني جديد مؤلف من اربع شخصيات بارزة وهم الصديق عبدالرحمن المهدي حفيد السيد محمد احمد المهدي آخر محرري السودان في سنة ١٨٨١ وقد جاء بالنيابة عن والده السيد عبدالرحمن تهين بالسبيكة وتكنهم الاسبانية فلم لم تؤلف جمهورية واحدة بعد

تهاون المصريين ــ

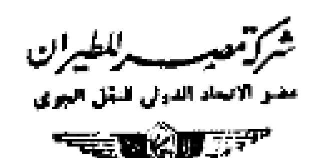
وقد ذكر لنا مصري كبير في فندق « بلازا » ــ لقد تهاون المصريون كثيرا في نيل عطف اخوانهم السودانيين وكانوا ينظرون اليهم نظرة المستعمر المستغل فصحوا بذلك المجال للانكليز ان يمهدوا طريقهم السياسي تدريجيا مما ادى الى النفور وتوتر العلاقات الاجتماعية التي افضت الى نتيجة حاسمة اليوم وهي « الانفصال » وزاد بقوله ــ كان السودان دائما متململا ثائرا في سبيل استقلاله وهو في هذه الحالة يشبه لبنان « لا يرضى الضيم »

فشل التوحيد ــ

وقد تدخل اعوان الالفة وارباب الرأي نظير عبدالرحمن باشا عزام والدكتور حامد سلطان لتوحيد الوفدين السودانيين واتصل الوفد الاستقلالي بصاحب الدولة النقراشي باشا ولكن المساعي فشلت

حزب الامة وقوة المهدي وسلطته ــ

اما حزب الامة الذي تألف بعد الحرب فهو اقوى الاحزاب السودانية اذ انه يقوم على أسس قوية ودعائم متينة ويؤيده السيد عبدالرحمن المهدي الذي يتمتع بسلطة طبيعية موروثة عن والده وقد وطد هو دعائمها بعطفه وعنايته واهتمامه بامور رعاياه لاسيما اولئك الذين يعملون في مزارعه الواسعة في ارض الجزيرة . فهو يزورهم من وقت الى آخر وعندما يبلغ ابناؤهم وبناتهم



MISRAIR

MEMBERS OF IATA

SSENGER TICKET & BAGGAGE CHEC

3

BILLET DE PASSAGE

BULLETIN DE BAGAGES

8 21210

1/2

AIR FRANCE

CIA MEXICANA DE AVIACION

AMERICAN

PLEASE

DON'T BE A

071 264112

THIOPIAN

1093

AMERICAN-GRACE AIRWAY

BOAC

SENGER TICKET AND BAGGAGE CH

TISH OVERSEAS AIRWAYS CORPORAT

A

165791



AN AMERICAN WORLD AIRWAYS SYSTE

PASSENGER TICKET AND BAGGAGE CHECK

REISKAARTJIE EN BAGASHBEWYS

D834

Issued by

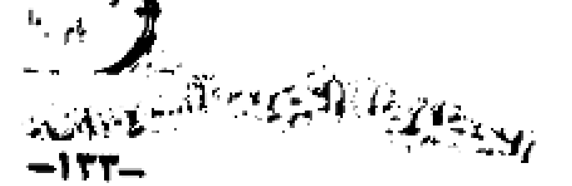
TH AFRICAN AIRWAYS

BOLETO DE PASAJE Nº 39967

AEROLINEAS ARGENTINAS

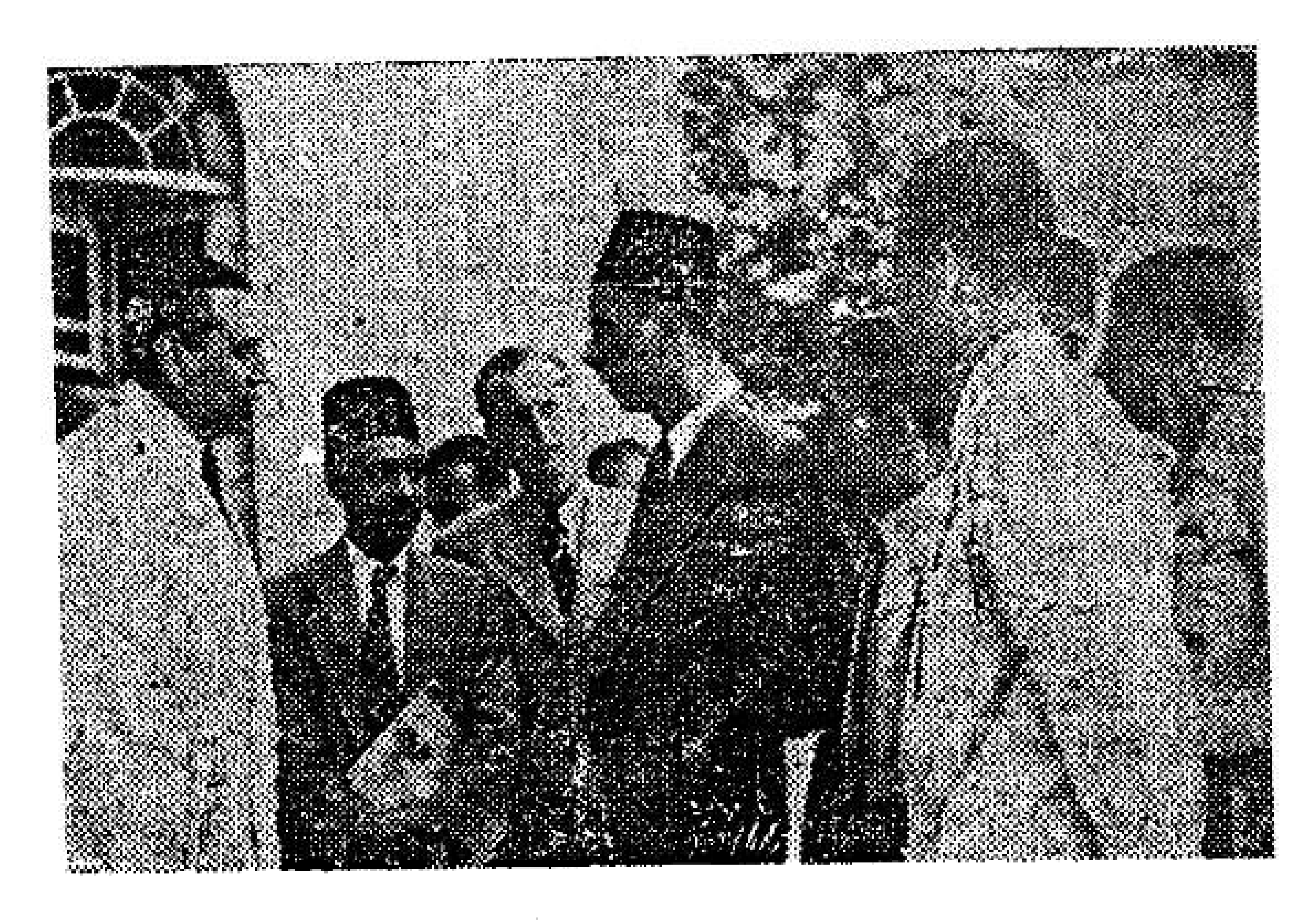
EL BOLETO ES PERSONAL E INTRANSFE-

RIBLE





النهار ... العدد ٣٩٤٦



عزام باشا يتحدث الى الصحفيين

المؤلف يتحدث الى عبد الرحمن عزام باشـــــــا

Toda correspondencia diríjase a: Roberto Lois de Barros — Sto. Domingo 887 — Of. 4 — Casilla 9288 — Tel. 83592

EL ORDEN

Periódico árabe cultural, social, y crítico

SU LEMA: "UNION Y CULTURA"

Redactor castellano: Alejandro Hales

Fundado el 4 - XII - 1942

SUBSCRIPCION ANUAL: EN CHILE $ 150 — EXTERIOR 6 DOLARES

AÑO I — SANTIAGO DE CHILE, 20 DE DICIEMBRE DE 1943 — Número Extraordinario

"El Orden" en su primer aniversario saluda al Presidente de la República, Excmo. señor Juan Antonio Ríos

"EL ORDEN", ha cumplido un año de vida. Un año ...

جريدة الناطقين بالضاد على ساحل الباسيفيك — (شعارها الاتحاد والثقافة) — تأسست في ٤ ديسمبر عام ١٩٤٢

النظام

صاحب الجريدة والمدير المسؤول احمد حسن مطر

رئيس التحرير في اللغة الاسبانية اسكندر هلس

جميع المراسلات ترسل الى صندوق البريد ٩٢٨٨ ، تلفون ٨٣٥٩٢

اشتراكها السنوي في تشيلي ١٥٠ ريالا وفي جهة البلدان الخارجية ٦ دولارات

— (جريدة نصف شهرية : ادبية اجتماعية فكاهية انتقادية سياسية) —

السنة الاولى — (ديسمبر ٢٠ ك ١ سنة ١٩٤٣) — عدد ممتاز



رسم الكاتب البليغ والاستاذ الكبير

تذوقوا بلاغة لغتكم

من ارجنتين !

« بقلم ز. زيتون »

في مساء الثامن والعشرين من تشرين الثاني المنصرم اقامت جمعية الشبان المسلمين في بوينس ايرس مأدبة اكرامية حافلة في ابهاء كاستيلار الفخمة للاستاذ الكبير الشاعر الدكتور ارسقاطه منشادو احد كبار الموظفين في وزارة

الزراعة الارجنتينية واستاذ اللغة العربية في جامعة العلوم والآداب (بوينس ايرس) ولما كان الدكتور منشادو من اكبر الاصدقاء المخلصين للشعوب العربية فقد انضم الى هذه المأدبة التكريمية معظم الاندية والجمعيات السورية اللبنانية



E'cos da embaixada do samba

MARILIA BAPTISTA FOI HOMENAEGADA



A embaixada do samba, dizem uns, fez brilhante successo no Uruguay, dizem outros que não correspondeu à expectativa. Despeito? Maldade? Falta de patriotismo? Qui lo sa?

A photographia que illustra estas linhas é um aspecto da homenagem prestada pela radio-emissora "El Mundo" às cantoras brasileiras Marilia Baptista e Ivonne Rabello, em Montevidéo. No grupo vê-se as homenageadas, o dr. Baptista, pae de Marilia, o reporter De Barros e outros componentes da embaixada do samba no Uruguay.

Marilia e Yvonne foram as unicas que ficaram num hotel, fóra da concentração. Marilia, durante o tempo que esteve no Prata, defendeu-se cantando nos radios e cinemas, graças ao auxilio do chronista João da Rua.

بعض اعضاء سفارة رقصة السامبا الى الاوروجواى ويرى المؤلف الثالث من اليسار

مازق فى الامم المتحـدة

وبحكم عملى فى أوساط الأمم المتحدة ونتيجة لاتصالاتى برجال الهيئة ووفود الدول المعتمدة لدى المنظمة كانت أغلب وفود الدول التى لم تنل الحكم الذاتى أو وفودها معارضة لحكوماتها تلجأ لى لتقديم المساعدات والقيام بالدعاية اللازمة لهـا لبسط قضيتها وتقديم حججا للهيئة وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر وفد الصومال ومصر والسودان . وفى أثناء عرض قضية مصر جاءنى مصطفى مؤمن من جمعيـــة



المؤلف معه البوليس السرى وقد التف حـــولهما الصحفيون ينصحون مصطفى مؤمن بالخروج من حضرة الامم المتحدة

الاخوان المسلمين بمصر وكان مغضوبا عليــه من الحكومة وطلب مني أن أعينــه في الاتصال بأجهزة الدعاية والوفود وبما انه لم يكن متفقا مع الحكومة المصرية آنذاك فقد أوعزت الحكومة بمنعه من حضور جلسات مجلس الأمن الذي ينظر القضــية فرجاني أن أدبر له تذكرة لحضور جلسة كان النقراشي باشا مندوب مصر سيتحدث فيها ، وقد تمكنت من الحصول على التذكرة له وبدأت الجلسة وأخــذ النقراشي يعرض وجهة نظر الحكومة المصرية وهنا انفجر مصطفى مؤمن مقاطعا وأخرج من جيبه عريضة مكتوبة بالدم وقال هذه العريضة مكتوبة بدماء أبناء وادي النيـــل وكانت في مضمونها معارضة ومهاجمة للحكومة المصرية فهجم عليه البوليس وأراد اخراجه ولكنه قاومهم وعض أحدهم في يده الى أن أدمت ، ثم أرادوا أن يخرجوه من ليك سكسس فلجأ لي البوليس وهمس في أذني قائلا « يا مطر نحن نعلم انك قــد أحضرت له التذكرة وخير لك أن تعالج خروجه والا أصابك ضرر » . وذهبت اليه وأقنعته بالخروج وأخذنا سيارة أجرة الى نيويورك حتى فندق البلازا حيث كان ينزل وعندما عدت الى ليك سكسس أخبرني البوليس ان عفش مصطفى مؤمن خال من أي متفجرات أو قنابل وانهم قد تمكنوا من فتحه واعادته مرة أخرى في الفترة ما بين وقوع الحادث في ليك سكسس ورجوعه الى نيويورك .

وليست مهمة مجلس الوصاية مقتصرة على فحص هذه التقــارير بل انه يعين بعثات تزور هذه المناطق فزارت مثلا بعثة في عام ١٩٤٧ ساموا الغربية وزارت أخرى في عام ١٩٤٨ تنجانيفا ورواندا أورندي كما زارت في نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٤٩ بعثة الكمرون وتو ، "ند الواقعتين تحت ادارة بريطانيا وفرنسا .

وفي ربيع عام ١٩٥٠ زارت بعثة أخرى ساموا الغربية وغينيا الجديدة وجــزر الباسفيك .

وبالاضافة الى ذلك فان مجلس الوصاية يبحث ويقرر في الشكاوى التي تصل اليه من الأراضي الواقعة تحت الوصاية وقد وردت من هذه الشكاوى الكثير .

ويتقدم مجلس الوصاية كل عام بتقرير الى الجمعية العمومية يقوم على أساس ما ورد من التقارير وأبحاث البعثات الزائرة والشكاوى وغيرها وفى تقـــريره الى الجمعية العمومية يلخص المجلس نتائجه وملاحظاته عن الحالة فى الأراضى الواقعـة تحت الوصاية ، ويدرس هذا التقرير فى اللجنة الرابعة للجمعية العمومية ــ وهناك لكل مندوب الحق أن يبدى رأيه فى صراحة .

وقد لعبت فيه الوفود العربية دورا هاما وتبوأ بعض أعضائها مراكز بارزة أهمها مركز الأستاذ شارل مالك الذى ضرب المثل بفلسفته ورزانته وقدكان رئيسا للمجلس الاقتصادى الاجتماعى والأستاذ فارس بك الخورى الذى أدهش العالم بدفاعه فى مجلس الأمن ولقد كان رئيسا له وسمو الأمير فيصل الذى كان موضـع احترام واجلال كل الوفود قاطبة بما له من رأى ثاقب وبعد نظر وفاضل بك الجمالى الذى كان يسمى صوت العرب أما مصر فجاء منها قوم غيروا اعتقـاد الغـربى فى الشرقى وأصبحوا ينظرون اليه بعين التقدير والوزن وكفى ما قام به صاحب السعادة محمود فوزى المندوب الدائم فى الهيئة من كفاح وجهاد مستمر أكسبه اعجاب الجميع .

هذا وان الواجبات والمسئوليات الملقاة على أعضاء الأمانة العامة هى دولية بحتة وكل عضو فيها مهما كانت قوميته يعتبر موظفا مدنيا دوليا يخدم العالم وفى خـدمة كهذه يكون قد أدى أكبر خدمة لبلاده ذاتها .

الفصل السابع

عملي في السلك الدبلوماسي المصري

بعد عودتي الى مصر بعد رحلتي حول العالم التي انتهت في أوائل عام ١٩٥١ عينت من قبل الحكومة المصرية ملحقا صحفيا للمفوضية المصرية في الأرجنتين وكان الواسطة في ذلك الصديق العظيم والوطني الحر المكافح عبد الرحمن عزام باشا وسافرت اليها في صحبة الوزير المفوض الأستاذ حسن محرم وفي أثناء ذلك أنشأنا مفوضية في سنتياجو شيلي في يوليو من تلك السنة وافتتحها الأستاذ رشاد مراد القائم بالأعمال والقنصل العام فيها ثم عدت منها بالأجازة في يونيو عام ١٩٥٢ وعند وصولي مصر علمت انه قد استغنت الحكومة عن الملحقين الصحفيين في السفارات



سفير الاجينتين في تشيلي جلس يتحدث الى المؤلف بينما يقرأ محمد نجيب الرئيس السابق نسخة من احدى الاتفاقيات بين مصر والأرجنتين

الخارجية وبينما أنا فى مصر قامت حركة الجيش فى اليوم الثالث والعشرين من شهر يوليو ١٩٥٢ فتغيرت بذلك الأحوال فكان صديقى محمد نجيب الذى ذكره عبد القادر يقود الحركة وها هو نجيب الذى كان يشجعنى على الخدمة فى مصر قبل ٢٠ سنة فكان من اثر ذلك أن أعادنى الى الخدمة مرة أخرى وقضيت اجازتى فى السودان ثم عدت الى مصر فى سبتمبر ١٩٥٢ ومنها سافرت الى بونس ايرس وفى هذه الفترة أنابت الحكومة المصرية الدكتور حسن محرم وزير مصر المفوض لدى حكومات الأرجنتين وشيلى وأراجواى بأن ينوب عن مصر وسوريا فى المؤتمر الدولى للمواصلات اللاسلكية كما انتدبته الحكومة أيضا لحضور حفلات تسليم رئاسة الجمهورية الشيلانية للمرة القادمة من السيد غونسالس فيديلا الى الرئيس المنتخب الجنرال أبانيس فى نوفمبر من تلك السنة وقد حضرت بعثات سياسية من تسع وأربعين دولة واشتركت مع الأستاذ مراد رشاد فى هذه الحفلات الفخمة بوصفى فى السلك التمثيلى ولصداقتى القديمة بالرئيس الجديد الجنرال كارلوس ابانيس دل كامبو كما أقيمت صلوات فى الكنائس لانتصار حركة الجيش فى بونس ايرس وانتخبت مصر من ٩٢ دولة عضوا بمجلس ادارة اتحاد المواصلات السلكية واللاسلكية وهو مؤلف من ثمانى عشرة دولة وقد مثل مصر فيه المهندس جميل محرز مدير الادارة التلغرافات المصرية والمهندس أنيس المطبعى وكان لى فى كل ذلك يد •

وفى فبراير من عام ١٩٥٣ عدت الى مصر بالاجازة وبانقضائها انتدبت للعمل فى وزارة الخارجية المصرية لمدة شهرين على أن أصحب الرئيس اللواء محمد نجيب أثناء رحلته الى الوجه القبلى ــ وفى مايو من تلك السنة ترقيت الى وظيفة مستشار صحفى لأمريكا اللاتينية (بونس أيرس) وريودى جانيرو وملحقاتها بمرتب سكرتير أول بالسلك الدبلوماسى وسافرت الى بوينس ايرس فى مايو وفى يولية عدت بصحبة وفد الصحافة الأرجنتينية لحضور حفلات التحرير برياسة الصحفى الأرجنتينى السنيور امريكو باريوس الذى حمل رسالة من الرئيس بيرون وهدايا ونيشان الصليب الأرجنتينى للاستحقاق العسكرى وصدر مرسوم بذلك جاء فيه ان الرئيس نجيب « قد استحق تقدير كل الأمة وعرفانها » وقد احتفل البرلمان الأرجنتينى بمرور عام

على حركة التحرير المصرية ووافق على رفع المفوضية الأرجنتينية فى القـــاهرة الى سفارة وقد قمت باصدار كراسة باللغة الاسبانية عن «مصر اليوم» تحتوى على مقالات وصور عن نهضة مصر وحركة التحرير فى سنتها الأولى ـ وقد اختار الرئيس محمد



وقف الجنرال بيرون رئيس جمهـــورية الارجنتين سابقا بين المؤلف والسيد امريكو رئيس الوفد الصـــحفى الارجنتينى لاحتفالات يوليو سنة ٥٣

نجيب من المتحف الحربى المصرى بندقية أثرية وخنجرا وسكينا مطعمتان بالفضة وعصاه سودانية من خشب ثمين وسيفا مرصعين بالصدف وطربوشا لاهدائهما الى الجنرال بيرون رئيس جمهورية الارجنتين ردا لهديته كما أقام الرئيس نجيب بمنزله حفل شاى للصحفى الأرجنتينى الذى رفع لسيادته مجموعة من الصحف الأرجنتينية التى صورت فى صفحاتها الأولى أنباء حفلات أعياد ثورة مصر القوميةوقد كنت أقوم بالترجمة بين سيادة الرئيس والصحفى الأرجنتينى الكبير وبعد انتهاء حفلات التحرير سافرت فى أغسطس صحبة مبعوث الجنرال بيرون وأعضاء الوفد وكانت معنابالطائرة هدية نجيب للجنرال بيرون على أن يسلمها وزير مصر المفوض فى الأرجنتين الأستاذ حسن محرم ويقدمها للرئيس بيرون فى حفلة رسمية ومعها أيضا رسالة من الرئيس نجيب تعرب عن أمله الكبير فى دوام علاقات المودة الأكيدة والصداقة البريئة بين مصر والأرجنتين لخير البلدين ومصلحة شعبيهما .

وبوصولنا بونس ايرس تقدم الوزير المفوض المصرى السيد حسن محرم بالهدايا فى حفل فخم بقصر الرئاسة تسلم فيها الرئيس بيرون الهدية والرسالةوتبودلت فيها الخطب المناسبة .

ولما كان حضرة الوزير السيد حسن محرم قد رقى سفيرا لمصر فى اليونان فقد أقيمت على شرفه عدة حفلات رسمية وخصوصية وقد أنعمت عليه حكومة شيلى بوسام الاستحقاق من درجة الصليب الكبير فى حفل عظيم وخطب فيه الوزير موجها الشكر الى الجنرال أبانيس رئيس الجمهورية الشيلانية ثم غادرنا السفير السيد حسن محرم مع أطيب التمنيات الى مقره الجديد فى أثينا .

هذا وقد خلفه كوزير مفوض فى الأرجنتين الأستاذ محمود محرم حماد مندوب مصر فى مجلس الوصاية التابع لهيئة الأمم المتحدة على الصومال وقد وصل سيادته الى بونس ايرس فى اليوم الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩٥٣ هذا وقد عمد سيادته منذ حلوله فى المفوضية على ابعادى عنها بشتى الطرق الكيدية ووصل فى ذلك حدا لا يرتضيه من كان مثلى بعد كل الخدمات الجليلة التى أديتها لمصر فيكفينى أن ينعتنى بيا بربرى يا سودانى ولى فى ذلك عظيم الشرف .

صفحة تطوى

كيف رفت وعدت الى العمل

فى ظرف نصف ساعة

كنت موظفا بالخارجية المصرية وكان عملى ملحقا صحفيا بسفارتها ببونيس ايرس وكانت أهم أعمال منصبى هى الدعاية الواسعة النطاق فى الجرائد . وفى عقد المؤتمرات الصحفية وغيرها من الأعمال .

وقد أديت لمصر فى هذا الميدان خدمات جليلة . فقد كانت معرفتى بايفا بيرون منذ أن كانت ممثلة فى الراديو قد فتحت الطريق أمامى لتتوثق صلاتى ببيرون رئيس جمهورية الأرجنتين عندما اقترن بها وبالتالى توطدت صلات السفير برئيس جمهورية الارجنتين عن طريقى ونتيجة لذلك فقد كانت الأمور تسير سيرا حسنا بين مصر بالسلك السياسى وسافرت الى بونس ايرس فى مايو وفى يوليو عدت بصحبة وفد الصحافة الأرجنتينية لحضور حفلات التحرير برئاسة الصحفى السنيور لويز ماريا البامونت الذى حمل رسالة من الرئيس بيرون وهدايا ونيشان الصليب الأكبر والارجنتين حتى اننى كنت أقابل « بيرون » فى السادسة صباحا متى ما أردت فى مكتبه

ولتوثيق العلاقات الطيبة بين مصر والأرجنتين فقد اصطحبت وفدا من الصحفيين الارجنتنيين الى مصر لحضور احتفالات عيد التحرير وكان ذلك فى عام ١٩٥٣ .

وللارجنتينيين عادة هى انهم لا يتناولون طعامهم الا اذا شربوا « النبيذ » فاتصلت بالصاغ صلاح سالم راجيا منه العمل على احضار نبيذ للصحفيين ورغم انه قد وعد مرة وثانية الا انه لم يف بوعده .

وانتهت أعياد التحرير وآن للصحفيين أن يعودوا الى بلادهم وعندما حزمت حقائبى للسفر معهم لمكان عملى أمرنى صلاح سالم ان أبقى فى وزارة الخارجية ولا أسافر وطلبت منه أن أعود بالوفد الذى أحضرته معى ثم أقفل راجعا الى مصر ورفض الصاغ صلاح سالم ثم قال : أنا عاوزك هنا فى الوزارة عشان تبقى وكيلى ولكنى أفهمته ان واجب اللياقة يقضى بأن أعود بالوفد الذى أحضرته ثم أعود

وصرخ الصاغ : اما أن تبقى أو تعتبر نفسك مستقيل . واعتبرت نفسى مستقيلا وخرجت وبالصدفة قابلت صديقي محمد نجيب الذي كان في طريقه الى مكتبه فسلمت عليه وقلت : مع السلامة أنا خلاص رفدوني من الخارجية ، فقال من الذي رفدك ؟ قلت : صلاح سالم فقال : ازاى ؟ هوه ده كلام ؟ تعال معاى . وتبعته الى مكتبه .

وكان مكتب صلاح سالم بالقرب من نجيب في قصر عابدين فاستدعاه اليه وحدثه بشأني وتصافينا وقبلني صلاح على رأسي مسامحا . وقال: « عد الى عملك وفقك الله » فسافرت الا انه استدعاني ببرقية في ديسمبر سنة ١٩٥٣ ووصلت القاهرة في فبراير من نفس السنة فأقالني .

وفي تلك الأيام بدأ الخلاف بين محمد نجيب وبقية أعضاء مجلس الثورة يطفو على السطح ولكنني لم آمن صلاح سالم ولم أثق فيه وفي ٢٤ فبراير ودعت نجيب ونويت السفر الى السودان والغريب ان هذه كانت أول رحلة لي بالقطار والباخرة لأرتاح قليلا وأصل الخرطوم يوم ٢٨ فبراير وأحضر افتتاح البرلمان السوداني في أول مارس ولكن في يوم ٢٥ منه وأنا في الشلال حملت الينا الجرائد استقالة محمد نجيب وخشت أن يكون الصاغ صلاح سالم متتبعا لأمري وصدق ظني حينما تقدمت بالباسبورت في الشلال فسألني الضابط : انت أحمد حسن مطر ؟ قلت نعم قال : معي أمر بالقبض عليك ووضعت تحت حراسة الأورطة وعدت بقطار المساء يحرسني اليوزباشي فتحي — وكان الضابط المرافق لي — وقد كان لطيفا معي للغاية وعندما وصلنا الى القاهرة رجوته أن يأخذني الى فندق سميراميس فلم يمانع وهناك اتصلت تليفونيا بعلي البرير وعمر عبد الباسط زياد وأحمد الطيب عبدون وأخبرتهم بنبأ القاء القبض علي وطلبت منهم عمل اللازم وأذكر انه في ذلك الوقت كان هناك وفد سوداني برئاسة خضر حمد يزور القاهرة — وبعد ثلاثة أيام من اعتقالي زارني عمر عبد الباسط وكان يحمل « كسره وملاح » بدعوى انني مريض لا أتناول غيرهما ومع طيات الكسرة كانت هناك ورقة صغيرة تقول : الفرج قريب .

وفي يوم ٢٧ فبراير عاد محمد نجيب الى الحكم مرة أخرى فأمر بالافراج عني ولكنه لم يطلق سراحي الا في يوم ٢٨ فأخذت طريقي الى السودان بالطائرة ولم أعد بعدها الى مصر .

بريد المهاجر

جولة بين الجوالي في اميركا

يقوم الصحفي احمد حسن مطر بجولة بين الجوالي اللبنانية والسورية في الديار الاميركية حيث يشاهد المهاجرين وابناءهم ومعالمهم واعمالهم ويتحدث عنها . وانه ينقل الى جريدة الهدى النيويوركية نتيجة مشاهداته وملاحظاته التي رغبنا ان ننشرها على التوالي ، في بريد المهاجر نظراً لما رأينا فيها من الفائدة .

اننا ننشر هذا « الريبورتاج » الطويل على مسؤولية صاحبه كنوع من الاخبار عن اخواننا المهاجرين .

ومهما يكن من امر ، فان هذا « الريبورتاج » الذي يتوقف اكثر مما يجب على الامور الخاصة قد توفق الى حد بعيد في نقل الحالة التي يعيش فيها اخواننا هناك .

واننا نترك الكلام لصحفي الجوالة :

في ولاية اوهايو

تقطن طوليدو جالية ضربت رقماً قياسياً في التقدم بين جوالينا ، وبها ستة موظفين بوسطة وواحد ساعي وخمسة كتبة اسرار في الحكومة العامة للولايات المتحدة وواحد رئيس قلم تحريري في البوليس ، وخمسة في المطافىء احدهم برتبة زعيم ، ومدير اكبر فندق هو بول فكابي واكبر تاجر خضر بها هو بربر فارس واكبر عمل [illegible]

بلادا . اما مستشار الجالية هناك فهو جورج افندي صباغ احد موظفي مصلحة البريد والمهتم بامر الجالية الادبي والثقافي فهو الخطيب والمدافع والمدبر والمدير ، له مركزه لا ينازعه به احد .

لحساب شيكاغو

شيكاغو هي ثاني مدن الولايات المتحدة وكان غرض جاليتنا هناك بيع سندات الحرب واصبح بعد ذلك تغرض بعد الانتهاء منه الى توطيد العلاقات بين العرب والاميركان ورفع مستوى ثقافتنا وتعريفهم عليها معاً . ورئيسها اليوم هو السيد امين ابو نموم واعضاء ادارتها هم السادة امين ابو زيد وجبران ابو نموم ووديع الصايغ وتوم نيمي وميشال طوبيا وداود [illegible] وبشاره حبيايب . هذا وقد امتد غرض الجمعية الى مساعدة الصليب الاحمر ومساعدة منكوبي الطوفان في سوريا ثم اشترت طائرة حربية [illegible] مدافع .

ومن اعضائها البارزين السيد حداد صاحب معامل عصير [illegible] وكان حضرته رئيساً للتحالف السوري اللبناني في الولايات الوسطى وهو [illegible] الغرعون لبنان . وقد قدم له الحلف ساعة ذهبية اعترافاً بفضله وجلائل اعماله

وان اعظم شخصية تعرفنا عليها [illegible]



y de profesión periodista
fotografía, impresión digital
Señas particulares visibles
Es argentino
Militar N.
Observaciones
Buenos Aires,
C. R.
TIFICADO DE RESERVISTA DE
Nº 19079
Este passaporte contém 20 paginas
PASSAPORTE
PASSEPORT
Republica dos Estados Unidos do Brasil
République des Etats-Unis du Brésil
Numero do passaporte
Numéro du passeport
Acompanhado de sua esposa
Accompagné de sa femme
Nacionalidade
Nationalité
RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
RÉCÉPISSÉ
DE DEMANDE DE CARTE D'IDENTITÉ

الفصل التاسع

كيف عدت الى السودان

لقد أتاحت الحرب الثانية الفرصة لى عن غير قصـــــد أن أعمـل الى جانب الديمقراطيات عندما أنشأت جريدة « النظام » فى سنتياجو (الشيلى) على أنقـاض جريدة الاصلاح التى كانت تنحو الى مناصرة النازية تحت ادارتها السابقة برئاسـة السيد أبو صباح الذى كنت أعمل معه فيها وكان من اثر تلك المعاونة الأدبيـــة ان وصلتنى عدة خطابات شكر وتقدير من سفراء الولايات المتحدة والمملكة المتحــدة الذين خدموا فى تلك البلاد ولكن لم أعمد من جانبى لاستغلالها لازالة الموانع التى تعترض عودتى الى بلادى .

ولكن حدث فى عام ١٩٤٧ وقد كنت صحفيا معتمدا لدى هيئة الأمم المتحــدة فى ليك سكس أن حضر الى نيويورك الوفدان السودانيان برئاسة السيد اسماعيل الأزهرى وعضوية ابراهيم المفتى والدرديرى أحمد اسماعيل وعمر الخليفة عبد الله وتوفيق البكرى عن جامعة الاتحاد مع مصر من جانب والسيد الصديق المهـــدى والاميرالاى عبد الله خليل والسيد الشنقيطى والسيد محمد أحمــد محجوب عن الجبهة الاستقلالية من جانب آخر .

وقد كانت فرصة عظيمة حقا أن أتقابل مع مواطنى من الســـودانيين فى امريكا بعد تلك المدة الطويلة وان أرى بعينى رأسي السودان ممثلا فى أشخـاص الوفدين ساعين لاسماع أصواتهم للعالم عن طريق هذه المؤسسة العالمية لا سيما وان السيد اسماعيل الأزهرى كان زميلا لى فى الدراسة الوسطى وقد كان لقاؤنا فى مطـــار « لاجوارديا » من أسعد ساعات حياتى كما سرنى أن يكون السودان قد وصل الى هذا المستوى من النضج السياسى وكان عهدى به رازحا تحت الحكم الثنائى فشعرت بزهو ما بعده زهو وكانت الحادثة من أهم الأسباب التى حملتنى على محاولة العودة للسودان وزاد حنينى الى الوطن فلم يعد يهدأ لى بال وبدأت أشعر بالغربة تخفق فى

جوانحي وزادني فى ذلك الحاج السيد محمد أحمد محجوب والسيد الصديق وما صوروه لى من مستقبل باهر ونجاح عظيم فى العودة .

فبدأت اتصالاتى أولا بالسير الكسندر كادوجان المندوب الدائم للمملكة المتحدة لدى هيئة الأمم المتحدة ولكنه قال لى : يا مطر انت تعلم ما أنا الا مندوب هنا وخير لك أن ترى المستر ديفز وزير المستعمرات البريطانى الذى كان موجودا فى ذلك الحين فى ليك سكس ولكن هذا بدوره قال لى : أنا وزير مستعمرات والسودان ليس مستعمرة بل ان بريطانيا وصية عليه ...

وبعد أن عرضت عليهما مشكلتى اعتذرا فى لباقة بأن موضوعى خارج عن دائرة اختصاصهما ولكنهما يعطفان على موضوعى اذا ما طلب منهما أن يقولا شيئا فى حقى من لندن . ثم حاولت عن طريق السيد الصديق المهدى الذى قابلنى بالقنصل العام البريطانى فى نيويورك وأظهر استعداده أن يوقع ضمانا كتابيا يتحمل المسئولية نيابة عنى اذا ما رفع القنصل العام هذا الموضوع الى لندن يطلب السماح لى العودة للسودان ولكن القنصل بدوره رفض التدخل لأن السودان لم يفوض بريطانيا باعطاء تأشيرات أو خلافه ولا يقع فى اختصاصه أيضا وهكذا أخفقت أولى المحاولات .

وفى عام ١٩٤٨ بانتقال هيئة الأمم المتحدة الى باريس حضرت لمتابعة عملى الصحفى وهناك تقابلت أيضا مع وفد من السودان منهم السادة على البرير وابراهيم المفتى وخضر عمر ويعقوب عثمان وأمين التوم وزين العابدين شريف فعملت معهم وقدمت لهم كل ما يحتاجونه من معونة أدبية فى دائرة عملى الصحفى بل اشتركت معهم فى اعداد بيان لهيئة الأمم المتحدة يطالبون فيه استفتاء السودان فى نوع الحكم وقد دعوتهم خارج باريس على بعد ٤٠ كيلو متر فى منزل صديق لبنانى لأهيىء الجو للمحادثات .

ووصل باريس المستر هكتور ماكنيل وزير الدولة البريطانى رئيسا للوفد البريطانى فى هيئة الأمم المتحدة وجددت المحاولة مع أصدقائى الصحفيين بعد عقد مؤتمر معهم وهم السادة توم لتل مدير وكالة الأنباء العربية الآن والذى يرجع اليه الفضل الأكبر فى عودتى الى السودان وعابد بو حافه وفراى مندوب رويتر وعمر متز مندوب جريدة

الساينس مونيتور وعيسى القرشي مندوب جريدة الجورنال الامريكان وخمسة عشر صحفيا آخرين وقر الرأى على مقابلة المستر هاكتور ماكنيل فحاصرناه فى احدى غرف سراى شايو وقد قام بالحديث نيابة عنا جميعا توم لتل وبعد أن فكر المستر هيكتور ماكنيل قليلا نادى المستر مورجان قنصل انكلترا فى دمشق والملحق بوفد المملكة المتحدة لهيئة الأمم فى ذلك الوقت ، وقال له « شوف من فضلك ان المستر مطر يرجع الى السودان » وهنا دوى التصفيق الحاد مع الشكر الجزيل وسرنا الى مكتب مستر مورجان وقام توم لتل بكتابة المذكرة نيابة عن الصحفيين والطلب نيابة عنى وسلمها للمستر مورجان . وبعد ثمانية أيام وصلنى خطاب من المستر ميل وكيل

صورة المذكرة التى قدمها توم لتل ووقعها الصحفيون الاصدقاء

مذكرة عن أحمد حسن مطر :

أود أن ألفت انتباه السلطة البريطانية مرة أخرى الى قضية أحمد حسن مطر السودانى الأصل ويحمل الآن الجنسية البرازيلية والذى قد أبعد من السودان لفترة تربو على الثلاث والعشرين عاما وذلك بسبب نشاطه الوطنى الذى أقحم فيه نفسه أيام شبابه .

وليس هناك أدنى شك من انه فى فترة ما أصبح هناك اعتقاد سائد بأن للسيد مطر ضلعا فى حادث مقتل السردار سيرلى استاك . وتبعا لهذا فقد قصد مطر الى موسكو حيث تحوم حوله شبهات الدوائر الرسمية بميوله الشيوعية . وعلى العموم فقد مضى أكثر من ربع قرن منذ أقلع عن النشاط الوطنى وأكثر من عشرين عاما منذ ذهابه الى موسكو . ولعل قمة ما وصل اليه نشاط مطر السياسى كان خلال الخمس وعشرين عاما التى قضاها متجولا فى أنحاء العالم ــ ولقد طاف مطر من الصين شرقا الى امريكا الجنوبية غربا . وفى تلك الأخيرة قضى الجزء الأكبر من سنى حياته فى المنفى ــ وهناك كون صلات حميدة مع السلطات البريطانية وحصل على شهادات الكثيرين منهم نظرا لما كان يقوم به من خير دعاية لصالح بريطانيا . وليس هناك شك فى انه كان يحاول بكل ما أوتى من نشاط لكسب صداقة البريطانيين ولكن هذه فى حد ذاتها تشير الى مدى التغير الذى طرأ على مطر منذ ذهابه لموسكو .

وحقيقة الأمر فان مطر يسعى الآن للبعد عن أى معتقدات سياسيةقوية عدا تلك التى تعبر عن رغبته فى الابتعاد عن المتاعب • وهــو يرغب فى أن يفرض التزاما على نفسه يمنعه من المشاركة فى الحياة السياسية فى المستقبل • ولما كان برازيلى الجنسية فليس هناك أى دواعى أو سبب معقول لمنعه من العودة للسودان بتأشيرةدخول يعتمد تجديدها على سلوكه الحسن •

ويعطى السيد مطر سببين لقلقه ولهفته للعودة للسودان فأولا تقــــدم السن بوالدته والتى هى بسبيل فقدان بصرها وعما قريب قد يتعذر عليها رؤيته بتاتا (ولقد توفى والده حديثا) • والسبب الآخر هو رغبته فى اصدار كتاب عن رحــلاته • ولم يسبق لأى فرد من أى قرية فى السودان ان قام بطواف مثلما قام به مطر • ويعتمــد مطر وكل أمله يتعلق فى عودته للسودان لاصدار هذا الكتاب • وهو يذكر بأن احدى نتائج رحلاته هذه انه اقتنع بأن نظام الحكم فى بريطانيا لهو أحسن من أى نظام آخر فى دولة استعمارية •

وعلى العموم فان ابتعاد مطر المستمر من السودان لهو أســوأ دعاية للسياسة البريطانية فى السودان فمطر صحفى يعتمد فى عيشه على حضوره للمؤتمرات الكبرى كدورات هيئة الأمم المتحدة • ورغم ميله الى حزب الأمة فان الأشقاء يجدون فيــه خير من يشيرون اليه لأى صحفى يعمل ضد السياسة البريطانية وذلك كرجل لا يزال مبعدا من السودان رغم مرور ثلاث وعشرين عاما دون محاكمته •

صورة الطلب الذى قدمه توم لتل بتوقيعى

باريس فى ٨ نوفمبر ١٩٤٨

السيد مستشار الشئون الافريقية

لنــدن

سيدى العزيز

أكتب الى سيادتكم والأمل يحدونى الى أن تتكرموا بمساعدتى لوضع حــد للحياة الشاقة التى أعانى منها بسبب ما اقترفته أثناء شبابى • وسبب ارسالى هــذا

الخطاب فى هذا الوقت هو ما علمته من القنصل العـام بباريس • حيث أعيش الآن مؤقتا للقيام ببعض اعمال الصحافة ـ علمت من هذا القنصل بأنه من المتعذر الحصول ولو على تأشيرة دخول للندن ـ ولكن لو تعلمون سيادتكم بأن الغرض الوحيـــد لحصولى على هذه التأشيرة هو أن أعرض عليكم قضيتى فأنكم ستجدون بأننى لم أنل فقط العقاب الكافى ولكن ستجدون أيضا بأننى لست ذلك الرجل الذى يستحق أن يبعد عن وطنه •

وأنا الآن مواطن برازيلى وليس هذا بسبب عدم رجوعى للسودان منذ أربع وعشرين عاما • ولكنى أبعدت من السودان لأسباب تشير اليها سجلاتكم وأعلم بأن هذه التقارير بها الكثير من المبالغة وعلى العموم فانه منـــذ زمن طويل وأنا أسعى للابتعاد عن محيط السياسة ـ وما أتمناه الآن هو العودة لوطنى • فمنـــذ ربع قرن وحيث كنت هنالك توفى والدى وفقدت والدتى بصرها تقريبا وانه ليصعب على الآن أن أتعرف على أحد من أقاربى •لهذا كله أرجو سيادتكم بالسماح لى بالعودة لوطنى

سيدى ، اذا لم يكن خطابى هذا مقنعا ، أرجو التفضل بالسماح لى بالحضور الى لندن لأعرض مسألتى ولأوقع على اقرار منى فاللاجئون السياسيون من كل أنحاء العالم قد وجدوا ملجأ فى لندن حيث وجد المجرمون واللصوص حماية طالمـا كانت العدالة تنشد ذلك • وأنا لست مجرما سواء من الناحية السياسية أو الاخلاقية ولا أبغى مقاما فى لندن • ولكن أسعى فقط للسماح لى بالحضور طرفكم وعندما أقول ما أود ذكره وحصولى على الاجابة من سيادتكم فلكم الحق فى ابعادى من انجلترا مرة أخرى اذا كانت هذه رغبتكم •

وانى أتقـدم بطلبى هذا لأنى أعتقد بأنكم عنـد رؤيتى فان الأمور ستتضح لسيادتكم وتجدوننى تماما مختلفا عن ذلك الرجل الذى سجلته تقاريركم ـ واذا كان لديكم أدنى شك فى هذا أرجو من سيادتكم الرجوع لهذه الشهادات التى أرفقها مع خطابى هذا وهى من بعض موظفيكم الرسميين بالخارج ـ وأرجو يا سيدى أن تعلم مقدار الذنب الذى يرتكب فى حق مجرم فى بريطانيا ويبعد عن وطنه وعن أهـــله

وعشيرته لفترة تزيد عن العشرين عاما . ان عقوبتي لعظيمة اذا لم يخطر ببالكم التفكير ولو القليل فى قضيتي هذه فيحكم علي بالعيش طوال عمري فى المنفى ــ وهل يا ترى تتكر الشعب البريطاني لمبادىء السماح لأحد الا سواي وهل يتنكر الانسان لهذه المبادىء للابد ؟

انني أطلب من سيادتكم السماح لي بالحضور الى لندن ومن ثم أرجو ياسيدي أن تأذنوا لي بالذهاب الى السودان .

المخلص

وبعد ثمانية أيام وصلني خطاب من المستر ميال وكيل حكومة السودان فى لندن يقول فيه انه بناء على توصية وفد المملكة المتحدة الموجود فى باريس قد سمحنا لك بدخولك السودان لمدة أربعة عشر يوما قابلة للتجديد وطلب مني أن أرسل جواز سفري للتأشير عليه أو أحضر الى لندن فكانت مفاجأة سارة للغاية واحتفلنا وزملائي لها احتفالا صاخبا وبعد أيام تقدمت الى القنصل الانكليزي فى باريس لعمل تأشيرة الى لندن بعد أن أطلعته على خطاب وكيل حكومة السودان فى لندن ورغم اقتناعه بهذه الوثيقة الا أنه رفض التأشيرة لدخولي لندن لأن الخطاب يتعلق بمسائل خاصة ببلاد أخرى وعليه فقد اعتزمت أن أحضر للسودان معتمدا على الخطاب دون الحصول على تأشيرة على الجواز .

عودة الغائب

وبانتهاء دورة هيئة الأمم المتحدة فى ديسمبر ١٩٤٨ سافرت من باريس الى داكار فى السنغال الفرنسي فى مهمة جريدة الهدى النيويوركية التى أشرنا اليها فى فصل سابق ومنها الى ساحل الذهب ونيجريا ولما لم تكن هناك مواصلات جوية بين نيجريا والسودان فقد صدف أن وجدت فى لاغوس استعدادا لتسيير خط جوي يربط بين غرب أفريقيا والسودان وكانت أول رحلة تجريبية يقوم بها مدير شركة الطيران وكبار ضباط الشركة ولا يؤخذ بها ركاب ولكن بناء على توصية من السير JohnMcpherson

مكفرسون حاكم عام نيجريا قبلت فى هذه الرحلة بدون مقابل الى الخرطوم وهكذا ساعدتني الظروف فى مسعاي للدخول وفى مسائل النقل لاتمام رحلتي الى السودان

ووصلنا الجنينة أول بقعة من الوطن العزيز تطأها قدمي بعد غياب طويل وقضينا هناك يوما وباقي يوم وكنت فى لهف يطغى على شعور من الحنين الجارف وتهتاج نفسي لرؤية كل ما هو سوداني وواصلنا الرحلة حتى الخرطوم وكان ذلك في ٤ فبراير سنة ١٩٤٩ ونزلت من الطائرة وأنا لا أكاد أصدق عيني وأصابتني قشعريرة واهتزت أطراف واغرورقت عيني بالدموع .

ويرى القارىء من هذا كم كنت مشغوفا بالعودة للسودان ومشتاقا لأهلي وذوي كما يتضح أن كل الصلات والعلاقات التي بينتها كانت تمهيدا لتسهيل العودة لهذا الوطن المحبوب وكم يؤسفني اليوم بعد عودتي أن يقول بعضهم ــ ما لسبب الا لعرقلة ترقيتي : « من يعلم مطر كان بيعمل ايه فى السنين ديه كلها وده راجل مش ممكن يعتمد عليه لأنه تأمرك وفقد الوطنية وزيادة على ذلك فقد كبر سنه ولا يمكن أن يهدأ ويستقر أو يعمل فى الحكومة » ولكن الحمد لله برهنت عمليا ما كنت أعمله وركنت الى الاستقرار فى خدمة الحكومة منذ سنة ١٩٥٥ .

وفى المطار كان على بعد يقف الفقيد عبد المنعم مدحت ضابط المطار ومعه آخرون وقال عبدالمنعم أليس هذا مطر فرد أحدهم عليه قائلا : يا أخي وين مطر ده فى أمريكا ليه كام سنة . وعندما وصلت الى ضابط الجوازات وأخرجت جوازى لم يكن به تأشيرة الدخول فأخرجت خطاب التصديق بالدخول وقدمته لهم وقرأوا عليه اسمي فسلموا على بحرارة ولم يصدقوا عيونهم واتصل ضابط الجوازات بالسيد طاهر فريد وطلب منه الاذن لي بالدخول فأمر بدخولي وأخذت طريقي الى الفندق الكبير • أثناء اقامتي بالفندق استغرب الناس من هذا الامريكي الغريب الذى يتكلم عربي مكسر وكنت أصرف ببذخ شديد والاطف الجميع • واتصلت بالسيد الصديق المهدى وطلب مني أن أنزل عندهم وألح علي وجاء شخصيا وأخذني الى الدائرة • وفى اليوم التالي وصل أهلي من مدني وجاءوا الى الفندق وعندما لم يجدوني جاءوا الى فى الدائرة ونزلوا معي وأقاموا مدة طويلة وكان السيد الصديق يقيم لهم الولائم ويكرمهم كعادته دائما.
وذهبنا الى مدني وأقمت مع أهلي وكانت العادات والتقاليد السودانية جديدة على ولم أستطع التعود عليها الا بعد حين ورجعت الى الخرطوم وأنا سعيد برؤية بلدى



تلاميذ مدرسة واد مدني في سنة ١٩٤٩

ثم أشار على أهلي بزيارة محام شهير فزرته وقابلني بابتهاج وسرور وأهداني كتابا ألفه اسمه « كفاح جيل » وقد أشار فيه بأني ذهبت الى البرازيل . ذلك هو السيد أحمد خير وزير الخارجية اليوم .

وأهلي ولكن كان على أن أعود الى امريكا لأتم بقية أعمالي . ولكن واجهتني مشكلة وهي انني صرفت كل ما كان في يدي ولم يكن معي حتى أجرة الطائرة فلجأت الى أصدقائي واقترضت منهم مبلغا يكفي أجرة السفر الى السودان الفرنسي حيث يمكنني من هناك أن أطلب تحويل مبلغ من حسابي في باريس .

يدهشني أن الكثيرين من مواطني يقولون اليوم «مطر دائما يذهب الى الفندق الكبير » ولكن القارىء قد يعذرني اذا علم اني دخلت هذا الفندق وكنت أدخله قبل أن يطأه أي سوداني فلا عجب اذا داومت حتى اليوم على ارتياده ...

قوم سلم

في المرة الأولى كان الناس يؤمون بيتنا زرافات زرافات وكان الحاج يوسف عثمان نقد نسيبي يقول « قوم سلم » ولما رأيت المسألة طالت ولم أجد وقتا للراحة سألته : الحكاية ايه فقالت النساء : «اجي ماجو يباركو ليك العودة بالسلامة» وطبعا لم يكن لي عهد بمثل هذه المجاملات فكنت أتعب ثم أدخل لكي أستريح وكانوا يقولون للمباركين انه نايم الى أن هربت من واد مدني من كثرة الزوار وعدت للخرطوم .

لم أكد أعود للخرطوم حتى شرعت في مواصلة رحلاتي من جديد . وكما يلاحظ القارىء من قائمة سفرياتي فقد دخلت السودان لأول مرة في الرابع من فبراير عام ١٩٤٩ وغادرته في ٢٥ فبراير ميمما صوب جنوب افريقيا

ثم قمت برحلة طفت خلالها البلاد العربية كمراسل لصحف البرازيل في الفترة الواقعة بين ١١ مارس ١٩٤٩ و ١٨ ابريل . ثم زرت غرب افريقيا للمرة الثانية في حوالي ٣٠ ابريل ١٩٤٩ ثم الى باريس ولندن ونيويورك التي وصلتها في ١٦ اكتوبر عام ١٩٤٩

وهناك أكملت طبع كتابي دليل العرب في غرب افريقيا وقفلت راجعا الى باريس بعد أن فرغت من حضور جلسات هيئة الأمم المتحدة .

وعظت الدين باللغة الانجليزية

ثم سافرت لغرب افريقيا لكي أتفرغ لتوزيع كتابي . ومن طريف ما أذكره في هذه الحقبة ان لفيفا من علماء الدين في لاغوس طلبوا مني أن أحاضرهم عن ظهور هلال رمضان المبارك فلم أجد بدا من أن أقف خطيبا بينهم أتحدث عن ظهور الهلال وفضائل الصوم وأركانه باللغة الانجليزية .

وقد لاقت محاضرتي نجاحا وترحيبا بالغا فأقبلوا نحوي شاكرين مقدرين وألح بعضهم على تقبيل يدي ودعاني الحاكم العام لتناول الشاي على مائدته وشكرني لأني ـ حسبما قال ـ قد أنقذتهم من مشكلة تعسر عليهم حلها . وقد أخذنا صورة

م ـ ١٣ ـ مذكرات

تذكارية مع كبار علماء الدين نشرتها فى كتابى ولكن مع الأسف ليس عندي من نسخه لأنشرها انما قد رآها الكثيرون فى الخرطوم •

أساطير ••• !!

وبدأت أنعم بالاستقرار فى السـودان حتى كثر معـارفى وأخذ المـارة يحيونى فى الطرقات وأرد التحية بأحسن منها دون أن أميز شخصياتهم. وكثيرا مايقبل على بعضهم ويقصون على تاريخا يرجع الى ثلاثين عاما مضت بأنهم كانوا زملائى فى البوسطة أو فى شركة خزان مكوار عندما شردت • وكل هؤلاء وأولئك فى مستوى عمرى أى يناهزون الخمسين ••

وهناك جيل أقل منهم سنا يروون لى بأنهم كانوا صغارا ايفاعا فى المدرسة عندما كانوا يسمعون ان مطرا قد سافر الى امريكا ويقرأون أنبائى فى الجرائد فكان كل ذلك يتمثل لهم كأعمال السحر أو الأساطير • وهم فى ذلك محقون لأن السفر فى ذلك الوقت الى أوروبا كان عملا خارقا للعادة ••• بله السفر الى امريكا ••• والى جنوبها ••• لقد كان ذلك يومذاك جنونا ومغامرة كبرى ••• واليوم أفخر بأنى أول سائح سودانى بحق وحقيق ، بل ومن أعظم سواح العالم •

أقاربى بشر أشكال وألوان ومن مختلف الاحجام

وبارحت السودان فى يوم ٢٥ فبراير ١٩٥٥ بعد أن أمضيت احـدى عشر يوما متنقلا بين الخرطوم وواد مدنى ولقد وجدت من الأحياء بين أهلى والدتى وشقيقى زين العابدين وبعض أبناء عمى وخالى • اما الباقون فقد وسعتهم رحمة الله

والغريب انى وجدت أشقاء لى جدد بعضهم متزوج وله أولاد واكتشفت شبكه عائلة تمت لى بأواصر القربى لم أعرف واحدا منهم • فقدمونى اليهم فردا فردا ••• واتضح ان هذا أخى وتلك أختى زوجة فلان ••• وتعرفت على فلان هذا وفلان ذاك فقدموا لى أنجالهم وهم خليط من الألوان والأعمار • واضطررت أن أحمـل بين ذراعى تشكيلة منهم من اللون الأصفر والبرتقالى والشيكولاتى والأزرق الغامق الذى يكاد أن يكون جنوبيا قحا •••

وكل هؤلاء بعد أن اتضح انهم أهلي وأقاربي لهم مطالب لا يمكن أن يحققهـا سواى •• فمنهم من يريد اكمال دراسته •• ومنهم من ينوى الزواج •• ومنهم من تود أن تقوم بختان أنجالها •• وهكذا وجدت نفسي فى مشاكل متعددة لا حصر لها •

ثم جربت أن أبحث عن عمــل رابح أجني منه ما يوازى ما كنت أربحه من محاضراتي وكتبي فى امريكا اللاتينية وغيرها أي ما يعادل ٥٠٠ جنيها شهريا •••فقيل لى ••• انك مجنون •• فهذا مرتب الحاكم العام !!

ولهذا تركت السودان لأقوم بمشروع محاضرات جديدة وكتاب جديد ووجهتى جنوب افريقيا •

نصف مليون ميل

بلغ عدد الأميال التى قطعتها بعد حساب دقيق ما يزيد على نصف مليون ميــل ويعتبر هذا رقم قياسي قطعه شخص ، باستثناء أشهر ملاحي الطائرات •

محطات مرور للراحة من وعثاء السفر

ثم عرجت على ليوبولد فيل مرة ثانية محاولا دخول جنوب افريقيا فموزمبيق وعدت للخرطوم فى ١٨ ابريل ١٩٥٠ وغادرتها الى مصر فباريس ونيويورك وواشنطون وعدت أدراجى الى بروكسل وباريس ووصلت الخرطوم للمرة الثانيــة فى ٥ يوليو عام ١٩٥٠

والجدير بالذكر ان باريس ولندن وروما لم تكن لى الا محطات مرور أستريح فيها من عناء العمل ووعثاء السفر •

رحلة حول العالم للترفيه عن النفس

ثم زرت اثيوبيا فى ٢٩ سبتمبر ١٩٥٠ كما يتضح من قائمة الرحلات الذى تظهر فيه جليا أسماء البلدان وتواريخ زياراتى ومن الغريب حقا أن يلاحظ القارىء تعدد عوداتى للخرطوم التى بلغت أكثر من سبع مرات مابين٤ فبراير ١٩٤٩ و ١٧ ديسمبر عام ١٩٥١

وأذكر انى عدت اليها رأســا من بونس أيرس مابين ١٥ مارس ١٩٥١ وأول مارس ١٩٥٤ نحو ست مرات وهى الفترة التى قضيتها موظفا بالســفارة المصرية بالأرجنتين •

وتقف قائمة الرحلات لغاية ١٢ ديسمبر ١٩٥١ اذ لم أعد أهتم بتسجيل رحلاتي بعد ذلك التاريخ ولو عنيت حقا برصدها لبلغتماينوف عن المائة رحلة • وعلى رغم كثرة الرحلات يؤسفني أن كتب أحدهم للجمارك من جدة يقول « كثرت رحلات مطر واني أشتبه انه يهرب أموالا بفضل حصانته الدبلوماسية » فاهمس في أذن هـــذا قائلا « اني أسافر قبل أن تولد » وليس لدى حصانة دبلوماسية كسوداني في بلدي.

اما رحلتي حول العالم فقد كانت للترفيه •

السودانيون في الخارج

ولما مررت بلندن لأول مرة سررت جدا عندما التقيت فيها بعدد كبـــير من



السيد أحمد الطيب عبدون وصديق وصديقة في باريس

السودانيين وكنت أحس بالزهو وتنتابني العزة القومية كلما وجدت نفسي بينهم •

وكان يسعدني أن أدفع عنهم مصاريفهم اذا تواجدنا في أي مـــكان عام وأذكر ذات مرة ان دخلت مطعما وجدت فيه واحدا وعشرين سودانيا فسارعت بدفع حسابهم كلهم وخرجت راضي النفس قرير العين

كما كنت أحرص على اسداء النصح والارشاد للكثيرين منهم وتوطدت عرى الصداقة بيني وبين عدد غير قليل ممن التقيت بهم في الخارج • ومن بينهم الصديق



الممثل الامريكى المعروف مكى رونى يحمل نجل عبد الله عباس
ووقف والده يبتسم

مأمون بحيرى الذى كان قد استشارنى فى أمر ما وكنا سويا فى السـودان فعمل بنصيحتى ونجح مسعاه نجاحا باهرا وهو لا زال يذكرنى بهذه النصيحة ويناديني يا « عم مطر » شكرا على نصيحتك مما يسعدنى ويدعونى للفخر بالصديق مأمون وبأمثاله من الشباب الناهض المثابر الذى حقق آماله ٠

محاضرتى ألتى أصبحت مثلا

وكان المشرف على البعثات الأستاذ نصر الحاج قد كلفنى ذات يوم أن أخصص جانبا من وقتى لأحاضر الطلبة عن طرف من رحلاتى ومشـاهداتى ولم يدر بخلدى أنهم كانوا يريدون أن يسمعوا شيئا عن الطب والفلك والفقه ٠ فقصصت عليهم بعض فكاهاتى فاندهشوا وأخذ الطلبة ينظرون لى بعيون واسعة مليئة بالحيرة ٠ اما نصر فقد لاحظت ان لونه قد تغير كأنما الدم قد هرب من وجهه وبانت عليه علامات الذهول كأن لسان حاله يقول لى : لا ياشيخ !!

فتوقفت عن الحديث والتفت اليه قائلا Allright وغيرت مجـرى حديثى ٠

ولكن هذه الواقعة لم تنته عند هذا الحد ٠ فقد تناقلتهـا الألسنة وشوهتها وسموا الحديث محاضرة وأخذوا يضربون الأمثال بمحاضرة مطر الامريكانى ٠

عمر الخيام فى هوليوود

والتقيت فى لوس انجلوس بالشاب عبد الله عباس الذى فقد والده فى احدى اصطدامات العراق القبلية بعد الحرب العالمية الأولى . وكان قد تبناه امريكانى وهو يعمل اليوم مدلكا لأشهر الممثلين والممثلات فى هوليوود ويتخصص فى التدليك لشركة ريببلك بيكتشرز السينمائية وله قصر فخم فى مصانع السينما أطلق عليه «عمر الخيام»



المدلك عبد الله عباس يدلك جيم ستوارت

٢١٦٠٠٠ دولار عشت بها فى خلال ثلاثين عاما

اما مصاريف الاقامة وما يتبع ذلك من مأكل ومشرب وملابس فان متوسطها يمكن تقديره بعشرين دولار فى اليوم على الأقل فى زمن الرخاء الى زمننا هذا وهو زمن الغلاء الفاحش أى ٦٠٠ دولارا فى الشهر أى ٧٢٠٠ دولارا فى السنة أى ٢١٦٠٠٠ دولارا فى ثلاثين عاما تغربت فيها عن بلادى .



كاى وبد من اجمل ممثلات هوليود وقفت بين المغنى الشهير بوب كروسبى والدكتور نقولا بيطار فى منزل عبد الله عباس

٤٥٦٠٠ر دولار صرفتها على هواية السياحة

بلغت تكاليف سفرى منذ تركت السودان ٤٥٦٠٠ر دولارا وذلك على حساب متوسط قيمة خمسة رحلات • فاذا قدرنا ان الرحلة تتكلف ٢٠٠ دولار والثانية ١٠٠ والثالثة ٥٠ والرابعة ٢٠ والخامسة ١٠ فان مجموع قيمة الرحـلات الخمس يصبح ٣٨٠ دولار أى ان متوسط قيمة الرحلة الواحدة ٧٦ دولارا

فاذا ضربنا هذا الرقم فى ٦٠٠ رحلة لبلغت جملة الرحلات ٤٥٦٠٠ر دولارا مع العلم ان عدد الرحلات الغير مسجلة جاوز المائة ولم تحسب

جنوب افريقيا

فى عام ١٩٤٩ غادرت السودان فى رحلة الى جنوب افريقيا وفى مطـار نيروبى بكينيا حاولت دخول البلد حتى يحين موعد الطائرة ، ولكن ضابط التأشيرة عاد بعد دقائق وأخبرنى ان اسمى فى « القائمة السوداء » ولذلك فأنا ممنوع من دخول كينيا

وجلست فى المطار حتى قيام الطائرة التى أخذتنا الى جنوب افريقيا مقصدى • ولكن هناك منعت أيضا من دخول البلد مع أنى أحمل تأشـيرة ، واضطررت للرجوع الى السودان فى نفس الطائرة ، ولما طالبونى بقيمة تذكرة الرجوع رفضت الدفع لأنى غير مسئول عن رجوعى الاضطرارى ، فاضطروا لدفع التذكرة •

وفى عام ١٩٥٠ تمكنت من دخول «جوهانسبرج» ولكن « اللوكاندة » التى قصدتها امتنعت ادارتها عن قبولى نزيلا بها لأننى « ملون » ••• وتذكرت أننى أحمل بطاقتين لشخصين من أعضاء وفد افريقيا فى هيئة الأمم المتحدة ، فأتصلت بهم تلفونيا، فأخبرونى أنهم على بعد ٤٥ دقيقة بالسيارة من المكان الذى اتصلت فيه بهم

وجاءا بعد مدة وقابلانى بالترحاب ، وكان مـدير اللوكاندة ، يرقب هـــذه الحفاوة البالغة وعلى وجهه سيماء الدهشة والاستغراب ••• وخطا الرجلان الى المدير ثم أخذاه جانبا وتحدثا معه ، فخصص لى الرجل حجرة محترمة فى فندقه « قايقون »

وفى ظهيرة اليوم التالى سمعت طرقات متوالية على باب حجرتى دخل بعدها ضابط المهاجرة الذى طردنى فى المرة السابقة •• فسألته :
ما الخبر ••• ؟

فقال : تعال معى الى مكتب المهاجرة •• وهناك قابلت الرئيس الذى أعطانى « الفورم » الذى ملأته بالأمس وأنا أدخل المدينة ، وقال لى انك لم تجاوب على سؤال واحد هنا أرجو أن تجيب عليه الآن •

وكان السؤال : هل طردت أو نفيت أو رفض قبولك فى جنوب افريقيا ؟
وأجبت على السؤال المكتوب :
نعم رفض قبولى فى جنوب افريقيا لخطأ من ضابط المهاجرة •
فضحك الرجل وهو يقرأ الاجابة وقال «يمكنك أن تبقى ماشئت» ••• وبقيت

السودان القديم

أن السودان كقطر زراعي يعتمد سكانه فى غذائهم الأساسى على الذرة التى بدورها يتوقف انتاجها على الأمطار • وعلى نسبة هطول هذه الأمطار من الكثرة والقلة فى المناطق المختلفة يتوقف رخاء أو جدب المعيشة وقد لا تكون قلة الأمطار جدبا بل مجاعة يشترك فيها الانسان والحيوان وأذكر قبل رحيلى الى الخارج اكتوينا بشرور هذه المجاعات كالتى حدثت فى عام ١٩١٤ أى بعد اندلاع الحرب الكبرى الأولى فقد حدث أن شحت السماء فمات الزرع ويبس الضرع فعملت الحكومة على استجلاب الذرة من الهند لانقاذ البلاد ورغم اننا كنا صغارا ولكننا كنا نرى أفواجا من الأهالى القادمين من نواحي ود مدني تكاد لا تحملهم أرجلهم من الجوع يجوسون خلال السوق على غير وعي وكأنهم سكارى وما هم بسكارى ولكن خلو البطون التى تحمل الأرجل هى المسئولة وقد فتكت هذه المجاعة بالكثيرين من السكان الذين لم يجدوا طريقهم الى المدن وقد شاهدنا أناسا كثيرين فى السوق من هؤلاء النازحين من الخارج يقتاتون بالكسب المستخرج من معاصر الزيت وهو كالحجارة أو أشد قسوة

وهو مالا تحتمله معدة بشر وكثيرا ما كان سببا أفضى الى الموت فى بعض الحالات ــ كما تحضرنى مجاعة أخرى عقب انتهاء الحرب وفى عام ١٩١٩ بالذات وكنا فى الخرطوم وكانت الحكومة قد استجلبت أيضا كميات كبيرة من الذرة تبيعها للاهالى فى أماكن متفرقة فى المدينة كانت تجمع حولها النسوة والصبيان والرجال كأنهم فى يوم الحشر للحصول على ما يقيم أودهم ويحتملون فى سبيل ذلك ضرب سياط البوليس المكلف بحفظ النظام أثناء صرف الذرة فكانت مناظر تتفتت لها القلوب وتتفطر لها الأفئدة •

اما عدا هذين السنتين كان الرخاء عاما وتكاليف المعيشة منخفضة بدرجة لا تقدر فيكفى للرجل أن يشترى جلبابا من الدمورية لا تكلفه سبعة قروش ومن الدبلان ليس أكثر من خمسة عشر قرشا ومن أجود أنواع الدبلان أو التيل أو أن ينتعل بخمسة قروش ــ اما كماليات السكر والشاى فقد كان رأس السكر ويزن ٣ ١/٢ ــ ٣ ٣/٤ رطل يباع بثلاث قروش اما المواد الغذائية فيكفى العائلة المتوسطة لطبختها اليومية من الخضار ما بين ٢ ــ ٥ مليمات ربما دخلتها السلطة • وأقة اللحم الضانى ٢٥ مليما والبقرى ١٥ مليما ــ والدجاجة بقرش وجوز الحمام بقرش ورطل المسلى بخمسة عشر مليما وهكذا • وعلى ذلك أترك تقدير الفارق بين تلك الأيام فى سوداننا القديم وبين ماهى عليه الحالة الآن وأترك القارىء المحترم ليقارن ويوازن أى نعيم كنا نحن فيه اما الآن فقد وجدت بالسودان رغم اعتماده على الذرة التى تنتجها الأمطار الكثيرة من الوسائل الأخرى ما يكفل زراعة الذرة لاستهلاك على الأقل بعض السكان دون وسيلة الأمطار ــ كما ان سكان المدن قد أخذوا بأساليب الحياة المتحضرة فصاروا يستبدلون القمح بالذرة أو الدقيق المستورد كعوض عن الذرة وبذلك تتوفر الذرة لمن لا يزالون يعتمدون عليها ــ كما ان الماشية وهى جزء من ثروة البلاد أمنت الانقراض عن طريق الجدب وقلة المرعى بوجود مساحات كثيرة فى المشاريع الزراعية تزرع ذرة وأنواع من الحبوب كالفاصوليا والفول وغيرها ويمكن الاعتماد عليها فى ايجاد العلف للحيوان فى مناطق المرعى •

اما عن المنسوجات والملبوسات فرغم ارتفاع مستوى أسعارها بنسبة كبيرة جدا عن ذى قبل فيمكن الاستعاضة عن استيرادها باقامة مصانع للغزل والنسيج هنا لتنتج

على الأقل خاصة الأقمشة الشعبية لتصبح فى ميسور سواد السكان ليختفى تماما « الثوب الذى يلبسه الرجل ويعطل من حركته لعدم ملاءمته للعمل » •

اما الملبوسات التقليدية التى كانت سائدة فى سوداننا القديم كاستعمال «الرهط» الفتيات فقد اختفى تماما وقد كانت الفتاة لا تفارقه الا عندما تتزوج وحتى ذلك الوقت لا بد له من ملازمتها حتى بعد انقضاء أيام الزواج الأولى حتى تستعيض عنه « بالقرقاب » الذى يرمز الى انها أصبحت امرأة وهو عبارة عن قطعة من القماش لا تقل عن ٣ ـ ٤ أمتار تلفها المرأة حول وسطها الى قدميها كلف المومياء ويشل من حركتها فى مشيها أو مما كانوا يسمونها « التنورية » وهى تشابه « القرقاب » ولكنها محاطة حول الخصر تلبس دائما كالسراويل بدلا من « القرقاب » الذى يلف دائما ومن وقت لآخر وكانت الفتيات فى زمننا يلبسن الرهط فقط ولا شىء «فوقه أو تحته» الى أن تبلغ الرابعة عشر فتعمل على ستر نصفها الأعلى وبلفة أخرى لم تبلغ درجة « الثوب » كما ان الحفاء كان متفشيا فى الصغار أولادا وبناتا • والبنت الى أن تبلغ مرحلة الزواج لا تفكر فى أن « تنتعل » ـ اما الصبية ـ غير المتزيين بزى خاص كتلامذة المدارس يبقون كذلك الى ماشاء الله ـ اما عن لبس الشبان فلا يفكر فيه الى بعد السن السابعة على الأقل وبعدها يلبس « الثوب » وخصوصا فى الأرياف اما فى المدن فيلبس « جلبابا » اذا كان من بين متوسطى الحال عائليا والا فعريانا تماما وقد تغير الحال الآن وأصبحنا لا نرى هذه المناظر الا لماما فى بعض المناطق المتخلفة ـ اما العادات القديمة التى كانت تلازم الأفراح فقد تغيرت أيضا فى بعض الأماكن وخصوصا المدن وقد اختفت عادة الضرب «بالسوط» فى الأعراس أثناء « السيرة » وتجريح الأيدى بالسكين ليقطر منها الدم فوق الدلوكة « وصاحبة الدلوكة » وان يجعل البنات من العريس « مسخة » لدعابتهن طيلة الأسبوع الأول وان يلبسوه الخرز فى عنقه ويعصبون رأسه بمنديل بعد أن يثقلن « رأسه » « بالضريرة » ويربطن على يديه حزمة من خيوط الحرير الأحمر ويلبسونه سوار امرأة تتكحل عينيه صباحا ومساء اينما سار ولا يسمح له أن ينقص هذا « الطاقم » الذى يلبسه ويحمله الا بعد الأسبوع الأول كما يدهن جسمه فى الصباح والمساء أيضا فما ان ينقضى الأسبوع

الا وتراه قد أصبح كتلة من الأوساخ المتراكمة فى جسمه وثوبه •

وقد كانت الأغانى فى عهدنا وفى الأفراح بالذات تختلف كل الاختلاف عن ماهى عليه الآن ــ فأغانى « الدلوكة » التى تمتاز بأغانى البطولة والحماس والفروسية تثير المستمع العادي فيفقد أعصابه ويتعرض للضرب بالسوط وتجريح ساعد اليد اليسرى بالسكين فى خطوط عميقة الى أن ينزف منها الدم وكثيرا ما شاهدنا صبيانا يفعلون كل ذلك وهم فى حالة غيبوبة تامة يكاد الفرد لا يتمالك أن يقف على قدميه وهو فى هذه النشوة التى أسبغتها عليه أغانى غانية « الدلوكة » فيحتمل عشرات من ضربات السوط على ظهره الى أن تسيل الدماء الى قدميه وهو لا يحرك ساكنا ولا تطرف له عين وقد أصبحت للكثيرين منهم عادة التعرض لهذا الضرب فى كل الأفراح حتى أن ظهورهم تصبح ولا موضع فيها يخلو من جرح ــ اما أغانى الرقص الذى تقوم به البنات فيحترفها مغنون من الصبيان ويتألف الطاقم من مغن ومساعدة وثلاثة من «الطنبارة» على الأقل وجميعهم يقفون عندما تبدأ البنت فى الرقص « والطنبارة » هؤلاء يخرجون أصواتا من حناجرهم تتمشى مع الراقصة لضبط النغم ويصفقون باكفهم تصفيقا موزونا مع الأغنية ويختلف مابين « ثقيل » « وخفيف » كبحور الشعر وهكذا ترقص البنت وتقدم أول «شبال» للعريس وهذا معناه أن يطأطأ العريس رأسه أمام الراقصة فى مستوى رأسها لتصب شعر رأسها على رأسه وهو نوع من الاعتراف له بمكانته كعريس يدخل الحياة الزوجية لأول مرة وان طاعة المرأة له واجب مقدس ــ وهكذا يستمر الفرح سبعة أيام نهارا وليلا وتقام هذه المراقص فى كل وقت وللباقى الزوار الحق فى أخذ « الشبال » من الراقصات الآخر •

الســودان فى ربع قرن

تركت السودان عام ١٩٢٣ وعدت اليـه عام ١٩٤٩ أى ربع قرن من الزمان فوجدت تغييرا محسوسا فى شتى مرافق الحياة فقد أخذت البلاد تسير قدما فى طريق المدنية وتأخذ بأساليبها ــ لقد عم الوعى القومى البلاد فانتظمها من شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ــ تقدمت الزراعة فى هذه الفترة بتكملة خزان سنار الذى تركته فى طور البناء وذلك بزراعة أراضى الجزيرة الشاسعة قطنا ومحصولات غذائية كما أقيم خزان جبل الأولياء كما قامت مئات المشاريع الزراعية منها المشاريع الكبرى كمشاريع

الجزيرة أبا ومشروع البساطة وجميعها تنتج قطنا مما زاد فى ثروة البلاد كما امتد الخط الحديدى من سنار المدينة عبر الخزان الى سهول القضارف الغنية بتربتها وامتد الى كسلا ومنها الى محطة هيا عند تقاطع خط الخرطوم ـ بور سودان .

وقد ساعد التوسع فى النقل الميكانيكى على ربط مديرية دارفور فى غرب السودان بباقى أجزاء السودان عن طريق الأبيض حيث ينتهى الخط الحديدى من الخرطوم وربط أنحاء مديرية كردفان بعضها البعض وخصوصا جبال النوبة القديمة حيث نجحت أيضا زراعة القطن فى موسم الأمطار فى مناطق الدلنج وكادوجلى وتالودى كما اخترقت السيارات أيضا مديرية أعالى النيل عن طريق جبال النوبة ومديرية بحر الغزال عن طريق جنوب كردفان وجنوب دارفور وقد كانت وسائل النقل القديمة فى جميع هذه المناطق هى الجمال والبغال هذا عدا استعمال النقل الميكانيكى فى المديريات الجنوبية بين البلاد بعضها البعض مما ساعد على انتعاش الحركة التجارية

وقد زاد عدد المدارس الأولية والوسطى والثانوية زيادة محسوسة كما أصبحت هناك جامعة سودانية على غرار جامعات العالم وزاد عدد المستشفيات والشفخانات وازداد الاقبال عليها بعد أن كان الأهلون يحجمون عن طلب العلاج فيها • وقد أفادت بعض المدن من الانارة بالكهرباء وتنقية مياه الشرب كود مدنى والأبيض وكوستى وعطبرة وبورتسودان وغيرها وقد كانت قاصرة على المدن الثلاثة فى ذلك الوقت

كما أصبح للسودان قوة عسكرية قائمة بذاتها وهى فى طور النمو والزيادة كما ارتفعت الصناعة وصار فى السودان الجنوبى مصانع للغزل واستخراج السكر بالطرق الحديثة ومعاصر للزيوت بدلا عن الطرق البدائية التى كانت تستعمل قديما ومصانع للصابون والمدابغ للجلود ومصانع اللحوم المعلبة فى كوستى •

هذا قليل من كثير مما وصلت اليه البلاد من تقدم هذا بخلاف العمران وتحسين المساكن وارتفاع مستوى المعيشة بين الأهالى وأخذ سكان المدن بما تقدمه المدنية من وسائل المتعة كالسينمات وغيرها كما أقبل شباب البلد على الرياضة البدنية وأقيمت الأندية الرياضية فى جميع مدن السودان تقريبا مما يساعد على خلق جيل جديد

صحيح الجسم سليم الخلق لبناء سودان المستقبل وتركت مدينة الخرطوم وليست بها سيارة واحدة وكانت وسائل التنقل الوحيدة داخل المدينة هي مركبات الخيل وكانت تعد على الأصابع والحمير ـ كما كان الترام البخاري هو وسيلة الاتصال بين مدينتي الخرطوم البحرية وأم درمان الأخيرة قبل قيام كبرى أم درمان كان اتصالها عن طريق المعدية النهرية التى تمخر بين المدينتين عند المقرن الى الموردة فى أم درمان حيث يأخذ الراكب الترام البخاري من شاطىء الموردة الى داخل مدينة أم درمان عن نفس الطريق الحالى الى أبى روف وقد حل الترام الكهربائى الآن محل الترام القديم وأصبحت المدن الثلاثة مرتبطة تمام الارتباط هذا زيادة على الاوتوبيسات وسيارات الأجرة التى لا حصر لها •

واتسعت مدينة الخرطوم ذاتها فى رقعتها بعد ان كانت تنحصر من خط السكة الحديد جنوبى المدينة والنهر وقامت المبانى الجميلة والمتاجر الواسعة وخططت الميادين العامة الخضراء وترامت أطرافها خارج محيطها القديم جنوبا الى قرب شجرة غردون حيث أقيمت المصانع ومناطق أخرى للسكن امتدت شرقا على طول المدينة القديمة وبها الدور الأنيقة والميادين الجميلة حتى أصبحت العاصمة تضارع بعض العواصم فى افريقيا •

اما واد مدنى المدينة الثانية التى رأيتها بعد عودتى فقد كان نصيبها من المدنية وأساليبها الحديثة وافر أيضا اذ أصبحت تنار المدينة بالكهرباء وبها الماء النقى للشرب وقامت فيها المبانى الفخمة والأندية والميادين والمتنزهات الجميلة وهى عاصمة الجزيرة التى تنتج القطن فى المشروع الزراعى الكبير الذى يستمد ريه من ترعة خزان سنار وبذلك انتعشت تلك الرقعة من البلاد وقد كانت حمراء بلقعا فى عام ١٩٢٣ الا فى أيام الخريف حيث كانت تزرع بالذرة للاستهلاك الاقليمى ـ اما اليوم فهى غيرها بالأمس وقد ارتفع مستوى المعيشة بين السكان وأخذ البعض منهم بأساليب الحياة الحديثة وأقاموا المساكن الجميلة بدلا من المبانى الطينية العتيقة والأكواخ التى كانوا يعيشون فيها وزودها بوسائل المتعة كما أقيمت فى بعض القرى مرشحات للماء النقى وأنشئت

المدارس والشفخانات ومراكز تعليم الكبار ومحو الأمية وهكذا تسير عاصمة الجزيرة ونواحيها نحو مستقبل باسم مشرق وخصوصا بعد أن آل أمر البلاد فى حكمها الى بنيها فنأمل أن يتم على أيديهم الكثير مما تحتاج اليه بعض المدن فى السودان من تقدم وخصوصا تلك المناطق المتخلفة فى دارفور وجبال النوبة ومديريات الجنوب التى كان حظها ضئيلا بالنسبة الى بقية البلاد والعمل على ربطها بالشمال بخطوط حديدية حتى يتم انعاشها اقتصاديا واجتماعيا لتسير فى ركب بقية أجزاء البلد الأخرى وتنمية مواردها بالوسائل الحديثة بعد أن بقيت تلك الحقبة الكبيرة وهى فى شبه معزل عن بقية أجزاء القطر الأخرى .

مغـامرات قلبى

أننى قد لا أكون مغاليا اذ قلت ان قلبى لم يعرف للحب سبيلا ـ باستثناء حبى الأول فى السودان لهيلين اليونانية ـ وأعنى ذلك الحب العذرى الذى كتب عنه الكتاب وما زالوا يكتبون ـ ولو فى أبسط درجاته ، اما حبى الأول ، ان صح أن يسمى حبا ـ وأنا أسميه نزوة صبيانية ، غمرتنى فى مطلع صباى وكانت خليقة بأن تتطور فتصبح حبا جارفا لو لم يعمل والدها على ابعادها عن محيطى بعد أن انكشف أمرنا ـ لقد بدأت فعلا تظهر على كل الأعراض التى تنتاب المحب المدله ـ وكنت قد عرفتها وهى طالبة صغيرة لم تبلغ الرابعة عشر من عمرها وكنت موظفا صغيرا فى مصلحة البريد أكبرها بخمس سنوات وكنت قصيرا ممعنا فى القصر لا أكاد أبين أكثر من طالب مازال فى سنها ـ ممتلىء الجسم وكانت هى كذلك وكنت جريئا مقداما ما عنت لى فكرة الا أسرعت فى تنفيذها ولكنى كنت أرعى تقاليد بلادنا فاخترت ان أسير بحذر ـ رأيتها ذات يوم فوقعت من قلبى موقعا لم أدر كنهه ـ وكان لها أخوان يصغرانها بقليل يذهبان معها للمدرسة اليونانية فصرت أخرج من منزلنا مبكرا لأراها قبل أن تركب هى وأخواها العربة (الكارته) الى المدرسة وكان منزلهم فى طريق منزلنا ناحية السوق فما أن أتملى بالنظر اليها حتى آخذ طريقى الى مكتب البريد حيث أعمل وبعد الظهر عقب خروجي من المكتب أمر على منزلهم محاولا عقد صداقة مع



المؤلف في المكسيك

أخويها مستعينا بدراجة فى بعض الأوقات (بالأجرة) ليركباها بالتناوب أمام المنزل بعد أن علمتهما وأخيرا جاء دورها لتتعلم ركوب الدراجة وهكذا قام بيننا حب كانت نتيجته أن رفت من الخدمة وهاجرت من بلادي ولولاها لبقيت موظفا الى يومنا هذا وعلى أبواب الاحالة على المعاش •

اما بعد أن هاجرت الى أوروبا وامريكا فان كثرة تجاربى فى المحيطين السياسى والاجتماعى لم أجد فيها متسعا من الوقت لأحب حبا صحيحا لأتزوج وفى بدء حياتى السياسية كنت أرفض الزواج حتى من اللائى طلبن يدى من ربات المال والجمال أولا لأننى كنت أعتنق السياسية ووهبتها حياتى وان الزواج يتعارض وهذه الرغبة وثانيا كنت أرى أنه من العار قبول طلب امرأة تريد الزواج أو أن أعيش عالة على امرأة وهكذا ضاعت منى الكثير من الفرص •

فكم من مرة حدث بعد أن انتهى من القاء محاضرة أن يقبل على عدد من المهنئات ويتبارين فى دعوتى الى منازلهن فسرعان ما تنبرى احداهن وتحدثنى عن مالها من أموال وأملاك وما ذاك الا لأتقدم ولكن لا ألبث أن أبقى يوما أو يومين فى تلك المدينة حتى أبرحها لبلد آخر لأقوم بالدعاية كما قدمنا ــ ولكنى لا أنكر اننى أحببت نساء



عائلة صديقة من السورينام التقى بها المؤلف فى نيويورك

حبا خاطفا أذكر منهن خوليا وانطونيا البرازيليتين فى عام ١٩٣٣ وايف مـن هاملتن عاصمة برمودا لم أمكث فى مدينتها سوى ٤٨ ساعة وكلاريس وهى ابنـة مليونير عرفتها فى الطائرة وكانت تجلس بجانبى من سان فرنسيسكو الى لوس انجلوس عام ١٩٤٧ وتبادلنا نوعا من الغرام ثم افترقنا وكأن العناية الالهية قضت أن تتم حديثنا اذ قابلتها بعد ساعتين فقط فى ردهة بفولى هلز أوتيل وهو أهم فندق فى مدينة السينما يقطنه أرباب الملايين وكبار الممثلات والممثلين وجلسنا وقصت على قصتها وتتلخص فى أنها تعشق ان تصبح ممثلة فاستأذنت من والديها فى تمضية شهر من الاجازة المدرسية تجرب فيه حظها على انفراد وكنت قد دعوت روبرت ويزمولر (طرزان) للعشاء وكانت هى معنا وسافرت صباح اليوم التالى ولعلها أجمل مخلوقة رأيتها فى حياتى •

وفى عام ١٩٥٠ تعرفت على اليسيا المكسيكانية ولها من العمر ٢٢ عاماً وبعد ليلة من لقائنا عرضت بل وألحت على أن تتزوجنى ولكنى كنت مسافرا الى غواتيمالا والأخيرة انجليزية عرفتها عام ١٩٤٩ وكان عمرها اثنى عشر عاما وكنت كلما

زرت لندن أراها تكبر وتترعرع وقدقابلتها في عام ١٩٥٤ فاذا بها شابة بلغت السابعة عشر ودعتني الى حفل شاى في منزلها وأجلستني الى جانبها وابتدأت تذكرني بالماضي وتقول أتذكر يا مطر كيف كنت أعاكسك وأجرى وراءك وكان يوم وصولك عندى



مسر مورز وحفيدتها وقد دعاهما المؤلف من لندن الى باريس لما قاما به نحوه من اكرام



أيام الشباب في البرازيل سنة ١٩٢٥

يوم عيد ــ ولكني ودعتها لأنني كنت مسافرا الى جنيف وهكذا اتسع قلبي لكل هؤلاء ولم تفلح منهن واحدة في صيدى والحمد لله .

مـــن انا

خرجت الى هذه الحياة كما يخرج عادة أبناء عامةالشعب من طبقة الصناع ــ لم تتميز نشأتي بمال وفير أو جاه عريض ولا حبتني الطبيعة بذكاء خارق ولا ذهن متوقد ــ فقد كنت ــ كما قيل عني ــ دون الوسط في الذكاء في أيام دراستي وقد ذقت فيها مرارة الفشل والاخفاق لرسوبي في امتحان احدى السنين حتى أقدمت على محاولة الانتحار غرقا في النيل لضياع جهود سنة دراسية بحالها وقد كتب على أن أمضي سنة أخرى في نفس الغرفة وأن أستقبل القادمين الجـــدد الناجحين من الفرقة التي دون فرقتي وأن أزاملهم كما زاملت قبلهم من خلفوني وراءهم وانتقلوا الى فرقة أعلى ــ أكملت التعليم الأوسط ولما كنت لم أستشعر رغبة في مواصلة تعليمي العالي فقـــد فضلت الاستخدام في الحكومة كما حاولت أن أجد طريقي الى المدرسة الحربية بعد أن أمضيت فترة قصيرة في الخدمة ولكن حال قصر قامتي دون طلبي وهكذا قبعت في العمل الحكومي الى أن أختتم بتلك المأساة التي سبق ذكرها .

فكأن الأيام والأحداث تعاونتا على أن أسلك طريقا غير الذي سلكه غيري من أبناء السودان وكأنها تعدني لما خبيء لي في عالم الغيب من سفر ومغامرات ومخاطرات مما لم يكن في الحسبان لولا ذلك لكنت قضيت العمر في الخدمة ولكنت الآن على أبواب الاحالة على المعاش .

وهكذا قدر لي أن أخرج الى هذا العالم وأن أذرعه شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ــ طفت القارات الخمس ، أوروبا بأسرها ــ بما في ذلك امريكا الشمالية والجنوبية من القطب الشمالي الى القطب الجنوبي ــ افريقيا بأسرها ــ شبه الجزيرة العربية ــ آسيا ــ الهند ــ ايران ــ ومكثت في أفغانستان لصعوبة مواصلاتها الجوية التي لا تصلها الا كل أسبوع مرة ولرداءة طقسها وجزء من الصـــين ــ اســتراليا ــ نيوزيلاندا واليابان وجزر المحيط الهندي الشرقية والغربية ــ وجزر الاطلانطي . والملايو وفيتنام وهونج كنج وشنغهاي .

تعرفت الى جميع شعوب العالم أشـــكالا وألوانا ، آدابا وأخلاقا بمـــا فيهم الاسكيمو فى الاسكا فيما عدا أجناس اللابس والسمويدز ــ استعملت كل وسائل النقل وقطعت مئات الآلاف من الأميال على الطـائرات كلفتني عشرات الآلاف من الجنيهات ــ تقلبت بى الظروف والأحوال فبعد أن التحفت السماء وتوسدت الغبراء نمت فى أعلى ناطحات السحاب ــ كسبت كثيرا وبددت أكثر . صـادقت الأخيـار والأشرار من الرجال ــ وخالطت العظماء والفقــراء وزاملت ونازلت وانهزمت ــ ذقت حلاوة النجاح أو مرارة الفشل ــ جربت السجون وحيـــاة التشرد القاسية واشتركت فى انقلابات ومؤامرات عالمية خطيرة كنت أحمل رأسي بين كفي ــ شارفت على الموت فى عدة مناسبات كدت للنساء وكادت لى النساء ولكنى خرجت من معاركهن بدون حواء .

وأتتني فرص الثراء الضخم أكثر من مرات وفرص الاستقرار مرات أيضا ولكنى ركلتها لأنعم بحريتي وحياتي الطليقة التي لا قيود فيها ولا توجيه . عرفت النفوس البشرية والطبائع البشرية . عرفت من هو مثال الانسان ومن هـو أحط من أنواع الحيوان ــ خرجت الى هذا العالم وأنا غرير ساذج بهرني سحره على الخرائط وبين كتب التاريخ ودروس الجغرافيا فألقيت بنفسي فيه دون علم أو وعي . طرقت أبواب السياسة عن غير فهم وادراك ــ وأبواب الوطنية دون سابق تجارب وأبواب الديانات والمبادىء الاجتماعية دون معرفة وهكذا كل الأبواب فى هذه الحياة مادخلت بابا الا خرجت منه الى آخر وأخيرا وبعد أن سلخت أكثر من ربع القرن أكسبتني تجـارب العمر وقهرتني حوادث الزمن وعواديه فصرت لا أقيم للحياة وزنا وسيان عندى ان أكون ثريا أو معدما ــ شبعا أو مخمصا ــ أسير فيها لا ألوى على شيء قانعا راضيا عما فات وغير مبال بما هو آت ــ هكذا أرادت الأيام أن تسيرني وفق مشيئتها بعد أن سطرت فى كتابها ما قدر لى من نصيب وأن أعود الى مسقط رأسي ومـن حيث بدأت فى الوقت الذي أرادت الظروف أن أعود فيه لأني وقد حاولت كثيرا هذه العودة من قبل كان دائما نصيبي الفشل بما وضع أمامي من عقبات وموانع ... فهل قدر لى

آن ينتهى بى المطاف وأنعم بالاستقرار كغيرى من آبنـــــاء جلدتى أم غير ذلك فمن أكون أنا .

أول سائح سودانى ومن القلائل فى العالم

وأول من أبرق رامزى ماكدونالد سنة ١٩٢٤ رئيس الوزارةالبريطانية فى لندن يطالب باستقلال مصر والسودان ونفيت على اثر ذلك .

أول من أسس جمعية مكافحة الاستعمار .

أول سوداني نظم مسابقة جمال أوروبية امريكية الخ .



قض احمد حسن مطر شيخوخته فى الخرطوموتوفى فى أواخر عام ١٩٨٤م عن أثنين وثمانين عاما .